نبر الإسلام

السنة (٦١) العدد (٩) رمضان ١٤٢٣ هـ
نوفمبر ٢٠٠٢م - الثمن ١٠٠ قرش

مع العدد هدية الفردوس (مجلة الطفل المسلم)

فضائل شهر الصيام

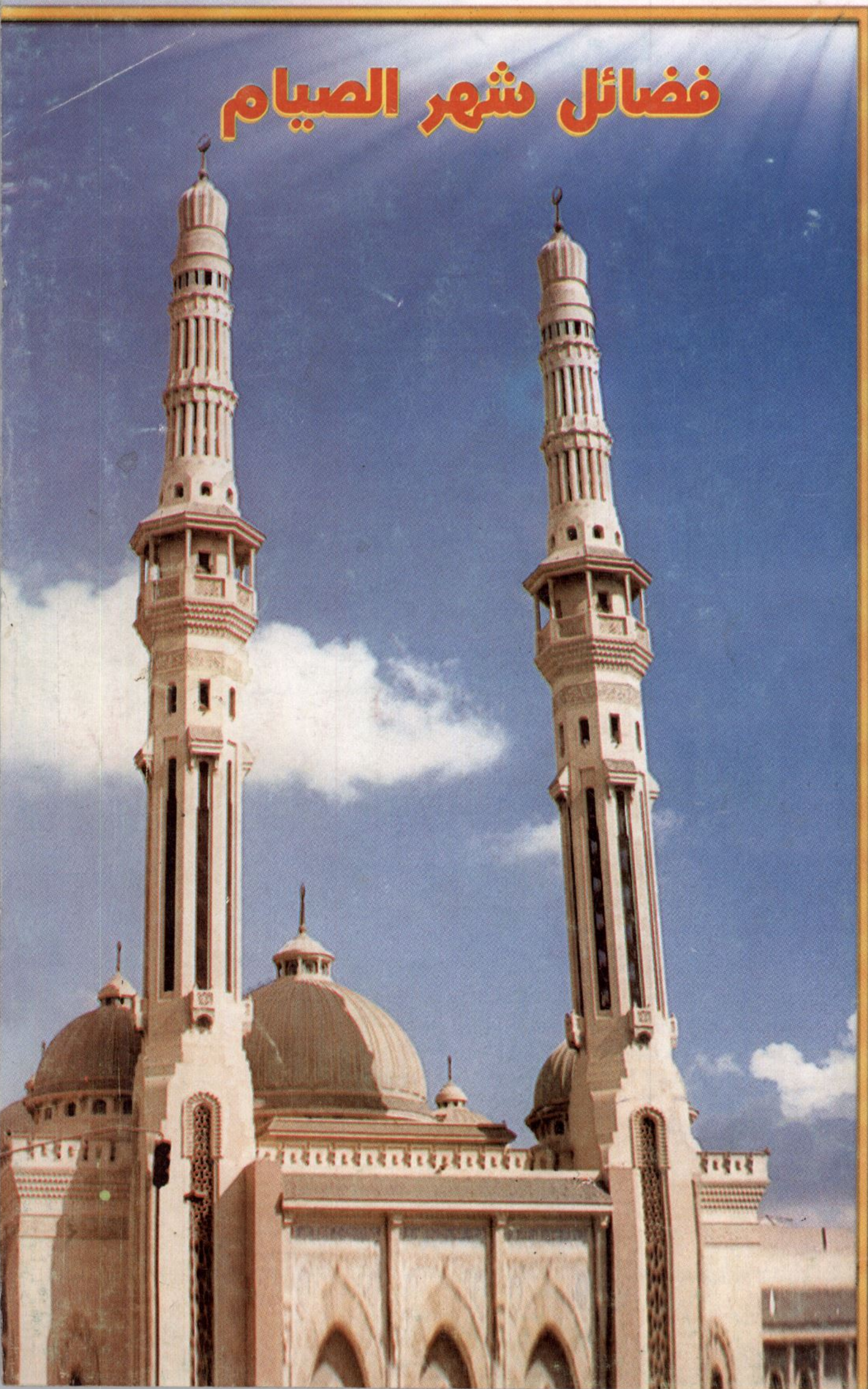

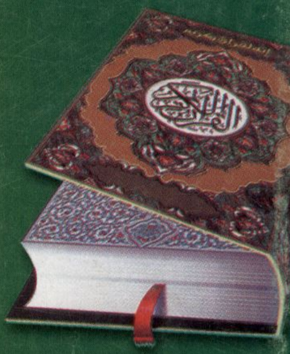

يف يكون
ومك مقبولا؟

زول القرآن
ى رمضان

خلة والتمر فى
رآن والعلم الحديث

من محتويات العدد

* كيف يكون صومك مقبولا ؟
أ. د. محمد سيد طنطاوى
* حديث الشهر: وا.. أمة الإسلام
أ. د. عبدالصبور مرزوق
* ليلة القدر
أ. د. أحمد عمر هاشم
* الجهاد فى رمضان.. غزوة بدر وفتح مكة
أ. د. محمد المسير
* آيات الله فى خلق الجهاز الهضمى
أ. د. عبدالمعبود عمارة
* الزكاة فى الأموال المعاصرة
أ. د. محمد الشحات الجندى
* الكشف عن الماء الجوفى عند العرب
أ. د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة
* النخلة والتمر فى القرآن والعلم الحديث
أ. د. حسنى حمدان

غلاف الشهر

• شهر رمضان شهر نزول القرآن.. المساجد فيه عامرة بذكر الله، فيه ليلة هى خير من ألف شهر، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ صدق الله العظيم

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٩ ش النباتات ـ بجاردن سيتى ـ القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ١٣ ثلاثة عشر جنيها بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٢٠ عشرون دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الأفريقى ـ «بريد جوى»
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا لدول أوروبا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى ـ القاهرة ـ تليفون: ٧٩٥٨٦٥٩ ـ ٧٩٤١٦٢٧ ـ ٧٩٥٨٦٦٤
تلغرافيا: منبر الإسلام ـ القاهرة

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور : **محمود حمدى زقزوق**

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور : **عبد الصبور مرزوق**

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور : **صوفى أبو طالب**

الدكتور : **أحمد كمال أبو المجد**

الدكتور : **أحمد هيكل**

كلمة التحرير

عزيزى القارئ

فرض الله سبحانه وتعالى على الأمة الإسلامية صيام شهر رمضان ليكون وسيلة تربوية تتحقق بها تقوى القلوب وخشوع الجوارح، فالصوم جنة يقى الصائم من المآثم ويرتفع به عن الدنايا وسيىء الخصال فهو دعوة علمية إلى التخلى عن النوازع السيئة التى تدفع إليها حاجات الحياة ودعوة إلى التحلى بجميل الصفات من الرحمة والشفقة، ومراقبة الله وحده لأنه سبحانه يعلم السر وأخفى.

هذه الوقاية هى ما يطلق عليه «الضمير» ونحن المسلمين نعبد الله كما علمنا على لسان رسول الله ﷺ فنقصد بأعمالنا وجه الله امتثالا لأوامره وطمعا فى ثوابه وأجره واستصلاحا لأنفسنا ومجتمعنا مجتمع الإسلام الذى اختتم الله به رسالاته إلى بنى الإنسان.

فالصوم يرتقى بالصائمين إلى التنزه عن كل النقائص، والبعد بهم عن مواطن الريب والآثام وهو العبادة التى لايدخلها الرياء، يدل على هذا أن الله سبحانه وتعالى أسند عمل ابن آدم له إلا الصوم فقد أسنده إلى نفسه وذلك فى الحديث القدسى الذى رواه أحمد وغيره. قال الله عز وجل: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به».

فى ثنايا هذا العدد يعيش معنا القارئ معانى وفضائل الشهر الكريم فلنقبل على الله فيه بتلاوة القرآن وبالدعاء والتضرع والقيام أملا فى أن يفيض الله علينا من خيراته وبركاته.

حديث الشهر

وا.. أمة الإسلام

فى شهر الانتصارات (رمضان) تطاردنا نذر الانكسار والهزيمة

أ.د. عبد الصبور مرزوق

قرأت غير قليل من الدراسات والكتابات عن الواقع الصعب الذى تجتازه اليوم أمة الإسلام فى مناخ غطرسة وجنون القوة الباسط لظله الأسود الكثيف على العالم كله تفعل به القوة العظمى ما تشاء.

واستمعت كذلك إلى غير قليل أيضا من الموائد المستديرة وأروقة البحث حول المصير الرهيب الذى ينتظر أمة الإسلام..

وعجبت لبعض ما قرأت وبعض من استمعت إليهم أنهم جميعا لا يكادون يقتربون من العنصر الأخطر فى الموقف كله وهو غطرسة وجنون القوة البادى للجميع - وإنما يركزون ويهتمون - بما أراه تبريرا لآثار غطرسة وجنون القوة وتحميل أمة الإسلام وبقية الشعوب المغلوبة على أمرها تبعة ما يحدث وكأنها هى التى حرضت أصحاب القوة المجنونة على أن يفعلوا بأمتنا وببقية الشعوب الأخرى ما يشاءون.

إنه منطق النفوس المهزومة من الداخل التى غطاها الوهن من أطرافها فانكسرت قبل أن تحارب وشل الرعب إرادتها فشخصت أبصار رجال كما تشخص عيون الذبيحة وهى ترى الجزار يحدّ لها شفرته.

***

وا.. أمتاه!!

أهكذا فى شهر الانتصارات رمضان يكون هذا حالك؟ ومن الذى بلغ بك هذه الحال من الهوان؟!!

ولأنه لا زمن للملام أو لا فائدة فيه اليوم فلن أخص أحدا فالكل ملوم..

من كانوا سببا فى تحطيم وحدة الأمة وتفتيت طاقاتها وتوهين عزيمتها ممن ولوا أمرها ذات زمان فى العهود السود.

* مغانى السلاطين الذين حللوا الحرام وقالوا كل شىء تمام.

* المهزومون نفسيا قبل أن يحاربوا وتغطوا بمقولات «الحكمة»؟؟ والتفلسف ودعوى اصطناع العقل والتفسير الشديد الخطأ لنذر الواقع.

* ودعاة التغريب من الملحدين والعلمانيين - قاتلهم الله أنى يؤفكون ممن ثقبوا عقل ووجدان

الأمة فأفرغوه من محتواه الجهادى الإيمانى فماتت العزائم وانحلت الهمم. وفقدت الأمة قبلتها فتاهت فى أودية الضياع.

***

الكل مسئولون..

والكل ملومون ولن يرحم التاريخ أحدا بل لن يغفر الله لأحد.

حتى نحن الضحايا ستقول لنا ملائكة الله فيم كنتم؟!!

وسنقول **﴿كنا مستضعفين فى الأرض﴾**..

وسيكون المصير إلى جهنم وياله من مصير.. ففى الدارين خسارة فلا عشنا مغلوبين أذلة ثم متنا، ولا أمل حتى فى رحمة الله!!

الكل ملومون ولن يغفر التاريخ لأحد

***

وفى زمان بعيدأيام كنت شابا كنت مفتونا بشاعرين: أحدهما أبو القاسم الشابى لما قال:

أهوى الحياة كريمة لا قيد

لا استبداد لا استعباد للإنسان

فإذا سقطت سقطت أحمل عزتى

يغلى دم الأحرار فى شريانى

واقتربت أكثر من دراسة الإسلام..

فإذا مقولة الشابى كأنها تعبير عن فلسفة الإسلام فى تكوين الإنسان المؤهل للاستخلاف عن الله فى الأرض لابد أن تكون العزة التى هى لله ولرسوله كما تحدث القرآن **﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾**.

فهؤلاء الأعزة هم وحدهم القادرون على حمل الأمانة التى عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأشفقن منها وحملها الإنسان.

هؤلاء الأعزة هم وحدهم القادرون على النهوض بتبعات الاستخلاف والتمكين فى أرض الله لكلمات الله.

فإذا سقطوا فى ساحة الجهاد سقطوا ـ كما قال الشابى ـ يحملون عزتهم التى يفرضونها بدمائهم على الناس والحياة، ثم مضوا إلى رحاب الله شهداء أحياء عند ربهم يرزقون.

وهكذا كانت أمتنا يوم قامت دولتها فى المدينة ويوم شرقت وغربت يتخلى عن طريقها المتجبرون فى زمانها من الفرس ومن الرومان.

***

أما الشاعر الأخر الذى كنت كذلك مفتونا ببعض شعره وأدعو له الآن بالرحمة وإن ـ كنت لا أذكر اسمه ـ فهو الذى قال:

وإذا لم يكن من الموت بدٌ

فمن العجز أن تموت جبانا

هذا البيت يصيبنى الآن بالصدمة وأنا أرى أمتى تحيط بها نذر الانكسار فى شهر الانتصارات ومع هذا خرس فيها داعى الجهاد وعلا صوت اصطناع «الحكمة» الزائفة و«التعقل» المزعوم.

أتأمل ما قال الشاعر وأسأل نفسى وعلماء أمتى ومفكريها بل وعامة شعوبها: أتصيخون سمعا بما يصرخ به صباح مساء أصحاب جنون القوة من تهديد ووعيد ونذر؟! أم أطبق الوهن فينا على الأسماع والأبصار والأفئدة؟!

***

إن الجزار يشحذ شفراته وماهى مجرد شفرات. بل هى حاملات طائرات وصواريخ عابرة

للقارات وسلاح نووى يصنع ما يسمونه الدمار الشامل.. فماذا ترون؟

لست أنتظر إجابة من أحد فليس لدى أحد ممن صنعوا المأساة أى إجابة ولذا سأضرب صفحا عنهم جميعا تكلموا أو صمتوا.

أما حديثى أما رجائى ودعائى فسأتجه به إلى ربى.. إلى من بيده وحده ملكوت كل شىء، إلى ﴿القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾.

يارب: إنا مغلوبون فانتصر.

يارب: أهلكت عادا الأولى فأهلك الثانية.

يارب: أجر على سننك واستبدل بهؤلاء الواهنين من المسلمين من لم يغلبهم الوهن.

يارب: بعطر أريج المسك عندك فى أفواه الصائمين نسألك الغوث والمدد.

﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾

صدق الله العظيم

وبما دعاك به حبيبك محمد يوم بدر أدعوك: اللهم إن تهلك هذه الأمة فلن تعبد.

***

وأما بعد:

فالحق أقول ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾.

ولكنى - ومع الظلمة الحالكة السواد - المحيطة الآن بأمة الإسلام لا أرتضى أبدا أن نبقى هكذا ننتظر الجزار حتى يفرغ من إحداد شفراته، فهذا عار ما بعده عار، وخزى لا يليق أبدا بأمة خاطبها القرآن العظيم بقوله: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾.

من هنا أقول للصامتين الخائفين:

أنتم أول المستهدفين من قوم عاد الثانية، لا نبوءة من عندى ولكن هذا ما تحدثوا به وأعلنوه دون أدنى اعتبار لمن يرضى أو يغضب، وحسب بياناتهم وتصريحاتهم ستهوى عروش وتيجان، وسيعاد تشكيل خريطة العالم وخريطة أمة الإسلام والعروبة بوصف خاص بما يحقق مجمل أهدافهم فى السيطرة على موارد النفط، وتغيير مناهج التعليم الدينى، ولو اقتضى الحال مصادرة القرآن أو بعض آياته إذا ترفقوا..

***

ثم: ومع هذا كله..

أن يتم التمكين الكامل لإسرائيل فى الأرض العربية فتحقق حلمها المسطورة كلماته على حوائط «الكنيست» «من الفرات إلى النيل حلمك الموعود يا إسرائيل».

بل ربما - ومادام الآخرون موتى وإن كانوا يأكلون ويشربون ويتناسلون ربما تغير شعار الحلم الإسرائيلى فابتلع كل ما حوله من الأرض العربية.

***

ليست هذه تنبؤات فما أنا بكاهن.

لكنها قراءة حزينة مفعمة بالمرارة فى أوراق العدو الذى يعلن بكل الثقة وبعدم الاعتبار: لا لأمة المليار وربع المليار مسلم ولا لأمة العروبة التى لا أدرى كم تعداد مواطنيها اليوم.

فالعدو فى الفكر القويم لا اعتبار له ﴿**وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين**﴾.

هامش:

كل رمضان وأنتم..

القرآن الكريم وعلومه

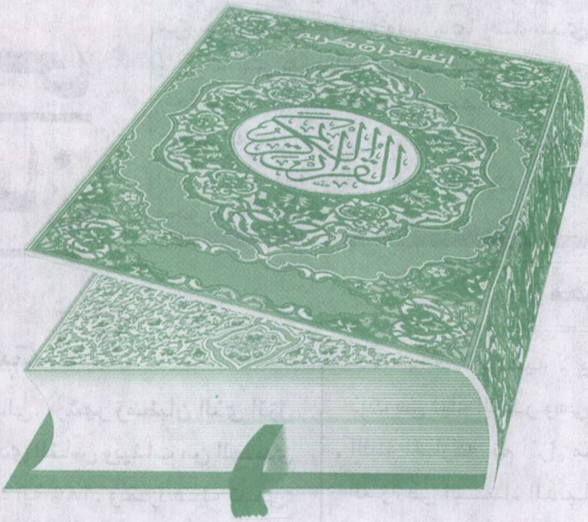

- مع نزول القـرآن فى رمـضـان
- خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف «الفصل والوصل»
- النخلة والتمر فى القرآن والعلم الحديث

مع نزول القرآن فى رمضان

القرآن الكريم كما هو معلوم: كلام الله تعالى المنزل بلفظ عربى مبين على محمد ﷺ بطريق جبريل عليه السلام فى اليقظة، المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه المنقول إلينا بالتواتر.. وهو معجزة رسول الله ﷺ الكبرى، وهو كما أخبر المصطفى ﷺ عنه فيه نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا وحكم ما بيننا، وهو حبل الله المتين ونوره المبين، وصراطه المستقيم، وهو الجد ليس بالهزل، من طلب الهدى فيه هداه الله، ومن طلب الهدى فى غيره أضله الله، ومن حكم به عدل، ومن تركه من جبار قصمه الله، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، لا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد ولا يشبع منه العلماء، ما لبثت الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ وإلى القارئ العزيز نقدم هذه السطور لعلها تسهم فى أداء الدين نحو هذا الكتاب المبين.

د/ محمد نبيل غنايم

أولا: نزوله وكيفيته:

نقرأ قول الله تعالى: **﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾** البقرة: آية ١٨٥، ونقرأ قوله تعالى: **﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾** القدر: آية ١، وقوله تعالى: **﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة﴾** الدخان: آية ٣، فنعلم أنه أنزل فى رمضان جملة، ونقرأ قوله تعالى: **﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا* ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾** الفرقان: الآيتان ٣٢، ٣٣، وقوله تعالى: **﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾** الإسراء: آية ١٠٦، فنعلم أنه أنزل مفرقا ومنجما على ثلاث وعشرين سنة وبضعة أشهر هى فترة البعثة النبوية لمحمد ﷺ فكيف نوفق بين الآيات الكريمة؟

وقد ذكر العلماء فى ذلك التوفيق أن القرآن الكريم أنزل بعلم الله تعالى إلى اللوح المحفوظ جملة واحدة بكيفية لا يعلمها إلا الله تعالى وكان ذلك فى ليلة القدر وهى من ليالى رمضان وهى الليلة المباركة، ثم أنزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا جملة واحدة وكان ذلك أيضا فى ليلة القدر من ليالى رمضان المباركة، ثم كان جبريل ينزل به نجما نجما - مفرقا - منذ بعثة النبى ﷺ إلى وفاته بالأوامر والنواهى والأسباب، قال القرطبى: قال ابن عباس: أنزل القرآن من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى الكتبة فى سماء الدنيا، ثم نزل به جبريل نجوما - يعنى الآية والآيتين - فى أوقات مختلفة فى إحدى وعشرين سنة. وقال مقاتل: أنزل من اللوح المحفوظ كل عام فى ليلة القدر إلى سماء الدنيا، ثم نزل إلى السفرة من اللوح المحفوظ فى عشرين شهرا، ونزل به جبريل فى عشرين سنة، قلت: وقول مقاتل هذا خلاف ما نقل من الإجماع أن القرآن أنزل جملة واحدة والله أعلم، ورواية وائلة بن الأسقع عن النبى ﷺ أنه قال: **أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة**

من شهر رمضان، والتوراة لست مضين منه، والإنجيل لثلاث عشرة، والقرآن لأربع وعشرين»..

ومن هذا يتبين أنه لا تعارض بين الآيات التى أخبرت عن نزول القرآن جملة ونزوله مفرقا حيث للقرآن تنزلات ثلاثة الأول من علم الله إلى اللوح المحفوظ جملة واحدة فى ليلة القدر من رمضان، الثانى من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى سماء الدنيا جملة واحدة فى ليلة القدر من رمضان، الثالث: من بيت العزة إلى رسول الله ﷺ مدة البعثة مفرقا على بضع وعشرين سنة وكانت بداية ذلك أيضا فى ليلة القدر من رمضان.

ثانيا: حكمة النزول الجملى والنزول المفرق:

لنزول القرآن الكريم جملة واحدة، ثم نزوله مفرقا حكم كثيرة أهمها:

١ ـ أن نزوله جملة يدل على قدره العظيم وشرفه الكبير وتفخيم أمره وأمر من نزل عليه وذلك بإعلام أهل السموات ومن هنا كانت الليلة التى أنزل فيها هى ليلة القدر وهى الليلة المباركة، قال السيوطى ـ رحمه الله ـ: «السر فى إنزاله جملة إلى السماء تفخيم أمره وأمر من نزل عليه، وذلك بإعلام أهل السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم».

وقال الحكيم الترمذى: «أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا تسليما منه للأمة ما كان أبرز لهم من الحظ بمبعث محمد ﷺ، وذلك أن بعثة محمد ﷺ كانت رحمة فلما خرجت الرحمة بفتح الباب جاءت بمحمد ﷺ وبالقرآن فوضع القرآن ببيت العزة فى السماء الدنيا ليدخل فى حد الدنيا ووضعت النبوة فى قلب محمد ﷺ، وجاء جبريل بالرسالة ثم الوحى كأنه أراد تعالى أن يسلم هذه الرحمة التى كانت حظ هذه الأمة من الله إلى الأمة».

٢ ـ أما نزوله مفرقا على فترة الرسالة فقد بين القرآن الكريم نفسه الحكمة من ذلك فى موضعين الأول: قوله تعالى: **﴿كذلك لنثبت به فؤادك﴾** الفرقان: آية ٣٢، فالحكمة هى تثبيت النبى ﷺ إزاء ما كان يتعرض له من فتن المشركين وإيذائهم وتأييده ﷺ وإثبات صدقه فى كل المواقف، وتثبيته ﷺ تثبيت للمؤمنين وتأييد لهم فى مواجهة ما يتعرضون له من الفتن والمضار، ولذلك قال الله تعالى بعد ذلك: **﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾** الفرقان: آية ٣٣، قال الترمذى: «فإن قيل ما السر فى نزوله منجما وهلا أنزل كسائر الكتب جملة؟ قلنا هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال: **﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾** الفرقان: آية ٣٢، يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل فأجابهم تعالى بقوله **«كذلك»** أى أنزلناه كذلك مفرقا **﴿لنثبت به فؤادك﴾**، أى لنقوى به قلبك فإن الوحى إذا كان يتجدد فى كل حادثة كان أقوى للقلب وأشد عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه، وتجدد العهد به، وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون فى رمضان لكثرة لقياه جبريل.

٣ ـ والموضع الثانى الذى بين فيه القرآن الحكمة الأخرى هو قوله تعالى: **﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾**، فالحكمة هى التدرج فى الأحكام والتخفيف على المتلقين حتى يستطيعوا فهمه وحفظه وتدبر معانيه والعمل بأحكامه. قال السيوطى: «ومنها حكمة أخرى لإنزال القرآن مفرقا فإنه أدعى إلى قبوله إذا أنزل على التدريج بخلاف مالو نزل جملة واحدة فإنه كان ينفر من قبوله كثير من الناس لكثرة ما فيه من الفائض والمناهى ويوضح ذلك ما أخرجه البخارى عن عائشة قالت:

«**إنما نزل أول ما نزل منه سور من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شىء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا**».

ثالثا: كيفية النزول:

عرفنا أن القرآن الكريم نزل بطريق جبريل عليه السلام على النبى ﷺ فى اليقظة بلفظه العربى المبين وهذه ميزه عن السنة النبوية وعن الحديث القدسى حيث نزل الحديث القدسى بلفظه فقط عن طريق نور يقذفه الله تعالى فى قلب رسوله ﷺ، ولهذا كان يقول النبى ﷺ «**إن روح القدس نفث فى روعى**» ونجد فى صدر الحديث القدسى إحدى هاتين العبارتين. قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أو يقول الله تعالى فيما يرويه الرسول ﷺ، والحديث القدسى ليس معجزا كالقرآن الكريم وليس مأمورا التعبد به، وليس منقولا بالتواتر، وكذلك الحديث النبوى لفظه ومعناه من عند رسول الله ﷺ وليس معجزة لقومه ولم ينقل جميعه بالتواتر ولا يتعبد به، وإن كان جميع أقوال النبى ﷺ صحيحة ووحيا فى جملتها إلا أنها غير القرآن الكريم ذى الوحى المتميز المخصوص قال الله تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى* إن هو إلا وحى يوحى**﴾ النجم: الآيتان ٣، ٤، وهذا يقودنا إلى بيان كيفية نزول جبريل عليه السلام بالقرآن، وقد بينت السنة الصحيحة ذلك فى ثلاث صور الأولى الصورة الملائكية العظيمة، وقد حدثت مرتين أشار إليهما القرآن الكريم الأولى عند غار حراء فى أول البعثة حيث توسط جبريل الأفق وسد بجناحيه ما بين المشرق والمغرب وطمأن رسول الله ﷺ بعد فزعه وخوفه وقال له: «**يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل**» قال تعالى: ﴿**ولقد رآه بالأفق المبين* وماهو على الغيب بضنين* وماهو بقول شيطان رجيم* فأين تذهبون* إن هو إلا ذكر للعالمين**﴾ التكوير: الآيات ٢٣ - ٢٧، والمرة الثانية كانت ليلة المعراج عند سدرة المنتهى كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**والنجم إذا هوى* ما ضل صاحبكم وما غوى* وما ينطق عن الهوى* إن هو إلا وحى يوحى* علمه شديد القوى* ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى* ثم دنا فتدلى* فكان قاب قوسين أو أدنى* فأوحى إلى عبده ما أوحى* ما كذب الفؤاد ما رأى* أفتمارونه على ما يرى* ولقد رآه نزلة أخرى* عند سدرة المنتهى**﴾ النجم: الآيات ١ - ١٤.

الصورة الثانية: الصورة البشرية حيث كان جبريل عليه السلام ينزل على صورة دحية الكلبى رضي الله عنه، وكان من أجمل الصحابة، أو على صورة أعرابى غريب غير معروف أشعث أغبر كما فى حديث السؤال عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وفى نهايته قال النبى ﷺ: «**هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم**».

الصورة الثالثة: كان جبريل يأتى فى مثل صلصلة الجرس أو دوى النحل، وهذه أكثرها وأثقلها وأشدها على النبى ﷺ وبسببها كان يتفصد جبينه بالعرق ويشعر بثقله من حوله، ولا يسرى عنه إلا وقد وعى عنه كل شىء. قال السيوطى: «وقد ذكر العلماء للوحى كيفيات منها أن يأتيه الملك فى مثل صلصلة الجرس كما فى الصحيح وفى مسند أحمد عن عبدالله بن عمر سألت النبى ﷺ: هل تحس بالوحى؟ فقال: «**أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إلىّ إلا ظننت أن نفسى تقبض**»، قال الخطابى: والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يثبته أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد، وقيل هو خفق أجنحة الملك والحكمة فى تقدمه أن يفرغ سمعه للوحى فلا يبقى فيه مكان لغيره، وفى الصحيح أن هذه الحالة أشد حالات الوحى عليه، وقيل أنه كان

ينزل هكذا إذا أنزلت آية وعيد أو تهديد، الثانية أن يأتيه فى صورة الرجل فيكلمه كما فى الصحيح، «وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول» زاد أبو عوانة فى صحيحه «وهو أهون علىّ».

أما الثالثة فهى الصورة الملائكية كما سبق، وهذه الكيفيات الثلاث هى التى نزل بها القرآن، أما الوحى بصفة عامة فله كيفيات أخرى منها: النفث فى روع النبى ﷺ وقلبه كما مر فى الأحاديث القدسية والنبوية، ومنها الرؤيا المنامية ورؤيا الأنبياء وحى، ومنها أن يكلمه الله تعالى يقظة كما حدث فى ليلة المعراج، وكما حدث مع موسى يشير إلى هذه الكيفيات كلها قوله تعالى: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم**﴾ الشورى: آية ٥١.

رابعا: مواضع النزول ومواقيته ومميزاته:

نزل القرآن الكريم فى فترة البعثة النبوية التى دامت ثلاثا وعشرين سنة وبضعة أشهر حسب الظروف والمناسبات، كما نزل فى عدة مواطن أشهرها مكة والمدينة وأحيانا بينهما فى الغزوات والسفريات وجمهور العلماء على تقسيم آيات القرآن الكريم إلى مكى ومدنى فقط وإلحاق ما سواهما من الأماكن بهما، فالمكى ما نزل قبل الهجرة سواء نزل بمكة أو غيرها، والمدنى ما نزل بعد الهجرة سواء كان بالمدينة أو غيرها، ولما كانت الفترة المكية أطول زمنا وأكبر عبئا لأنها مرحلة التأسيس وبناء العقيدة فقد كان ما نزل فيها من القرآن أكثر مما نزل بالمدينة التى كانت أقل زمنا وأكثر استقرارا، ولذا كان التركيز فى مكة على الإيمان وأركانه، وكان التركيز فى المدينة على التكاليف والتشريعات والتطبيقات والأعمال فقد نزل بمكة من السور ٨٢ سورة تضم ١٩ جزءا ونزل بالمدينة عشرون سورة تضم ١١ جزءا واختلف العلماء فى ١٢ سورة فقيل مكية وقيل مدنية، ومن أشهر ما يتميز به القرآن فى المرحلة المكية غالبا ما يلى:

١ ـ التركيز على عقيدة التوحيد وتنزيه الله عن الشريك.

٢ ـ التركيز على الغيبيات ومنها اليوم الآخر ومشتملاته.

٣ ـ التركيز على مكارم الأخلاق.

٤ ـ قصص الأنبياء ـ وأممهم ـ السابقين هذا من حيث الموضوعات.

ومن حيث الشكل والأسلوب فقد تميز القرآن فى المرحلة المكية بما يلى:

١ ـ كل سورة فيها لفظ «كلا» مكية.

٢ ـ كل سورة فيها «يأيها الناس» مكية غالبا.

٣ ـ كل سورة فيها «سجدة» مكية.

٤ ـ كل سورة فيها قصة آدم وإبليس ـ سوى البقرة ـ مكية.

٥ ـ كل سورة فيها قصص الأنبياء ـ سوى البقرة ـ مكية.

٦ ـ كل سورة فيها حروف مقطعة بدئت بها ـ سوى البقرة وآل عمران ـ مكية.

٧ ـ تتميز السور والآيات المكية بالقصر والجزالة والقوة والردع والوعيد.

ومن أشهر ما يتميز به القرآن الكريم فى المرحلة المدنية غالبا ما يلى:

١ ـ التركيز على التشريع والتكليف وبيان الأحكام العملية والحلال والحرام.

٢ ـ الحديث عن الجهاد والغنائم والأسرى وما يتعلق بذلك من أحكام.

٣ ـ الحديث عن النفاق والمنافقين وصفاتهم وأساليبهم.

٤ ـ مناقشة أهل الكتاب وكشف كذبهم وضلالهم، ودعوتهم إلى الإسلام.

٥ ـ تفصيل الأخلاق الخاصة على كل المستويات.

٦ ـ كثرة الخطاب بـ«يأأيها الذين آمنوا».

٧ ـ طول السور والآيات غالبا.

٨ ـ رقة الأسلوب والألفاظ.

٩ ـ وقد ذكر السيوطى ضوابط هذه المميزات وأسسها عن السابقين فقال: أخرج الحاكم فى مستدركه والبيهقى فى الدلائل والبزار فى مسنده من طريق الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله قال: «ما كان يأأيها الذين آمنوا أنزل بالمدينة وما كان يأيها الناس فبمكة»، وأخرج البيهقى فى الدلائل من طريق يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كل شىء نزل من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون فإنما أنزل بمكة، وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة، وقال الجعبرى: لمعرفة المكى والمدنى طريقان: سماعى وقياسى، فالسماعى ما وصل إلينا نزوله بأحدهما والقياسى كل سورة فيها يأيها الناس فقط أو كلا، أو أولها حرف تهج ـ سوى ـ الزهراوين البقرة وآل عمران والرعد ـ وفيها قصة آدم وإبليس سوى البقرة فهى مكية، وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهى مدنية، وقال مكى: كل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية وزاد غيره سوى العنكبوت، وفى كامل الهذلى: «كل سورة فيها سجدة فهى مكية..» وهذه المميزات كما قلنا ليست قطعية وإنما غالبية.

وهناك اختلاف بين العلماء فى أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه، والراجح أن أول ما نزل هو قوله تعالى: **﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم* علم الإنسان مالم يعلم﴾** العلق: الآيات ١ ـ٥. كما جاء فى رواية الشيخين وغيرهما عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ والراجح أيضا أن آخر ما نزل هو قوله تعالى: **﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾** البقرة: آية ٢٨١، قال ابن عباس: آخر شىء نزل من القرآن **﴿واتقوا.. الآية﴾** وكان بين نزولها وبين موت النبى ﷺ أحد وثمانون يوما.

وسواء نزل القرآن الكريم فى مناسبة أو بلا مناسبة، فالعمل به واجب فى الحالين لأن العبرة كما يقول العلماء بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

خامسا: نزوله على سبعة أحرف:

روى مسلم عن أبى بن كعب أن النبى ﷺ كان عند أضاة ـ نهر صغير ـ بنى غفار فأتاه جبريل عليه السلام فقال: «إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا».

وروى الترمذى عنه قال: لقى رسول الله ﷺ جبريل فقال: **«ياجبريل إنى بعثت إلى أمة أمية منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية**

والرجل الذى لا يقرأ كتابا قط، فقال لى: **يامحمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف»** قال هذا حديث صحيح، وثبت فى الأمهات: البخارى ومسلم والموطأ وأبى داود والنسائى وغيرها من المصنفات والمسندات قصة عمر مع هشام بن حكيم التى اختلفا فيها على القراءة ثم راجعا رسول الله ﷺ فاستمع إلى كل منهما وأقرهما على قراءتهما وقال: هكذا أقرأنى جبريل ثم قال لهما: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه». فما معنى ذلك؟

اختلف العلماء فى المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا وقيل أكثر من ذلك، ونظرا لأن معظمها متداخل وبعضها غير صحيح فإننا سنكتفى ببيان أهمها وأشهرها ثم نختار الراجح منها، قال ابن حبان: فهذه خمسة وثلاثون قولا لأهل العلم واللغة فى معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف وهى أقاويل يشبه بعضها بعضا وكلها محتملة ويحتمل غيرها، وقال المرسى: هذه الوجوه أكثرها متداخلة ولا أدرى مستندها ولا عمن نقلت، ولا أدرى لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر مع أنها كلها موجودة فى القرآن فلا أدرى معنى التخصيص، منها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة وأكثرها معارضة حديث عمر وهشام بن حكيم.. ولما كان الأمر كذلك اخترنا خمسة من هذه المعانى ذكرها القرطبى فى مقدمة تفسيره وهى:

الأول: وهو الذى عليه أكثر أهل العلم كسفيان ابن عيينة وعبدالله بن وهب والطبرى والطحاوى وغيرهم أن المراد بالأحرف السبعة سبعة أوجه من المعانى المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو: أقبل وتعال وهلم فكلها بمعنى واحد وألفاظها مختلفة، وهذا معنى قول جبريل اقرأ فكل شاف كاف إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب.. وفى البخارى ومسلم قال الزهرى: إنما هذه الأحرف فى الأمر الواحد ليس يختلف فى حلال ولا حرام، قال الطحاوى: إنما كانت السعة للناس فى الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم لأنهم كانوا أميين لايكتب إلا القليل منهم، فلما كان يشق على كل ذى لغة أن يتحول إلى غيرها من اللغات، ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة، فوسع لهم فى اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقا، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب، وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله ﷺ، فقدروا بذلك على تحفظ ألفاظه، فلم يسعهم حينئذ أن يقرأوا بخلافها، قال ابن عبدالبر: فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كان فى وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد. ومن ذلك أيضا ما روى فى حديث أبى: إن قلت سميعا عليما عزيزا حكيما.. قال القاضى الباقلانى: وإذا ثبتت هذه الرواية حمل على أن هذا كان مطلقا ثم نسخ، فلا يجوز للناس أن يبدلوا اسما لله تعالى فى موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالف.

الثانى: قال قوم هى سبع لغات فى القرآن على لغات العرب كلها يمنها ونزارها لأن رسول الله ﷺ لم يجهل شيئا منها وكان قد أوتى جوامع الكلم، وليس معناه أن يكون فى الحرف الواحد سبعة أوجه، ولكن هذه اللغات السبع متفرقة فى القرآن فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن. قال القاضى الباقلانى قال الله تعالى: **﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾** الزخرف: آية ٣، ولم يقل قرشيا، وهذا يدل على أنه منزل بجميع لسان العرب، وليس لأحد أن يقول إنه أراد قريشا من العرب دون غيرها، وقد أيد ابن عبدالبر ذلك فقال: قول من

قال إن القرآن نزل بلغة قريش معناه عندى - فى الأغلب والله أعلم - لأن غير لغة قريش موجودة فى صحيح القراءات من تحقيق الهمزات ونحوها وقريش لا تهمز، وقال ابن عطية: معنى قول النبى ﷺ «أنزل القرآن على سبعة أحرف» أى فيه عبارة سبع قبائل بلغة جملتها نزل القرآن فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش، ومرة بعبارة هذيل، ومرة بغير ذلك بحسب الأفصح والأوجز فى اللفظ.

الثالث: أن هذه اللغات السبع إنما تكون فى مضر فمنها لقريش ومنها لكنانة ومنها لأسد، ومنها لهذيل، ومنها لتيم، ومنها لضبة، ومنها لقيس، قالوا هذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات على هذه المراتب.

الرابع: ما حكاه صاحب الدلائل وحكى نحوه القاضى الباقلانى قال: تدبرت وجوه الاختلاف فى القراءة فوجدتها سبعا منها ما تتغير حركته ولايزول معناه ولا صورته ومنها مالا تتغير صورته ويتغير معناه بالإعراب، ومنها ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف مثل: ننشزها وننشرها، ومنها ما تتغير صورته ويبقى معناه كالعهن المنفوش وكالصوف المنفوش، ومنها ما تتغير صورته ومعناه مثل وطلح منضود وطلع منضود، ومنها بالتقديم والتأخير مثل: وجاءت سكرة الموت بالحق، سكرة الحق بالموت، ومنها بالزيادة والنقصان مثل قوله تسع وتسعون نعجة، أنثى، وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين.

الخامس: أن المراد بالأحرف السبعة معانى كتاب الله تعالى وهى أمر ونهى ووعد ووعيد وقصص ومجادلة وأمثال، قال ابن عطية: وهذا ضعيف لأن هذا لا يسمى أحرفا، وأيضا فإن الإجماع على أن التوسعة لم تقع فى تحليل حلال ولا فى تغيير شىء من المعانى، وقد قيل أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع التى قرأ بها القراء السبعة لأنها كلها صحت عن رسول الله ﷺ وهذا ليس بشىء لظهور بطلانه، قال كثير من العلماء: هذه القراءات السبع التى تنسب لهؤلاء القراء السبعة ليست هى الأحرف السبعة التى اتسعت الصحابة فى القراءة بها، وإنما هى راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة وهو الذى جمع عليه عثمان المصحف.

والذى نرجحه من تلك الأقوال الخمسة فى المراد بالأحرف السبعة التى أنزل بها القرآن هو القول الأول وهو أن المراد بها سبعة أوجه من المعانى المتفقة بألفاظ مختلفة نحو: أقبل وهلم وتعال وعجل وأسرع وهو قول كثير من العلماء وهذا القول يجمع بين التيسير والتخفيف واللهجات والقراءات والمعانى والألفاظ وكان ذلك إبان النزول حين كانوا لا يقرأون ولا يكتبون ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الكتابة والحفظ، ومن أمثلة ذلك ما روى عن أبى بن كعب أنه كان يقرأ ﴿**كلما أضاء لهم مشوا فيه**﴾ البقرة: آية ٢٠، مروا فيه، سعوا فيه، وكان ابن مسعود يقرأ: ﴿**للذين آمنوا انظرونا**﴾، أمهلونا، أخرونا.. ومما ينبغى التنبيه إليه أن المصاحف التى بين أيدينا هى مصحف عثمان الذى نسخه من مصحف أبى بكر الذى كتبه كتاب الوحى للنبى ﷺ، وقد استقر فيه من الأحرف السبعة ما أجمع عليه الصحابة وحفظوه من قراءة النبى ﷺ وقراءة جبريل عليه السلام عليه فى العرضة الأخيرة، فلا مجال بعد هذا لتغيير حرف استنادا إلى أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فإنما كان ذلك وقت التنزيل للتيسير لعدم القدرة آنذاك على الحفظ والكتابة ثم زال العذر واستقر الأمر والحمد لله رب العالمين. وفى ذلك يقول السيوطى: «ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن المصاحف

مشتملة على ما يحمله رسمها من الأحرف السبعة جامعة للعرضة الأخيرة التى عرضها النبى ﷺ على جبريل متضمنة لها .. وقال ابن جرير: إن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة وإنما كان جائزا لهم ومرخصا لهم فيه، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف إذا لم يجمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك إجماعا شائعا وهم معصومون من الضلالة، ولم يكن فى ذلك ترك واجب ولا فعل حرام، ولاشك أن القرآن نسخ منه فى العرضة الأخيرة فاتفق رأى الصحابة على أن كتبوا ما تحققوا أنه قرآن مستقر فى العرضة الأخيرة وتركوا ما سوى ذلك.

سادسا: أغراض التنزيل ومقاصده:

القرآن الكريم نعمة الله إلى العالمين وهديته إلى الناس أجمعين يجمع بين الهدى والنور والذكر والبركة والشفاء والموعظة والرحمة والاستقامة فهو كتاب الهداية الربانية ودستور الأمة الإسلامية، وهادينا إلى الجنة والنعيم والرضا والرضوان، ومنقذنا من الشيطان الرجيم والجحيم، وحامينا من الغواية والضلال، وواقينا من العوج والانحراف، وخير ما يوصف به قول الله تعالى عنه: **﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا* وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما﴾** الإسراء: الآيتان ٩، ١٠، وقوله: **﴿ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين* قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾** يونس: الآيتان ٥٧، ٥٨، وقول الرسول ﷺ: **«ألا إنها ستكون فتن، فقلت: ما المخرج منها يارسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به﴾، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»**، وعن مقاصد القرآن الكريم وأغراض تنزيله يقول الشيخ الزرقانى - رحمه الله -: إن لله تعالى فى إنزال كتابه العزيز ثلاثة مقاصد رئيسية: أن يكون هداية للثقلين، وأن يقوم آية لتأييد النبى ﷺ، وأن يتعبد الله خلقه بتلاوة هذا الطراز الأعلى من كلامه المقدس، ثم بدأ يفصل ذلك فقال: وهداية القرآن تمتاز بأنها عامة وتامة وواضحة، أما عمومها فلأنها تنتظم الإنس والجن فى كل عصر ومصر وفى كل زمان ومكان.. وأما تمام هذه الهداية فلأنها احتوت أرقى وأوفى ما عرفت البشرية وعرف التاريخ من هدايات الله والناس، وانتظمت كل ما يحتاج إليه الخلق فى العقائد والأخلاق والعبادات والمعاملات على اختلاف أنواعها، وجمعت بين مصالح البشر فى العاجلة والآجلة، ونظمت علاقة الإنسان بربه، وبالكون الذى يعيش فيه، ووفقت بطريقة حكيمة بين مطالب الروح والجسد.. وأما وضوح هذه الهداية فلعرضها عرضا رائعا مؤثرا توافرت فيه كل وسائل الإيضاح، وعوامل الإقناع أسلوب فذ معجز فى بلاغته وبيانه، واستدلال بسيط عميق يستمد بساطته وعمقه من كتاب الكون الناطق.. والمقصد الثانى من نزول القرآن أن يقوم فى فم الدنيا آية شاهدة برسالة سيدنا محمد ﷺ، وأن يبقى على جبهة الدهر معجزة خالدة تنطق بالهدى ودين الحق ظاهرا على الدين كله.

والمقصد الثالث من نزول القرآن أن يتعبد الله خلقه بتلاوته ويقربهم إليه ويأجرهم على مجرد ترديد لفظه ولو من غير فهمه، فإذا ضموا إلى التلاوة فهما زادوا أجرا على أجر.. ولتفصيل هذه المقاصد المجملة نوضحها فيما يلى:

١ - القرآن الكريم يعرفنا بالله تعالى وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وما يجب له وما يجوز وما يستحيل فى حقه عز وجل.

٢ - ويعرفنا بملائكة الله تعالى وجنوده فى السموات والأرض وصفاتهم ووظائفهم فى الدنيا والآخرة.

٣ - ويعرفنا باليوم الآخر ومشتملاته من بعث وحشر وحساب وجنة ونار.. إلخ.

٤ - ويعرفنا برسل الله تعالى وأنبيائه السابقين وأحوالهم مع أقوامهم وعاقبة المؤمنين والمكذبين منهم لتكون لنا العبرة والموعظة.

٥ - ويعرفنا بكتب الله المنزلة على الرسل السابقين وما فيها من أحكام تلتقى معه أو تختلف فيصدقها فيما يوافق ويهيمن عليها فيما يختلف ويعارض.

٦ - ويعرفنا بمخلوقات الله عز وجل ومظاهر قدرته ودلائل عظمته فى الكون والحياة.

٧ - ويقدم لنا أوامر الله تعالى ونواهيه من عبادات ومحرمات.

٨ - ويبين لنا الحلال والحرام والطيب والخبيث.

٩ - ويبين لنا أحكام الحدود والعقوبات.

١٠ - ويبين لنا أحكام الزواج والطلاق والعدد والوصية والميراث.

١١ - ويبين لنا أحكام العقود والمعاملات والأيمان والنذور.

١٢ - ويحدثنا عن جوانب عديدة من سيرة المصطفى ﷺ صغيرا وكبيرا، يتيما فقيرا، وغنيا كبيرا، وعابدا ونبيا ورسولا، ومجاهدا وقائدا وزوجا ووالدا، وقاضيا وداعيا.. إلخ.

١٣ - كما يحدثنا عن حق هذا الرسول ﷺ علينا فى الحب والطاعة والاتباع والدعاء له والصلاة عليه.. و..

١٤ - وهو المعجزة الكبرى للنبى ﷺ التى أثبتت صدقه وتحدى بها الإنس والجن وهى كذلك آية صدقه إلى يوم القيامة.

سابعا: واجبنا نحو هذا القرآن العظيم؛ نختصره فى النقاط التالية:

١ - تلاوته وترتيله وتعهده بذلك ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

٢ - تدبره وتفهم معانيه بكل ما يعين على ذلك من السنة النبوية والتفسير.

٣ - الخشوع والخضوع لأننا نقرأ كلام الله تعالى ويخاطبنا عز وجل به.

٤ - الدعاء بالرحمة كلما مررنا بآية رحمة والدعاء بالوقاية من النار كلما مررنا بآية عذاب.

٥ - الإنصات والمتابعة إذا استمعنا لتلاوته.

٦ - السجود عند المرور بآيات السجدة.

٧ - التهيؤ للقراءة بالطهارة واستقبال القبلة.

٨ - العمل بما جاء فيه والوقوف عند حلاله وحرامه.

٩ - ابتغاء مرضات الله تعالى ومثوبته بتلاوته وتدبره.

١٠ - الدعوة به والحكم به وطلب الهدى فيه.

١١ - إحياء ليالى رمضان بخاصة وجميع ليالى العام بتلاوته وتدبره.

لطائف وأسرار

خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف (٢٢)

الفصل والوصل (١)

د. عبدالعظيم المطعنى

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ (إبراهيم ٣٤)

كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ (البقرة ٢٥)

وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ (الشعراء ٩٢)

وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ (البقرة ١١٥)

بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ (البقرة ٩٠)

لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ (المائدة ٦٢)

للفصل والوصل فى الدراسات الأدبية والبلاغية، وغيرهما، معان مختلفة، فيراد منهما فى فن الإلقاء أن الفصل هو سكوت خاطف بين كلمتين أو جملتين، والوصل هو متابعة القول بدون سكوت بين مفرداته وجمله إذا اقتضى الأمر أو المعنى المتابعة بين كلمتين أو جملتين، أما البلاغة فالمراد من الفصل فيها ترك العطف بالواو لجملة على جملة، ويجرى الفصل، وكذلك الوصل عند علماء البلاغة بين الجمل التى لا محل لها من الإعراب، ولا يعم كل الجمل(١).

والوصل عندهم هو عطف جملة لا محل لها من الإعراب على أخرى لا محل لها من الإعراب. كذلك. بالواو وخاصة كما فى قوله تعالى: ﴿إن الأبرار لفى نعيم﴾ وإن الفجار لفى جحيم﴾ الانفطار: الآيتان ١٣، ١٤، حيث عطفت جملة ﴿وإن الفجار﴾ على جملة ﴿إن الأبرار﴾ بالواو. والجملتان لا محل لهما من الإعراب لأنهما ابتدائيتان.

أما فى علوم القرآن فإن المراد من الفصل والوصل خصوصيات فى رسم المصحف الشريف، تختص بفصل بعض الحروف أو وصلها فى الكتابة بعضها عن بعض، أو بعضها ببعض، وهى خصوصيات كثيرة الوجود فى المصحف الشريف.

ومجيؤها موصولة فى مواضع، ومفصولة فى مواضع أخرى، والكلمات التى ورد فيها الفصل والوصل واحدة، يلفت النظر بشدة، ويثير تساؤلا لحوحا حول:

لماذا كان الوصل هنا؟

ولماذا كان الفصل هنا؟

ومن تلك الكلمات ـ مثلا ـ ما يأتى:

كلما - كل ما، أينما - أين ما، إنما - إن ما، أنما - أن ما، بئسما - بئس ما.

وغير ذلك كثير، والتساؤل اللحوح الذى يثيره اختلاف الكلمات القرآنية فى الرسم على النحو الذى تقدم، يظل صاحبه حائرا إذا لم يقف على اللطائف والأسرار التى جاء الفصل والوصل رامزا إليها من طَرْف خفى.

وهذا الفرعً من الدراسة من أهم المباحث التى تضع فى أيدينا مفاتيح لفهم كتاب الله العزيز وتفتح أمامنا آفاقا ونوافذ تقربنا من الاطلاع على خبيئات المعانى فى كتاب الله المعجز فى ألفاظه ومعانيه، فى مفرداته وجمله وتراكيبه، بل وفى طريقة رسم كلماته على الورق، وهو ما أسميناه بـ«الإعجاز الخطى» وإنه لجدير بهذه التسمية هذا هو الفصل والوصل فى مباحث علوم القرآن الكريم.

وبعد هذا التمهيد نشرع فى تفصيل ما أجملناه مستمدين العون والتوفيق من الله.

كلما - كل ما

من يقرأ القرآن الكريم، يجد أن «كلما» وهى مركبة من حرفين، موصولة - أعنى أن حرف الميم فيها متصل بحرف اللام قبلها، إلا فى ثلاثة مواضع فُصل فيها حرف الميم عن حرف اللام، والمواضع الثلاثة هى الأول: **﴿ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما رُدوا إلى الفتنة أركسوا فيها..﴾** النساء: آية ٩١.

والثانى فى قوله تعالى: **﴿وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾** إبراهيم: آية ٣٤.

والثالث فى قوله تعالى: **﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون﴾** المؤمنون: آية ٤٤.

ومن البديه أن وصل «ما» بـ«كل» هو الأصل. أما الفصل فهو خلاف الأصل.

وقبل أن نشرع فى بيان السر أو السبب فى فصل «ما» عن «كل» فى هذه المواضع الثلاثة، نذكر موضعا واحدا مما وُصِلَتْ فيه «ما» بـ«كل» ليكون معينا لنا على فهم الفروق بين الحالتين ذلك الموضع هو قوله تعالى: **﴿لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون﴾** المائدة: آية ٧.

والآن نورد هذا السؤال: لماذا فصلت «ما» عن «كل» فى المواضع الثلاثة الأولى، ثم وُصِلَتْ «ما» بـ«كل» فى الموضع الرابع؟

والجواب: أن الوصل، مع أنه الأصل، يدل على اتصال المعنى فى الوجود سواء كان اتصالا ماديا محسوسا أو كان اتصالا معنويا معقولا.

فتكذيب الرسل وقتل بعضهم أو العزم على القتل طبع متأصل فى اليهود. سواء فى ذلك قدماؤهم قبل الإسلام، والذين كانوا موجودين فى عصر الرسالة المحمدية، صلى الله على حاملها وسلم.

من أجل ذلك وُصِلَتْ «ما» بـ«كل» رمزا إلى اتصال وصف اليهود بتكذيب الرسل والتمرد عليهم فى أى زمان ومكان وجدوا فيهما.

مع ملاحظة أن الحديث فى الآية جرى على قوم جنسهم واحد، وعقيدتهم واحدة ولغتهم واحدة أما الآية الأولى من الآيات الثلاث التى فصلت فيها «ما» عن «كل» وهى:

﴿كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها﴾ فلأن الفتنة مختلفة الأنواع وليست نمطا واحدا، مثل الكفر، والمعاصى، والنفاق، يعنى أنهم كل مالاحت لهم ضلالة وانحراف سارعوا وتحملوا آثامها(٢).

وأما الآية الثانية **﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾**، فقد فصلت فيه «ما» عن «كل» لأن عطاء الله عز وجل متفاوت لا جنس واحد: عطاء المال - عطاء الولد. عطاء الصحة والسلامة المواهب - عطاء الأمن والراحة النفسية الخ.. فلذلك فصلت «ما»

ولم توصل بـ«كل».

وأما الموضع الثالث: ﴿**كل ما جاء أمة رسولها كذبوه**﴾، فقد فصلت فيه «ما» عن «كل» لأن الحديث جرى على أمم مختلفة ورسل مختلفين متعددين وغير خاف أن الحديث لما كان عن أمة واحدة فى آية المائدة (٤٤) المتقدم ذكرها وصلت «ما» بـ«كل» وهنا اختلفت الأمم ففصلت «ما» عن «كل».

ومثل آية المائدة قوله تعالى: ﴿**كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل**﴾.

وُصلَتْ «ما» بـ«كل» فى هذه الآية الكريمة، التى تتحدث عن نعيم أهل الجنة، لأن رزق أهل متواصل غير مقطوع لا فى الزمان ولا فى المكان كما قال عز وجل: ﴿**أكلها دائم**﴾ الرعد: آية ٣٥.

وكذلك هو متشابه فى صفات الجودة والاستطابة بدليل قوله تعالى فى الآية نفسها: ﴿**وأُتوا به متشابها**﴾.

لذلك وصلت «ما» بـ«كل» فى هذه الآية ومما يزيد المعنى توضيحا قوله: ﴿**يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه**﴾ البقرة: آية ٢٠.

وصلت «ما» بـ«كل» فى آتينا هذه لأن مصدر الإضاءة واحد، هو البرق، ولأن المشى ملازم للإضاءة.

إنما ـ إن ما

وكما فُصلَتْ «ما» عن «كل» فى المواضع الثلاثة المتقدم ذكرها، فصلت عن «إن» بكسر الهمزة فى موضع واحد فى القرآن كله، وفيما عدا هذا الموضع جاءت موصولة، مثل قوله تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون**﴾ البقرة: آية ١١.

وقوله تعالى: ﴿**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا**﴾ النساء: آية ١٠.

وقوله تعالى: ﴿**إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**﴾ النحل: آية ٤٠.

وقوله تعالى: ﴿**فذكر إنما أنت مذكر**﴾ الغاشية: آية ٢١.

وهذا كثير جدا فى القرآن لا يكاد يحصى.

أما الموضع الوحيد الذى جاءت فيه «ما» مفصولة عن «إن» فهو قوله تعالى: ﴿**إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين**﴾ الأنعام: آية ١٣٤.

والسر اللطيف فى فصل «ما» عن «إن» فى الآية، لا «ما توعدون» مفصل فى الحقيقة وفى الواقع، لأنه وعد ووعيد: وعد بالخير للذين أحسنوا باتباع الحق فى هذه الحياة الدنيا.

ووعيد بالشر للذين أساءوا بمخالفة الرسل فكفروا وعصوا. فمعنى «ما» مفصول فى الوجود لذلك فُصلَتْ «ما» عن «إن» فى هذه الآية الكريمة.

أنما ـ أنَ ما

وكذلك توارد الوصل والفصل بين «أن» بفتح الهمزة، وبين الحرف «ما».

فقد جاءت «أنَّ» موصولة بـ«ما» فى القرآن كله، إلا فى موضعين فُصلَتْ فيهما «ما» عن «أن» مفتوحة الهمزة.

والموضعان هما: ﴿**ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير**﴾ الحج: آية ٦٢.

أما الموضع الثانى فهو قوله عز وجل: ﴿**ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير**﴾ لقمان: آية ٣٠.

فصلت «ما» عن «أن» فى الموضعين؛ لأن ما يدعونه ـ يعنى يعبدونه ـ من دون الله كائنات متفرقة متعددة: أصنام ـ أوثان ـ نار ـ كواكب ـ أهواء ـ بقر. وهذا هو الباطل.

أما الحق فهو الله الواحد الأحد من بيده مقاليد السموات والأرض، منه المبدأ، وإليه المعاد ولايشرك فى حكمه أحدا.

وإلى هذا المعنى أشار يوسف عليه السلام بقوله: ﴿**ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار**﴾ يوسف: آية ٣٩.

ولما كان ما يعبدون من دون متفرقين غير موصولين فصلت «ما» عن «أن» رمزا إلى هذا المعنى اللطيف.

وقد جاءت «ما» موصولة بـ«أن» فيما يشبه هذين الموضعين فى قوله جل شأنه حكاية عن مؤمن آل فرعون: **﴿أنما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة﴾** غافر: آية ٤٣.

سر الوصل هنا أن يوسف عليه السلام جمع بين كل ما يصدر من دون الله فى صفة العجز الدائم فى الدنيا والآخرة.

أينما ـ أين ما

ومن هذه الكلمات التى توصل بها «ما» وتُفصل عنها لاعتبارات لطيفة، كلمة «أينما» والأصل فيها هو الوصل، أما الفصل فيطرأ عليها فى بعض المواضع.

وقد جاءت «ما» موصولة بـ«أين» فى الرسم القرآنى إلا فى ثلاثة مواضع، هى:

الموضع الأول فى قوله جل شأنه: **﴿وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون﴾** الشعراء: آية ٩٢.

الموضع الثانى فى قوله تعالى: **﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم﴾** الحديد: آية ٤.

والموضع الثالث فى قوله جل ثناؤه: **﴿ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس..﴾** آل عمران: آية ١١٢.

والذى اقتضى فصل «ما» عن «أين» فى المواضع الثلاثة، لأن ما بعد «ما» مفصول متفرق فى الوجود الحسى. بيان ذلك هو الآتى:

فى الموضع الأول كان الاستفهام التحسيرى عن معبودات المشركين، وهى كائنات متفرقة متعددة مفصولا بعضها عن بعض.

وفى الموضع الثانى ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ نجد الأمكنة المدلول عليها بـ«أين» مختلفة فى الوجود، وليست مكانا واحدا. والمعنى: أن الله محيط علما بالعباد مهما تباينت أماكن وجودهم أو تباعدت أو تقاربت.

أما الموضع الثالث ﴿ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا﴾ فهذه الآية وعيد شديد لليهود، وأن الذلة لاحقة بهم فى كل الأماكن وليس فى مكان دون مكان.

فأنت ترى أن ما بعد «ما» متعدد مختلف مفصول بعضه عن بعض.

ومن أجل هذا فُصِلَتْ «ما» عن «أين» للدلالة على هذه المعانى البالغة الدقة.

***

قارن هذه المواضع الثلاثة بالمواضع الثلاثة الآتية:

﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم﴾ البقرة: آية ١١٥.

﴿ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا﴾ الأحزاب: آية ٦١.

﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة﴾ النساء: آية ٧٨.

قارن هذه المواضع الثلاثة بالمواضع الثلاثة التى تقدمت، ثم اسأل نفسك هذا السؤال: لماذا فُصِلَتْ «ما» عن «أين» هناك؟ ولماذا وُصِلَتْ هنا؟

والجواب:

تقدم سر الفصل فى المواضع الثلاثة الأولى أما سر الوصل فى الثلاثة الثانية، فهو أن معنى ما بعد «ما» فى هذه المواضع متصل بعضه ببعض، غير منفصل: فالمعنى فى الموضع الأول **﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾** أن الله موجود فى كل مكان، لا فى جهة دون جهة، والمعنى فى الموضع الثانى **﴿أينما ثقفوا أخذوا..﴾** الإشارة إلى سنة من سنن الله عز وجل فى العصاة الكفرة، وهى سنة مطردة بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية مباشرة" **﴿سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾** الأحزاب: آية ٦٢.

ولأن الحديث فى الآية جرى على قوم مخصوصين وهم المتمردون فى المدينة فى عصر

الرسالة بدليل قوله تعالى: **﴿لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا﴾** الأحزاب: آية ٦٠.

أما الوصل فى قوله تعالى: **﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾** فلأن المعنى اطراد الموت واستحالة الفرار منه.

وقد يقال: إن أماكن الموت مختلفة فكان أولى الفصل لا الوصل.

وليس الأمر - كذلك - لأن المعنى المراد هنا ليس تعدد أماكن الموت. بل المراد أن الموت لا ينجو منه أحد، ولا تنفع الحيلة فيه. وهذا المعنى دائم ثابت باختلاف الأزمنة والأمكنة.

بئسما - بئس ما

ومنها «بئسما» جاءت موصولة بـ«ما» فى الرسم القرآنى إلا فى موضعين جاءت فيهما مفصولة وهما قوله تعالى: **﴿ترى كثيرا منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون﴾** المائدة: آية ٦٢.

وقوله تعالى: **﴿ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون﴾** المائدة: آية ٨٠.

والذى اقتضى الفصل فى الموضعين كون معنى «ما» مفصل فى الوجود.

ففى الآية الأولى **﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾** جاء الفصل إشارة ورمزا لاختلاف فى أعمالهم فى الوجود المحسوس.

وفى الآية الثانية **﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون﴾** تفصيل لما قدمت لهم أنفسهم. وهو نوعان:

- حلول سخط الله بهم فى الدنيا.
- خلودهم فى العذاب فى الآخرة.

ولهذا فُصِلَتْ «ما» عن «بئس» قارن هذين الموضعين بالمواضع الثلاثة الآتية:

﴿بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله..﴾ البقرة: آية ٩٠.

﴿بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾ البقرة: آية ٩٣.

﴿بئسما خلفتمونى من بعدى..﴾ الأعراف: آية ١٥٠.

إن كل أمثلة «بئس» ترد فى مقام الذم. كما أن التركيب اللغوى فى الآيات كلها التى وردت فيها «بئس» تركيب واحد فى النطق وفى الأحرف المكون منها هذا التركيب، وكل ما بين هذه الصياغات من فروق هى مجىء «ما» مفصولا أو موصولا. فما سر الوصل فى هذه الآيات الثلاث بعد أن عرفنا سر الفصل فى الآيتين الأوليين؟

الجواب:

إن سر الوصل فى هذه الآيات الثلاث هو الرمز إلى أن المعنى الذى بعد «ما» أو المعنى الذى أومأ إليه التركيب واحد متصل، لا متعدد ولا منفصل.

فهو فى الآية الأولى الكفر: **﴿أن يكفروا بما أنزل الله﴾**.

وهو فى الآية الثانية هو حبهم - أى اليهود - عبادة العجل.

وهو فى الآية الثالثة هو اتخاذ اليهود العجل إلها يعبد من دون الله، بينما كان هو يتلقى الألواح من ربه.

لذلك وصلت «ما» بـ«بئس» لأن المعنى من هذه التراكيب الثلاثة موصول فى الوجود الذهنى (المعنوى) والحسى (المادى).

وهكذا اتضح لنا من خلال الآيات التى ذكرت فى مبحث الفصل والوصل فى الرسم القرآنى أن كلا من الفصل والوصل لهما دلالات ومقتضيات وأسرار ومعان لطيفة. فلا يقعنَّ فى وَهْم واهم أن هذه «الخصوصيات» عيوب فى الرسم القرآنى ينبغى تداركها **﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾**.

الهوامش:

١ - ينظر دلائل الإعجاز (باب الفصل والوصل) للإمام عبدالقاهر الجرجانى.

٢ - ينظر الكشاف (٥٥٢/١) للإمام الزمخشرى.

النخلة والتمر فى القرآن والعلم الحديث

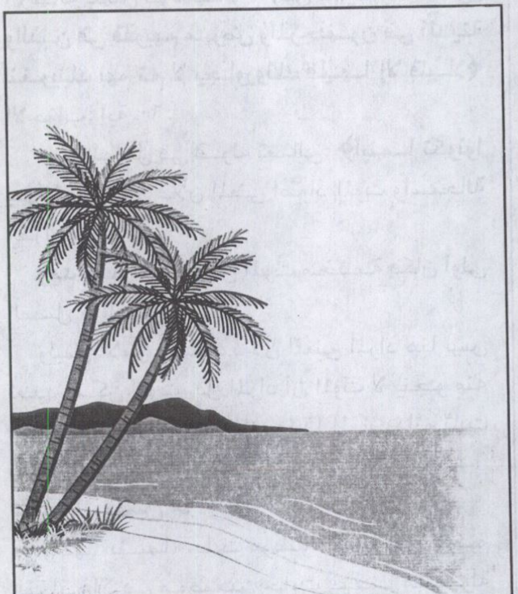

النخلة والمسلم:

روى البخارى وغيره عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ وكان دون الحلم ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثونى ماهى؟ فوقع الناس فى شجر البوادى، قال عبدالله: ووقع فى نفسى أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ماهى يارسول الله؟ قال: هى النخلة».

وفى رواية: فأردت أن أقول: «هى النخلة»، فإذا أنا أصغر القوم.

وفى رواية: «ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما قمنا حدثت أبى بما وقع فى نفسى، فقال: لأن تكون قُلتها أحب إلى من أن يكون لى حُمْرُ النَّعَم».

أ. د. حسنى حمدان

ففى أى شىء تشبه النخلة من المسلم:

كلاهما معطاء. كلاهما فيه الخير، النخلة باسقة والمسلم رافع رأسه للسماء لا يحنيها لغير الله. أصل كل مهما ثابت وفروعهما فى السماء.

والمسلم فى شدته ورقته، وفى قوته وحنانه، وفى عنفوانه وعطائه كذلك هى النخلة. كل مافى النخلة مفيد، وكل مافى المسلم الحق خير.

والنخلة تسقط الرطب حتى لمن قذفها، والمسلم يصل رحمه، ويعطى من حرمه، ويعفو عمن ظلمه.

النخلة فى القرآن الكريم والسنة

النخلة ومخاض الولادة:

١ ـ وردت كلمة النخلة مرتين تشيران إلى النخلة التى فاجأ المخاض مريم العذراء إلى جذعها، فلما هزت ذلك الجزع تساقطت عليها الرطب.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا* فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا* وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا* فكلى واشربى وقرى عينا**﴾ مريم: الآيات ٢٣ ـ ٢٦.

قال القرطبى إن الله أمرها بهز الجذع اليابس لترى آية أخرى فى إحياء موات الجذع حيث كانت النخلة يابسة كما قال ابن عباس، وقيل كانت مثمرة، وقال ابن كثير الظاهر أنها كانت شجرة، ولكن لم تكن فى إبان ثمرها، يقول سيد قطب فى ظلال القرآن: لم ينسك ربك ولم يتركك، بل أجرى لك تحت قدميك جدولا ساريا ـ الأرجح أنه جرى للحظته من ينبوع أو تدفق من مسيل ماء فى الجبل، وهذه النخلة التى تستندين إليها هُزيها فتساقط عليك رطبا فهذا طعام وذاك شراب. والطعام الحلو مناسب للنفساء. والرطب والتمر من أجود طعام النفساء: **«فكلى واشربى»**، هنيئا **«وقرى عينا»** واطمئنى قلبا. قال عمرو بن ميمون: ما من شىء خير للنفساء من التمر والرطب. والجنى من الرطب مالم يجف ولم ييبس ولم يبعد عن يدى مجتنيه. والجنى المقطوع من نخلة واحدة، والمأخوذ من مكان نشأته. وقال مالك الجنى من التمر ما طاب من غير نقش ولا إفساد.

واستدل بعض الناس من هذه الآية على أن الرزق وإن كان محتوما؛ فإن الله تعالى وَكَل ابن آدم إلى سعى ما فيه، لأن الله أمر مريم بهز النخلة لترى آية، وكانت الآية تكون بألا تهز. وتكليف الكسب فى الرزق سنة الله تعالى فى عباده ومخلوقاته.

يذكر الأستاذ محمد كامل عبدالصمد فى كتابه «الإعجاز العلمى فى الإسلام» أن العلم أثبت وجود هرمون يسمى «البيتوسين» يقوى عضلات الرحم وينظم انقباضات العضلات. وأن هذا الهرمون ينظم الطلق عند الولادة، يزيده إذا كان الطلق باردا، ويقلل منه إذا كان حاميا. كما أن هذا الهرمون يمنع النزيف عقب الولادة، ويقى من حمى النفاس. والرطب يعطى طاقة للمرأة

الرطب والتمر من أنسب الأطعمة للحامل ويقى من حمى النفاس

فى أثناء المخاض لأنه يحوى على أنواع من السكر مثل الفركتوز والجلوكوز، والمعادن والبروتين. والرطب به مواد مسهلة تنظف الأمعاء وذلك مما يساعد على الولادة لأن الأمعاء الغليظة والقولون الممتلئ بالنفايات يعيق حركة الرحم وانقباضه. والشرب المصاحب لأكل الرطب يذيب المواد الموجودة به فيسهل امتصاصها.

يذكر الدكتور جميل الدويك أن العلماء قد اكتشفوا مادة فى التمر تشبه هرمون الأوكسيتوسين، وهو الهرمون الذى يفرز عادة من غدة ما تحت المهاد ويخزن فى الفص الخلفى للغدة النخامية، وهو عبارة عن هرمونات تتألف من تسعة أحماض أمينية، وما أن يبدأ المخاض حتى يفرز ذلك الهرمون بكميات عالية ويتحد مع مستقبلاته الموجودة فى الرحم وفى الخلايا العضلية الظهارية المحيطة بقنوات الحليب فى الثدى. ويؤدى هذا الهرمون أكثر من وظيفة، فأثناء الولادة يؤدى إلى توسيع الرحم وتحدث

الولادة، ويعمل على إيقاف النزيف الناتج عن الولادة، ويساعد على انقباض ألياف الرحم تدريجيا فيعود الرحم إلى حجمه الطبيعي. وهناك هرمون آخر يوجد في التمر له تأثير على الدورة الطمثية، وعلى سن اليأس.

الرطب والتمر فطور الصائم

جاء فى حديث أنس: «**كان النبى ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلى، فإن لم يكن فعلى تمرات، فإن لم يكن تمرات حسا حسوات من ماء**».

وفى الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة؛ قال ﷺ «**إذا نظر أحدكم فليفطر على تمر، فإنه بركة، فإن لم يجد تمرا فالماء، فإنه طهور**».

سكريات البلح يمتصها الجسم بسرعة فتعوضه عن نقص السكر فى الدم أثناء الصيام

وتتضح أهمية الحديث إذا علمنا أن السكريات الموجودة بالبلح تمتص سريعا فى الجسم فتعوض الجسم بسرعة عن نقص السكر فى الدم أثناء الصوم.

والتمر يحتوى على نسبة عالية من المواد السكرية تبلغ ٧٠٪ بمعنى أنه يحتوى على سعرات حرارية عالية تعطى الإنسان نشاطا ودفئا وشعورا بالشبع. والتمر يحتوى على نسبة من الأملاح المعدنية القلوية التى تعادل الحموضة. قال رسول الله ﷺ: «**بيت لا تمر فيه جياع أهله**» رواه ابن ماجة.

ويحتوى البلح بجانب السكريات على نسبة عالية من البروتينات تبلغ ٣٪، ويحتوى على معادن كثيرة من الفسفور التى يحتوى كل ١٠٠ جرام من البلح على ٤٠٠ ملليجرام من الفسفور.

كما يحتوى على فيتامينات أ. ب١، ب٢، وعلى الألياف السيلولوزية.

١ - النخل فى القرآن الكريم

يحتل النخل مرتبة رفيعة بين صنوف النبات التى ذكرت فى القرآن فتذكر مع الأعناب والزروع والفاكهة والزيتون والرمان والجنات المعروشات وغير المعروشات.

وفى آيات كثيرة نجد أن الله تعالى:

١ - جعل الزروع فى كفة والنخل فى كفة يعطف إحداهما على بعض:

● ﴿**وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**﴾ الأنعام: آية ١٤١.

● ﴿**وزروع ونخل طلعها هضيم**﴾ الشعراء: آية ١٤٨.

٢ - جعل النخيل فى كفة والأعناب فى كفة:

● ﴿**فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب**﴾ المؤمنون: آية ١٩.

● ﴿**ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا**﴾ النحل: آية ٦٧.

● ﴿**وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون**﴾ يس: آية ٣٤.

● ﴿**أو تكون له جنة من نخيل وعنب..**﴾ الإسراء: آية ٩١.

مرض السرطان يكاد ينعدم لدى سكان الواحات لكثـرة تناولهم التمـر الغنى بالماغنسيـوم

٣ - الفاكهة فى جانب والنخل فى جانب:

● **﴿فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام﴾** الرحمن: آية ١١.

٤ - وكذا الحال مع حب الحصيد:

● **﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ❁ والنخل باسقات لها طلع نضيد﴾** ق: الآيتان ٩، ١٠.

ومن المؤسف حقا أن فرعون نتيجة خبث طبعه لم يجد فى النخل إلا مخلعة صلب فيها المؤمنين من السحرة الذين آمنوا برب موسى وهارون، تجد ذلك فى قوله تعالى: **﴿ولأصلبنكم فى جذوع النخل..﴾** طه: آية ٧١.

وهلك فرعون وبقى النخل رمزا للقوة والعلو والثبات والتعمير والشدة، إنها مثل المسلم شديدة ورقيقة، قوية وحنونة، نعم حنونة حتى وهى يابسة، حنت وبكت حينما تركها الرسول واتخذ منبرا، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن النبى ﷺ كان يقوم إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار: أو رجل: يارسول الله ألا نجعل لك منبرا؟ قال ﷺ: **«إن شئتم»** فجعلوا له منبرا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبى، ثم نزل النبى ﷺ فضمه إليه وهى تئن أنين الصبى الذى يُسكّن.

قال: **«كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها»** متفق عليه.

الأوكسيتوسين والحنان:

اكتشف العلماء أن هرمون الأوكسيتوسين مسئول عن رقة القلب والحنان والعطف. فحينما يكون فطور المؤمن على تمر، وسحوره على تمر يتولد لديه رقة ولين وطيب حنان.

الاستروجين والتمر:

اكتشف فى التمر هرمون الاستروجين الذى يؤثر على توازن الأملاح فى الجسم وتوزيع الدهون، ويؤثر على دورة الطمث، وله تأثير على تطور الجهاز العصبى المركزى أثناء نمو الجنين فى بطن الأم، ويؤدى نقص الهرمون إلى هشاشة العظام وقلة انقاص النطاف عند الرجال. ولذا فإن سنة التحنيك بتمر مفيد للوليد:

التمر والحب:

يحتوى التمر على عنصر الماغنسيوم المهدئ، وعنصر المنجنيز المقوى لعاطفة الحب، فالماغنسيوم يهدئ الأعصاب، ويجلب النوم ويقوى الذاكرة، ويذهب الصداع، ويزيد من مرونة الأنسجة ويعالج الحموضة.

أما عنصر المنجنيز، فقد وجد أن نقصه يؤدى إلى فقدان مظاهر الحب بين حيوانات التجارب، ويزيد السلوك العدوانى بينها.

صدق رسول الله ﷺ وهو يشبه النخلة بالمسلم، وهاهو العلم يثبت وجها من وجوه التشابه، فالبلح يضفى السكينة والهدوء على النفوس المضطربة القلقة. كما يذكر الدكتور محمد هاشم، ويقلل من المزاج العصبى الناجم عن نشاط الغدة الدرقية، والتمر يقطع السعال المزمن، وأوجاع الصدر، ويستأصل البلغم، ويولد الدم القوى، ويصلح أوجاع الظهر».

نور الصيام

شعر: محمد التهامى

هَلَّ الصِّيامُ يَسُوقُ فى خُطُوَاتِهِ   نورًا يصفى الليلَ مِنْ ظُلُماتِهِ

واشْتَدَّ فى الأيَّامِ مُنطلِقَ الخُطَى   لِيُريحَ دُنْيَانا على نَفَحَاتِهِ

فلعَلَّهُ يَدرِى بِأنَّ نُفوسَنا   ظَمْأى تَبلُّ الشَّوقَ فى عَتَباتِهِ

فلكَمْ طوانا الليْلُ فى أعماقِهِ   وأطَالَ فى أيَّامِنا وَقَفَاتِهِ

ولكَمْ دعونَا الفجْرَ يرْحَمُ ليلنا   فتضىءُ دُنْيَانا على بَسَمَاتِهِ

فأبَى وخلَّفنا لدى أهوالنا   فى الليلِ نَضْرِبُ فى غُيوبِ شَتَاتِهِ

حَادَ الطَّرِيقُ بِنَا وجانَبَهُ الهُدى   فمضَى يجُرُّ الناسَ فى عَثَراتِهِ

فى كُلِّ ركنٍ مُسلِمٌ مُتَعثِّرٌ   كُلٌّ يُحدِّثُ عن صَدَى مأسَاتِهِ

وكأنَّ كُلَّ الأرضِ قد ضَاقَتْ به   وتجمَّعَتْ لِتَسُدَّ دربَ حياتِهِ

مَنْ لم تُحَزِّقْهُ الذئابُ تَرَكْنَهُ   يَضْوِى وقد حَرَمَتْهُ مِنْ أَقْواتِهِ

عَرَّتْهُ حتَى لم يَعُدْ فى كَفِّهِ   مَا يَسْتُرُ المحظورَ مِنْ عَوَرَاتِهِ

واحْتَاجَ.. والدينُ الحنيفُ بقلبِهِ   كَنْزٌ يَفِيضُ الخيرُ مِنْ جَنَبَاتِهِ

لَوْ أَحْسَنَ الإيمانَ أرضَى ربَّهُ   وانسَاقَتِ الدُّنْيا إلى مَرْضَاتِهِ

تُعْطِيهِ نَصْرَ المهتدينَ وعِزَّهُمْ   ويُثِيبُهُ الرَّحْمَنُ فى جَنَّاتِهِ

يارَبِّ.. خَلِّ الصَّومَ يُدْرِكُ جَمْعَنَا   ويُقِيلُهُ فى الأرضِ من كَبَواتِهِ

ويَرُدُّ نَبْضَ الرُّوحِ فى إنسانِنا   فيُخَلِّصُ الإنْسَانَ مِنْ غَفَواتِهِ

يَصْحُو ويَمْتَلِكُ الحَيَاةَ بعَزْمِهِ   ويَصُونُهُ الإيمانُ فى وَثَبَاتِهِ

يارَبِّ.. مِنْ قَلْبِى وكُلِّ مَشَاعِرِى   ولسَانِ صِدْقٍ غَصَّ مِنْ عَبَراتِهِ

أدْعُوكَ يَامَنْ عَزَّ فَوقَ سَمَائِهِ   وأفَاضَ رحْمَتَهُ على مَلَكُوتِهِ

الحضارة والعلوم

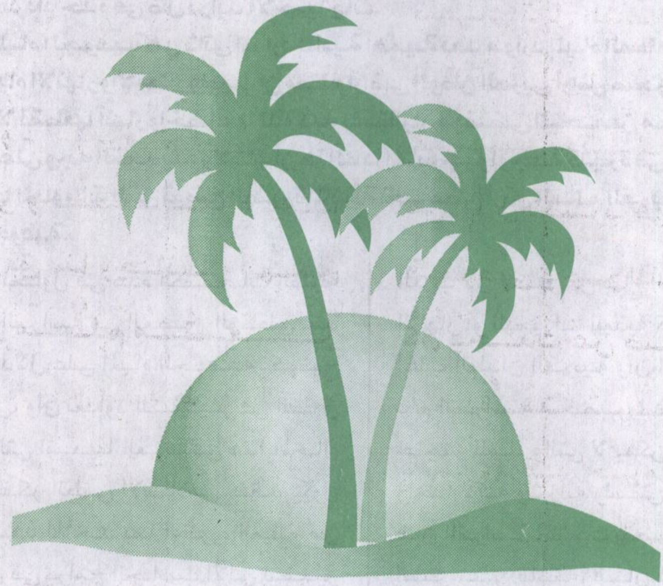

- الكشف عن الماء الجوفى عند العرب
- آيات الله فى خلق الجهاز الهضمى
- فـوائد طبـيـة للصـيـام

الكشف عن الماء الجوفى عند العرب

أ.د.عبدالفتاح مصطفى غنيمة

من الحقائق العلمية التى لاتغيب عن الأذهان أن العالم يعانى الآن بدرجة أو بأخرى من أزمات مصادر المياه العذبة ويعانى أيضا من نوعية المياه الجوفية من حيث التلوث والملوحة ومن ثم فإن أزمة المياه العذبة فى العالم العربى أزمة حادة سوف تتفاقم فى المستقبل وتزداد حدة فى ظل تزايد الاحتياجات.

ولما كانت المياه الجوفية هى ثانى الموارد المائية أهمية بعد موارد المياه السطحية المتمثلة فى مياه الأنهار والأمطار وحيث إن معظم أراضى الوطن العربى أراض صحراوية شبه قاحلة ولا تقطعها أنهار وإخضاعها للتنمية المستقبلية يقتضى البحث عن مصادر مياه جوفية على وجه التحديد. ولاشك أن هناك دراسات جيولوجية كثيرة فى هذا المضمار تليها المعلومات التى توضح الصورة المائية تحت سطح أرض العالم العربى أى صورة المياه الجوفية.

بداية نحن نحاول فى هذه الصفحات القليلة أن نتذكر علم الفراسة فى العصور الوسطى عند العرب للاستدلال على المياه الجوفية. كمنهج علمى تجريبى، وأن نعاود التفكير فى الطرق الاستدلالية التى اتبعها العرب فى هذا المجال لسبر أغوار الفكر العلمى الإسلامى، فقد يكون ذلك المنهج دافعا للأخذ بما أحرزه العالم من التقدم المذهل فى برامج الحاسب الآلى لتقدير المخزون المائى الجوفى وأعماق مناسيب المياه ووضع الأساليب والنظم التكنولوجية المتعددة لسياسات الاستقلال.

الفراسة هى الاستدلال بظاهر الشىء على باطنه وقد نجم العلماء العرب فى الفراسة لخدمة حفر الآبار ومن ثم تسخير العلوم الأخرى كالفيزياء والحيل والكيمياء للسيطرة على مرفق من مرافق الحياة اليومية ألا وهو «استخراج المياه الجوفية» من باطن الأرض ومن ثم إصعادها إلى أعلى وأخيرا تسييرها فى قنوات للرى والشرب وغيرها من الأمور المعروفة وإن موضوع الاستدلال على الماء فى باطن الأرض من القضايا التى شغلت العرب لأن الكثير من بقاع العالم العربى لا يتخللها الأنهار أو البحيرات العذبة كما تكثر الصحارى فى أغلب البلدان العربية وأن الفكرة التى تجعل أمر علم الفراسة محصورا فى الإنسان هى كثرة حاجته للماء والتى لا يمكن الاستغناء عنها يوما واحدا لأكله وشرابه ولسقى زرعه وحيواناته. ولذا فإن الفراسة اهتمت بقضية الاستدلال بظاهر الشىء على باطنه، فإن الأرض يمكن أن تكون مجالا للتفرس والاختيار، ولم لا؟ والأرض مخزن الماء يقول تعالى فى آياته البينات:

﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ المؤمنون: آية ١٨.

﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون﴾ البقرة: آية ٧٤.

﴿فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا* أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا﴾ الكهف: الآيتان ٤٠، ٤١.

﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون* وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون﴾ يس: الآيتان ٣٣، ٣٤.

﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين﴾ الملك: آية ٣٠.

فلماذا إذن لا تجرى الفراسة على الأرض، وقد أدرك محمد بن عمر الرازى «ت ٦٠٦هـ ـ ١٢١٠م» هذه الحقيقة حين جعل النوع الخامس من العلوم المناسبة لعلم الفراسة هو حكم استخراج المياه الجوفية فى البقاع السهلية والجبلية لإخراج أكبر قدر منها ورفعها إلى وجه الأرض، وعنده أن الأصل الذى عليه مدار هذه الصناعة هو معرفة سمات سطح الأرض بألوانها وخواصها: ولعل من يعتقد أن الوصول إلى استخدام الفراسة فى باطن الأرض إنما جاء متأخرا فى القرن السابع الهجرى مثلا، ولكن العودة إلى مراجع اللغة يضع أمامنا العديد من المصطلحات التى تندرج تحت باب الاستفادة من الفراسة فى الاستدلال على مافى باطن الأرض، فجوَّاب الفلاة مثلا هو الذى يختار أماكن صخرية معينة ولها سمات ليحفر سطحها ويستنبط الماء منها، والعياف تطلق على الدليل الذى يعرف موضع المياه فى الأرض، والقنقن هو الإنسان الذى يمتهن التفتيش عن المياه إلى تحديد مواضعه فى باطن الأرض وأحيانا يتعدى عمله مجرد التفتيش عن المياه إلى تحديد موضعها فى باطن الأرض وحتى تحديد كميته.

وجعلوا من صفات وظيفة القنقن المميزة الحس الكامل بمكان وجود الماء، ومن ثم التصور الشامل لطبيعة المياه فى باطن الأرض بعدا وقربا، عذوبة وملوحة ومرارة وغيرها، وتلك لا تتوافر إلا بكثرة الممارسة والتجربة وللأذكياء من القوم حسب مفهومهم، فكأن وظيفتهم تماثل عمل المهندسين والجيولوجيين المختصين بعلوم المياه الجوفية فى زماننا Hydroscope Sourcier ولكن أدواته هى فراسته، فهل لنا أن نرقب عمل قنقن يبحث عن المياه فى منطقة معينة..؟

وجدير بنا أن نشير بهذا الصدد إلى أن اليونانيين استدلوا على مكان وجود المياه فى باطن الأرض باستعمال عصا سموها «القضيب السحرى» يحمله شخص بوضعية معينة ويتفرسه ويحدد منطقة لاستنباط الماء منها وخبرته قد تكون متوارثة فى هذا الشأن، أما عند العرب فقد سلك القنقن عدة وسائل لتحديد مكان المياه ونوعيتها وكميتها حيث يعنى بظاهر الأرض وجبالها ووديانها وصحرائها. وكثيرا ما كان يجرب التجارب التطبيقية العملية ويجرى عملية المقارنة بين مكان وآخر لإثبات ما توصل إليه، وهناك أربع طرق للاستدلال على الماء هى الاستدلال بالنبات، وشم التراب والثالثة باستقراء ظواهر سطوح الأرض والجبال والرابعة بالسماع.

الاستدلال على الماء بالنبات

لقد كانت معارف العرب عن النبات متميزة، فكان وجود أنواع من النبات فى أماكن معينة دليلا على وجود المياه فى تلك المنطقة، فما على القنقن إلا أن يعرف أنواعها ويتعرف إليها ويصنفها ليحدد فائدتها فى الكشف عن المياه، فالقنقن بدوره يعمل على نظمها فى مجموعات كما يلى:

١ـ نباتات لا يستقيم لها حال إلا إذا وصلت جذورها إلى الماء، فحيث رأيت هذا النوع من النبات فاحفر متبعا جذر النبات فستصل حتما إلى نبع ماء، فنبات الحاج ـ العاقول ـ مثلا تغور أصوله حتى تصل إلى الماء، وقد ذكر الحاسب الكرخى (متوفى ٤٢١هـ ـ ١٠٢٠م) أنه شاهد واحدة منها طولها خمسة عشر ذراعا وأن أصلها كان فى نهر دجلة، وروى خبرا آخر عمن حفر بئرا فى الصحراء ذات حاج اتصلت عروقها إلى أن وصل للماء بعد خمسين ذراعا.

٢ ـ نباتات يدل وجودها على قرب الماء وعذوبته، كالقصب والثيل والحلفاء والسرو، والبطن، والعليق والعوسج الصغير لاسيما إذا نمت فى الصيف والخريف وذلك أن جذورها تغور بعيدة فى الأرض باحثة عن الماء وأضاف المسعودى (متوفى ٣٤٦هـ ـ ٩٥٧م) إليها اللين من الحشيش، وجعلها دالة على قرب الماء لمن أراد الحفر وما عدا ذلك فعلى البعد.

٣ ـ نباتات تدل على رطوبة الأرض مع قلة الماء مثل لسان الثور والبابونج والخطمى وكزبرة البئر وأكليل الملك والخبازى والحندقوق وحى العلم والدوقس والسعدى والثيل والخروع والضمران (الضومران) والأسل ونبات دم الأخوين.

٤ ـ نباتات تدل على أن الأرض ذات ماء فقط كالحرشف والحمض التى لا تنمو إلا على ماء التوأب والعوسج المستوى القضبان الذى لا يمكن أن ينمو إلا على أرض ذات ماء.

٥ ـ نباتات لا تنمو إلا فى الأرض الرطبة كمثل الطرفاء والبردى والساق والحماض ولسان الحمل والعليق، واحتمال الماء فيها قائم.

٦ ـ نباتات تدل على بعد الماء مثل العوسج الكبير الذى ينبت فى الأرض القشفة البعيدة الماء.

ولم يغب عن بال القنقن أنه بمقدار غضاضة وطراوة تلك النباتات ونضرتها وخضرتها وكثرة أغصانها والتفاف ورقها وعروقها، يكون الماء قريبا أو بعيدا، وكذا كميته كثيرة أو قليلة فى جوف الأرض.

الاستدلال على الماء بشم التراب

ويمكن أن يستدل على أمكنة وجود الماء عن طريق شم تراب المنطقة التى يراد الحفر فيها، إذاً لكل بقعة من الأرض رائحة خاصة بها، يعرفها الماهرون والمدربون فى هذه الصنعة، فإذا كان ريح التراب مثل ريح الطين المستخرج من السواقى والأنهار الدائمة التى تجف على حافتها أوحت أن المياه على أذرع يسيرة فى غور الأرض، ومثل ذلك العفن الذى تماثل رائحته رائحة الطحالب. وإن كانت رائحة التراب كرائحة التراب القشف الدائم الجفاف، دلت على أن الماء إما بعيد الغور أو لاماء فى المنطقة، وقد أورد الإدريسى (٤٩٥ ـ ٥٦٠هـ ـ ١٠٩٩ ـ ١١٦٦م) خبر ذلك التاجر الذى كان يبيع بضاعته فى بغامة من أرض السودان. وحين بلغ منه العطش أشده، طلب إلى الدليل البربرى أن ينقذ حياته بقطرات من الماء، ونعى نفسه إلى الدليل لأنه سيموت ورفاقه عطشا، فما كان من الدليل البربرى إلا أن أخذ غرفة من تراب الأرض وشمه وتبسم وطلب إلى أهل القافلة أن يستريحوا فإن الماء معهم وأخذوا يحفرون وبعد نصف قامة ظهر لهم ماء كثير.

ويقودنا هذا إلى العلامات الدالة على الماء من ظاهر التربة، فإن نعومة وخشونة وجهها تدلان على إمكانية وجود ماء فيها، فكل منخفض من الأرض ذى طين أسود ودسم فهو ذو ماء، وأكثر ذلك يوجد فى هوات ومغارات إذا كان قرارها مسترخى التربة، وإن كانت الأرض قاحلة مسترخية التربة، وإن كانت الأرض قاحلة يابسة مدرها مثل الخزف كانت عديمة الماء، ولإثبات ذلك يبلل ترابها، فإن كان طينها كطين الخزف كانت عديمة الماء والنداوة، أما إذا كان على وجه الأرض صخور زاهية طولا وعرضا، قليلة السمك، فهى قليلة الماء وكذا الأرض الكثيرة الرمل والرضراضة والخشنة التراب، ولمزيد من التأكيد يعجن تراب الأرض، فإن كانت صمغية دل ذلك على أن الأرض ريانة وفيها ماء وإلا فالأمر عكس ذلك.

الاستدلال على الماء باستقراء ظواهر سطوح الجبال

يرى الكرخى أن لون الجبال ينبئ عن الماء فيها،

فالجبال السوداء ذات اللون الأسود والرخوة الحجارة والطبقية التكوين، (عريضة وضخمة من الأعلى)، أو حجرها كثير متبدد وصخورها قائمة كأنها ناتئة يكون الماء فيها أكثر وأغزر من الجبال ذات اللون الأخضر أو الصفراء أو الحمراء لاسيما إن ظهر على سطحها ندى فى الصباح الباكر. وفى آخر ساعات النهار يلحظ بالعين ويلمس باليد. ويمكن التثبت من نداوتها وتعرقها بنثر تراب ناعم على وجه حجارة تلك الجبال وينظر عند المساء فإن تندى التراب ففيه ماء قريب من وجه الأرض، وبقدر كثرة الماء فى الجبل وقربه من ظاهره تكون كثرة الندى، وإن كان الماء قليلا أو بعيدا، كان الندى قليلا وضعيفا. أما الجبال البيضاء فإنه لا ماء فيها.

ومن ناحية أخرى، فإن الجبال المتصلة بعضها مع بعض والتى تتخللها الشعاب وتظللها الأشجار غالبا ما تكون أوفر حظا من الجبال المنفردة اليابسة والمزدحمة الصخور باحتوائها على المياه لأن النوع الثانى من الجبال لا تستديم الثلوج عليها لمدة طويلة فلا تنفذ المياه منها إلى باطن الأرض إلا قليلا.

وفى الجبال المتصلة ينظر إلى الشقوق التى فى ظاهر الجبل أو الأرض، فإن كانت شبه الجليد فذاك حفيف الهواء وإن كانت ندية والبخار طالع منها فذلك حفيف الماء، ثم إن نمو بعض النباتات مما لا يزرع على الجبال لدليل على وجود المياه فيها، وكذا مشاهدة آثار قنوات مائية نحتتها المياه الجارية فوقها فى موسم الشتاء أو عند ذوبان الثلوج بحيث تتصل تلك المسايل أو المخرات بشعاب الجبال ولا يرى أى مخرج لها.

الاستدلال على وجود الماء بالسماع

وغالبا ما يقوم بذلك فيميز بالاستماع بين دوى الريح فى باطن الأرض، والدوى الذى يعقبه خرير الماء أو حفيفه فى جوف الأرض وغالبا ما يختار القنقن مكانا بعيدا نديا معشبا، ويستمع الأصوات فى شعاب الجبال والبطاح، وبقدر قوة تمييزه بين الأصوات يستطيع أن يحدد قرب الماء أو بعده، وإن تعذر عليه ذلك فينظر إلى الدوى، فإن استمر على حالة واحدة عند إطالة الاستماع له ويكون كالدوى فى غور من الجبال فذاك صوت الماء، وإن سكن تارة وهاج أخرى فهو صوت الريح، لأن الأرض الخالية من الماء يدب فى خللها الهواء ويخرقها فيسمع صوته. وقد أوضح الكرخى هذه المسألة عندما وصف مكانا مرملا فى سفح جبل، قرب نهاوند، يسمع منه أوقات مثل دوى الريح وبعد سماع ذلك يفيض منه ماء يجرى إلى حضيض الجبل فيسقى المزروعات.

وأورد البيرونى (٣٥١ - ٤٤٠هـ - ٩٦١ - ٢٠٤٨م) أن أهل اليمن ربما حفروا البئر فبلغوا صخرة حسبوا أن تحتها ماء فينقرونها نقرة يعرفون بصدى صوت نقرهم مقدار الماء تحتها، وأشار إلى مثل ذلك صاحب كتاب «الاستبصار فى عجائب الأمصار»، عند وصفه لمدينة ورجلان من غانة، فذكر «أنها كثيرة الماء ولها أعجوبة ليست فى موضع من الأرض، يحفر الرجل بئرا، فيجد طبقا من حجر صلد فيستبشر عند وجوده ويطعم أولياءه فرحا ويدخل إليه من يعرف كيف ينقره».

هذه نماذج من إخضاع البيئة للسيطرة الإنسانية أبدع العلماء العرب فيها، واستفادوا مما من شأنه أن يجعل الحياة ميسورة ولكن بالجهد والعمل الدءوب، وهل أتاك حديث المسعودى (ت٣٤٦هـ - ٩٥٧م) حين قرر أن قرى النمل تدل على وجود الماء من عدمه، فإن كانت النمال غلاظا سوداء، ثقيلة المشى دلت على قرب الماء، وإن كانت النمال على عكس ذلك وسريعة المشى كان الماء بعيدا، وذهب إلى أن النمل يدل أيضا على عذوبة الماء وملوحته فى المنطقة.

آيات الله فى خلق الجهاز الهضمى

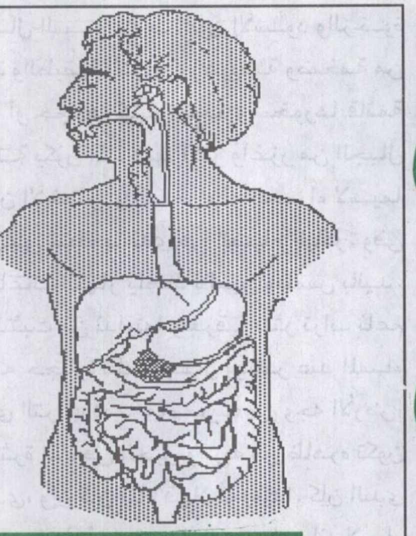

الجهاز الهضمى

أ. د/ عبدالمعبود عمارة

قال الله تعالى: ﴿مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم﴾ محمد: آية ١٥.

وليس هناك ألم أشد وأعنف من ألم تقطع الأمعاء وخاصة إذا كان بالماء الحميم «غذاء أهل النار» والعياذ بالله تعالى.

والأمعاء جزء من الجهاز الهضمى الذى خلقه الله تعالى بصبغته هو **﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾**.

والجهاز الهضمى جهاز يحتوى على أعضاء متعددة فمنه ما يقوم بمضغ الطعام كالفم والأسنان ومنه ما يقوم بالبلع كالبلعوم والمرىء ومنه ما يقوم بالهضم كالمعدة ومنه ما يقوم بالامتصاص للمواد الغذائية كالأمعاء الرفيعة ومنه ما يجمع الفضلات ويلفظها خارج الجسم كالأمعاء الغليظة والشرج، فسبحان من خلق فسوى والذى قدر فهدى، **﴿خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾** النحل: آية ٤.

أى أن خلق الإنسان الدقيق الصنع وما فيه من عقل وسمع وبصر وإحساس وعشرات الأجهزة المتخصصة إنما جاء من نطفة أى خلية واحدة قسمها الله تعالى إلى كل هذه الأجهزة العجيبة الصنع وإذا بالإنسان يبارز ربه بالمعاصى ويسخر هذه النعم الإلهية فى البغى والعدوان **﴿إنه كان ظلوما جهولا﴾**.

﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾ الدهر: آية ٢.

ويتكون الجهاز الهضمى من:

١ - **القناة الهضمية:** الفم والبلعوم، والمرىء،

والمعدة والإثنى عشر، والأمعاء الدقيقة والأمعاء الغليظة.

٢ ـ **ملحقات القناة وهى:** الأسنان، اللسان، الغدد اللعابية، والكبد والبنكرياس، والغشاء البريتونى.

الفم: وهو عبارة عن دهليز أمامى، والفم الحقيقى خلف الأسنان وينتهى الفم الحقيقى من الخلف بالبلعوم، واللسان يقوم بالمساعدة فى عمليات المضغ والبلع والتذوق والكلام، والبلعوم يساعد فى عمليات البلع فيدفع الطعام إلى المرىء، والمرىء عبارة عن أنبوبة عضلية طولها حوالى ٢٥ سم وتبدأ من أمام الفقرة العنقية السادسة، ثم يمر فى التجويف الصدرى خلف القلب.

ويخترق الحجاب الحاجز حيث يفتح فى المعدة.

المعدة: عضو الهضم الذى يهضم كل شىء ولا يهضم نفسه وهى عبارة عن عضو أجوف كمثرى الشكل، ويتغير شكله وحجمه تبعا لكمية الطعام الذى يحتويه ويتركب جدار المعدة والأمعاء من الطبقات الآتية من الخارج إلى الداخل:

١ ـ **الطبقة الصلبة البريتونية:** وتغطى المعدة من الخارج.

٢ ـ **الطبقة العضلية:** وتتكون من ثلاث طبقات من العضلات اللاإرادية (طولية ـ دائرية ـ منحرفة).

٣ ـ **الطبقة تحت المخاطية:** وهى طبقة توجد بها الأوعية الدموية والليمفية والأعصاب.

٤ ـ **الطبقة المخاطية:** وهى تبطن المعدة من الداخل وتحتوى على عدة أنواع من الخلايا المخاطية، وخلايا تفرز حامض الهيدروكلوريك، وخلايا تفرز الأنزيمات الهاضمة مثل الرنين والببسين ويتحكم فى إفراز المعدة الجهاز العصبى اللاإرادى.

الأمعاء الدقيقة: وفيها يتم امتصاص المواد الغذائية بواسطة خملات الأمعاء وطولها ٦ أمتار تقريبا وتبدأ بالإثنى عشر فى نهاية المعدة وتنتهى باتصالها بالقولون الصاعد عند الفتحة الأعورية، وترتبط الأمعاء الدقيقة بجدار البطن الخلفى برباط بريتونى يسمى مساريقا الأمعاء.

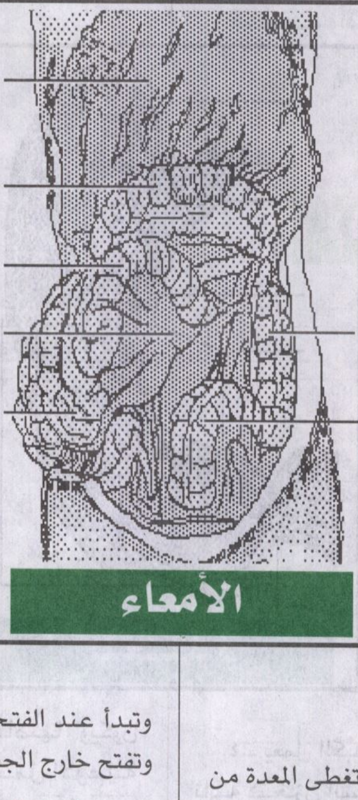

الأمعاء

وتنقسم الأمعاء الدقيقة إلى الاثنى عشر، والصائم، واللفائفى ويمتاز الغشاء المخاطى للأمعاء بكثرة ثناياه واحتوائه على خملات تساعد على امتصاص المواد الغذائية.

الأمعاء الغليظة (القولون): ويتم فيها تجميع الفضلات تمهيدا لطردها. وهى الجزء الأخير من القناة الهضمية، ويبلغ طولها حوالى ١,٥ متر وتبدأ عند الفتحة الأعورية، وتنتهى بفتحة الشرج وتفتح خارج الجسم.

وتنقسم الأمعاء الغليظة إلى:

١ ـ **القولون الأعور**، وتوجد به الزائدة الدودية.

٢ ـ **القولون الصاعد** فى الناحية اليمنى من البطن.

٣ ـ **الانثناء الكبدى** وهو أسفل الكبد فى الناحية اليمنى.

٤ - القولون المستعرض: (٥٠ سم) ويمر من اليمين إلى اليسار.

٥ - الانثناء الطحالى: بجوار الطحال فى الناحية اليسرى.

٦ - القولون النازل: فى الناحية اليسرى من تجويف البطن.

٧ - القولون الحوضى: ويوجد بالحوض أسفل البطن.

٨ - المستقيم: وينتهى بفتحة الشرج.

٩ - قناة الشرج: وطولها ٤ سم، وتنتهى بفتحة الشرج وتتحكم فيها العضلات العاصرة والتى تتحكم فى عملية التبرز.

غشاء البريتون: كيس مصلى يبطن تجويف البطن ويغطى معظم الاحشاء، ويحتوى تجويف البريتون على سائل مصلى يسهل حركة الأحشاء بعضها على بعض أثناء الهضم، كما يختزن الدهون فى ثناياه ويحتوى على خلايا آكلة لها القدرة على مهاجمة الميكروبات التى قد تصل إلى تجويف البطن وعزلها عن باقى الأعضاء ثم امتصاصها، ويكون الغشاء البريتونى أربطة وثنايا تحمل الأوعية الدموية، والأعصاب والغدد الليمفاوية للأحشاء مثل مساريقا الأمعاء.

الغدد اللعابية: وهى غدد ذات قنوات تفرز اللعاب فى تجويف الفم، ويحتوى اللعاب على بعض الإنزيمات الهاضمة والمظهرة وتشمل الغدد اللعابية ثلاثة أزواج: الغدتان النكفيتان أمام وأسفل صوان الأذن، والغدتان تحت الفك السفلى، والغدتان تحت اللسان. وهذه الغدد تساعد فى ترطيب الفم ومضغ وبلع الطعام.

الكبد: هو أكبر غدة فى الجسم ويزن حوالى ١,٥ كيلو جرام فى الشخص البالغ ويقع فى تجويف البطن الأعلى من الناحية اليمنى تحت الحجاب الحاجز.

«وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد»

فوائد الكبد: المصنع الكيميائى الكبير

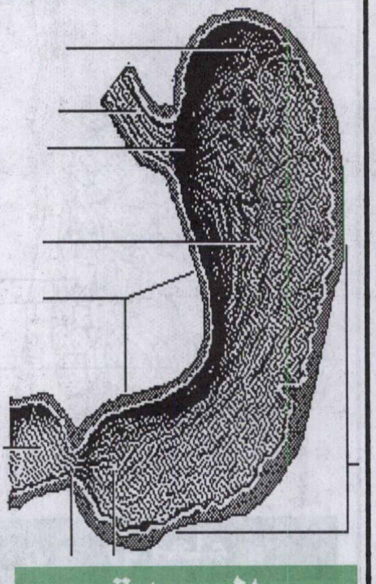

المعدة

١ - إفراز العصارة الصفراوية التى تساعد على هضم المواد الدهنية وتنشيط الأنزيمات الهاضمة للطعام مثل عصارة البنكرياس.

٢ - استخلاص السموم ومعادلتها وإبطال مفعولها والتخلص منها عن طريق إفرازها مع العصارة الصفراوية.

٣ - يلعب الكبد دورا هاما فى عملية التمثيل الغذائى التى تجرى على المواد الكربوهيدراتية والبروتينية والدهنية.

٤ - يعمل الكبد على إبقاء نسبة السكر فى الدم ثابتة فيخزن السكر الزائد عن الحاجة على هيئة نشا حيوانى «جلوكوچين» ثم يحولها عند الحاجة إليها إلى سكر مرة أخرى.

٥ - يكوِّن الكبد معظم بروتينات الدم كما يصنع الأجسام المضادة للميكروبات.

٦ - الكبد أحد مصادر إنتاج الحرارة فى الجسم وذلك لأن النشاط الكيميائى الهائل فى الكبد يصحبه إنتاج للحرارة.

من فوائد الصوم تنشيط الجهاز الهضمى وعلاج أمراض القولون وعسر الهضم

الحوصلة الصفراوية: كيس صغير كمثرى الشكل يوجد على السطح السفلى للفص الأيمن للكبد سعته حوالى ٥٠ سم٣ وتفتح القناة الصفراوية مشتركة مع قناة البنكرياس فى الاثنى عشر، وتقوم الحوصلة الصفراوية بتخزين وتركيز العصارة الصفراوية لاستخدامها فى هضم المواد الدهنية.

غدة البنكرياس: «مصنع الأنسولين»

توجد على جدار البطن الخلفى وتقع فى أحضان الاثنى عشر وله نوعان من الافرازات:

١ - إفراز خارجى: وهو عبارة عن الأنزيمات الهاضمة للطعام.

٢ - إفراز داخلى: وهو عبارة عن هرمون الأنسولين والذى يفرز من «جزر لانجرهانز» ويمر إلى الدم مباشرة، والأنسولين هو المسئول عن التمثيل الغذائى للمواد السكرية وإذا نقص هذا الهرمون أصيب الإنسان بمرض السكر.

ومن أمراض المرىء: دوالى المرىء: وهى عبارة عن تضخم من أوردة المرىء نتيجة ارتفاع الضغط فى الوريد البابى، وقد تصاحب بقىء دموى أو براز دموى أو كلاهما. وهو مرض ينتج عن إصابة الكبد بالتليف نتيجة للإصابة بالبلهارسيا أو تليف الكبد نتيجة للإصابة بفيروسات الكبد أو شرب الخمر مثلا والعلاج فى الوقاية من أسباب التليف والالتزام بنظافة البيئة والاهتمام بالتعقيم والقضاء على البلهارسيا. وينقل المريض المصاب بنزيف دوالى المرىء «القىء الدموى» إلى أقرب مستشفى للجهاز الهضمى فورا، ويعتبر الوقت عاملا مهما فى انقاذ حياة المريض.

ومن أمراض المعدة: قرحة المعدة الحادة أو المزمنة وكذلك قرحة الاثنى عشر وهى عبارة عن تاكل فى الطبقة المخاطية للمعدة أو الاثنى عشر بالأحماض المعدية وإنزيم البيسين والمريض يشكو من ألم وحرقان فى المعدة وقد يصاحب بقىء أو براز دموى ويصاحب هذا غالبا بالإمساك.

وعلى المريض أن يتوجه إلى الطبيب المختص عند ظهور أحد هذه الأعراض.

ومع العلاج الذى سيصفه الطبيب على المريض أن يتبع التعليمات الآتية أثناء وبعد العلاج.

الشهر الأول:

الأسبوعان الأول والثانى: راحة تامة فى الفراش. يؤخذ كوب لبن محلى بالسكر مع العيش الطرى وذلك كل ٣ ساعات ابتداء من الساعة السابعة صباحا حتى العاشرة مساء.. وكذلك مرة أخرى أثناء الليل إذا استيقظ المريض. يضاف لكل لتر لبن ملعقة صغيرة من سترات الصودا أثناء غليانه.

الأسبوعان الثالث والرابع: راحة تامة.

١ - الإفطار فى الساعة السابعة صباحا ويشمل كوب لبن وزبدة طازجة وقشدة وبيض نصف مسلوق (برشت)، ٢ - كوب لبن فى الساعة العاشرة صباحا، ٣ - الغذاء فى الساعة الواحدة ويشمل كوب لبن وبطاطس بوريه وكوسة مسلوقة وبيض نصف مسلوق أو قلب خرشوف مسلوق والحلو ليمون حلو أو برتقال سكرى أو مهلبية.

٤ ـ كوب لبن فى الساعة الرابعة بعد الظهر، ٥ ـ العشاء فى الساعة السابعة مساء وهو مثل الغداء، ٦ ـ كوب لبن فى الساعة العاشرة مساء وفى أى وقت أثناء الليل إذا استيقظ المريض.

الشهر الثانى:

عمل خفيف يستمر نظام الأكل كالمتبع فى الأسبوعين الثالث والرابع مع إمكان زيادة:

١ ـ العسل الأبيض، المربى المهروسة، والفول المدمس بدون قشر، ويوضع عليه زيت أو زبدة فى الإفطار،

٢ ـ فى الغداء والعشاء تضاف اللحمة الحمراء المفرومة بصفة كفتة بدون بصل أو صدر دجاجة أو أرنب أو سمك مسلوق، والمكرونة والأرز والفاكهة المطبوخة،

٣ ـ يؤخذ كوب لبن فى الساعة العاشرة صباحا والرابعة بعد الظهر وأثناء الليل.

تعليمات عامة لمرضى القرحة بعد الشفاء:

١ ـ يجب تناول كوب لبن فى الساعة العاشرة صباحا والخامسة بعد الظهر وعند النوم ومرة أثناء الليل إذا أمكن وذلك بالإضافة إلى الوجبات الثلاث اليومية.

٢ ـ يجب تناول الغداء ببطء والمضغ جيدا والاستراحة نصف ساعة على الأقل بعد كل وجبة.

٣ ـ يجب تجنب الانفعالات النفسية وانشغال الفكر والاستفادة بأيام الإجازات للراحة والترويح عن النفس، كما يجب تجنب المجهود الجسمانى الشديد.

٤ ـ يجب العناية دائما بنظافة الفم والأسنان.

٥ ـ يجب الامتناع بتاتا عن التدخين وشرب الخمر والإسبرين ومشتقات الكورتيزون والبوتازوليدين.

٦ ـ تجنب المخللات والحراقات والتوابل والخل وينبغى ألا يكون الأكل شديد البرودة أو السخونة.

٧ ـ تجنب الأغذية العسرة الهضم مثل اللب والفول السودانى والخيار واللفت والفجل والبقدونس والجرجير والكرات والسبانخ.

٨ ـ اتصل بالطبيب المعالج مرة أخرى إذا شعرت بنفس الأعراض أو بهبوط عام مفاجئ أو ألم شديد أو إذا تبرزت برازا أسود لازجا.

٩ ـ عد إلى العيادة مرة كل شهر لمدة الأشهر الستة الأولى ثم مرة كل ثلاثة أشهر بعد ذلك.

الوقاية خير من العلاج فمن يشكو من التهاب القولون عليه تجنب الوجبات الدسمة والمواد الحريفة

ومن أمراض الأمعاء: التهاب القولون الحاد والمزمن، ويشكو المريض من الانتفاخ والمغص وقد يصاحب بنزلات الإسهال أو الإمساك والوقاية خير من العلاج بأن يتجنب المريض الأكلات المسبكة بالدهون والتوابل والمخللات وتجنب مرض السمنة القاتلة والتدخين، كما يجب غسل الخضروات والفواكه جيدا لتجنب الإصابة بالطفيليات المعوية وتجنب المأكولات والمشروبات من المصادر الملوثة كالتى تتناولها الباعة الجائلين وذلك لتجنب أمراض الجهاز الهضمى مثل الدوسنطاريا الأميبية والباسيلية والتيفود والكوليرا

وشلل الأطفال والتهاب الكبد الوبائى أ، هـ (A,E)، ويجب عرض المريض على الطبيب المختص فور ظهور أى أعراض مرضية لقوله ﷺ **«ياعباد الله تداووا»**، والاهتمام بنظافة البيئة والنظافة الشخصية لقوله تعالى: **﴿وثيابك فطهر﴾**، وقوله تعالى: **﴿وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود﴾**.

طهر الله أجسامنا وقلوبنا من أمراض البدن ومن أمراض القلوب ورطب ألسنتنا وأفئدتنا بذكره إنه سميع مجيب.

تيقن الأطباء فى الغرب إلى فوائد الصيام فنصحوا به كعلاج من بعض الأمراض

الصوم والجهاز الهضمى:

للصوم فوائد دينية كثيرة وفوائد روحية، فكل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لله تعالى وحده وهو يجزى عليه جزاء الكرماء.

ومع هذا فللصوم فوائد صحية كثيرة منها تنشيط الجهاز الهضمى، وتجديد شبابه، وإعطاؤه فترة راحة من مشاكل الهضم، والصوم يساعد فى علاج الكثير من أمراض السمنة، والسكر، وارتفاع ضغط الدم، وأمراض القلب، وتصلب الشرايين، ويخفض الكوليسترول ودهون الدم، ويعالج أمراض القولون وعسر الهضم. كما يساعد الصوم فى علاج أمراض المفاصل والنقرس (داء الملوك)، ولقد استيقظ أطباء الغرب لفوائد الصوم فأصبحوا ينصحون به المرضى لعلاج أمراض متعددة.

ورسولنا الكريم، وهو طبيب الأبدان والقلوب يحذر من ملء البطون بالأطعمة، وأن المعدة هى بيت الداء ويخبرنا فى معنى الحديث الشريف: بأن أمة محمد هى أمة لا تأكل حتى تجوع وإذا أكلت لا تشبع، وبحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، وأن ابن آدم يجب أن يجعل فى معدته مكانا للهواء ومكانا للماء ومكانا للطعام، وبذلك يصبح التنفس سهلا ومريحا.

وعلينا نحن أمة محمد ﷺ أن نكثر فى شهر الصوم من ذكر الله تعالى، ومن الصدقات بأنواعها، والعطف على الفقراء والمحتاجين، وصلة الأرحام، وتجنب الإسراف فى الأكل والشرب فإن الإسراف يورث التخمة ويجلب الأمراض، ورمضان شهر القرآن والصيام والذكر والعطاء والطهارة القلبية والجسدية، وليس شهرا للإسراف واللهو واللعب والشيطان.

نسأل الله تعالى أن يطهرنا من كل سوء وأن يوفقنا لما يحب ويرضى، وأن يجمع قلوب المسلمين على كلمة واحدة حتى يعيد الله علينا رمضان وقد تحرر القدس الشريف من أيدى القتلة والسفاحين.. إنه سميع مجيب.

المراجع:

١ ـ كتاب الله تعالى.

٢ ـ كتب التشريح والفسيولوجيا المصرية والأجنبية.

٣ ـ أمراض الجهاز الهضمى أ. د. ميشيل صليب ١٩٦٧م الطبعة الخامسة ـ مكتبة النصر الحديثة ـ القاهرة.

فوائد طبية للصيام

د. السيد الجميلى

هناك حالات تمثل مشكلات طبية شديدة الإعضال، كثيرة الإزعاج، معقدة أشد التعقيد وربما كانت بواعثها غير خطيرة وغير حادة ولكن النمط الذى يعيش به المريض وسلوكه الصحى لا يتناغم ولا يتناسب مع موجبات العلاج الحاسم.

أكثر الحالات فى بعض الأحيان لا تحتاج أكثر من تنظيم وتنفيذ لتعليمات الأطباء المعالجين، مع الدقة والمتابعة بمراجعة المعالجين بين فينة وأخرى.

ولوحظ أن صيام شهر رمضان يعتبر علاجا أمثل فى أغلب الحالات التى تحتاج إلى التخفف من أثقال وأعباء التخمة والبطنة والترهل، مع شديد الحاجة ومسيس الإلحاح على الخروج من دوائر الكبت والضغوط النفسية المترسبة والمتراكمة فى أطوار النفس على مدار السنة.

إن التسامى الروحى، والصفاء الوجدانى، والشفافية الإيمانية كل هذا كفيل بأن ينتشل المريض وينقذه من أهوال وأزمات نفسية تقف وراء كثير من الأمراض النفسجسمية وغيرها من أوصاب الروح والبدن على حد سواء.

الصيام علاج أمثل للسمنة

إن الصيام هو العلاج الأمثل المختار للبدانة والترهل الذى ينطوى على أخطار شديدة الشراسة على المدى القريب والبعيد وهى غير مأمونة العواقب.

إن للبدانة المفرطة ضررا على القلب والجهاز الدورى، والغدد الصماء وغيرها من الأحشاء.. ويكون هذا كله بسبب ما يعترى البدن ويعتور الأعضاء من ادخار الطاقة العالية والمحافظة عليها واختزانها، والاقتصاد فى إهدارها، فتكون حصيلة الطاقة المكسوبة أضعاف أضعاف المهدرة مما يتزايد معها وزن الجسم الذى قد يصل آمادا بالغة الخطورة تهدد الحياة.

وثبت أن الطريقة الفضلى، والوسيلة المثلى لعلاج البدانة، ودرء أخطار مضاعفاتها تتمثل فى الجوع والصيام ومضاعفة المجهود، وذلك بزيادة الحركة والإحجام عن العقاقير ما أمكن ذلك؛ لتفادى آثارها السلبية على القلب وغيره، إلا فى حالة الاضطرار القصوى التى يتحتم ويتوجب تقريرها فيما يقتضى ذلك من حالات متقدمة، ولابد أن يكون ذلك تحت إشراف طبى مباشر، ومباشرة دقيقة ومتابعة متصلة.

والصيام هو العلاج المأمون والمضمون بلا ريب إذا ما قورن بالعقاقير والأدوية التى لا يخلو كثير منها من كثير من العوارض السلبية والآثار الجانبية.

من آثار السمنة وكوارثها إصابة البدن بمرض السكر حيث لم تعد كمية الأنسولين المفرزة من البنكرياس كافية لإحراق السكر المتولد بكميات كبيرة فوق المعدل المعتاد بالدم، وقد يبلغ ارتفاع الجلوكوز بالدم مبلغا عاليا يتجاوز الحدود

الطبيعية بدرجة يدخل معها المريض فى غيبوبة سكرية فى بعض الأحيان Hypergly Caemic Coma .

هذا فضلا عن ارتفاع ضغط الدم، وتصلب الشرايين Athero Sclerosis وقصورها، وحصوات المرارة، وترسيب الدهون بالكبد، وارتفاع معدل الدهون بالدم Hyperlipo Proeinaemia وتيبس مفاصل الركبتين وضمورها.

ويعتبر الصيام من أنجح الوسائل فى علاج تصلب الشرايين التاجية بالقلب Coronary Arteries وهو التطور المخيف الذى يكمن خلف تسبيب الذبحة الصدرية Angina Pectoris ويكون ذلك توطئة لحدوث الذوى القلبى Myocardial in Farction بأنواعه وحالاته الخطيرة التى تدهم المريض وتزج به إلى آتون الحرج ودائرة الفزع.

الصيام من أنجح الوسائل فى علاج تصلب الشرايين والوقاية من الذبحة الصدرية

ولاشك تتعكس حالة تصلب الشرايين على المخ وعلى القلب والجهاز الدورى والشرايين الطرفية Heart and Peripheral Arterial angio pathy.

ومن الضرورى الإشارة إلى أن ارتفاع ضغط الدم وارتفاع نسبة البولينا والكرياتينين هى الصورة الطبيعية للتطور التلقائى للحالة.

الصوم وتأثيره فى الغدد الصماء

ثم إن للصوم تأثيرا نافعا منتجا على إفراز الهرمونات من الغدد الصماء مثل الغدة النخامية Pituitary Gland والغدة الدرقية Thyroid والغدة التيموسية Thymus Gland والغدة فوق الكلوية Sy-prarenal Gland والبنكرياس Pencreas والخصيتين عند الرجل والمبيض عند المرأة.

واكتشف الباحثون من علماء الأطباء أن هرمون إدرار البول Diuretic Hormone المفرز من الغدة النخامية قد ينقص تركيزه فى الدم بسبب نقص إفرازه من خلايا النخامية، من ثم يكون هذا السبب وراء فقدان كمية كبيرة من الماء ربما لا يستطيع الشخص احتمال هذا النقص فى بعض الأحيان، من ثم كان الصوم ـ فى هذه الحالة ـ شاقا عليه ومتعذرا كل التعذر.

كذا ثبت بالتجارب العملية أن المرضى المصابين بمرض أديسون Addison"s Diseas هم الآخرون يعانون من نقص أيون الصوديوم Hy-ponatraemia وهذا مرجوع إلى إصابة الغدة فوق الكلوية وقصورها Suprarenal Affec-tion ولابد من توابع ذلك المتعددة أظهرها انخفاض ضغط الدم، والوهن والضيق وهذا المريض يصعب عليه تحمل الجوع ساعات طوالا.

أما مريض السكر فليس حكم الصيام ثابتا لآحاد المرضى ولكنه شديد التفاوت من حالة إلى أخرى وهذا مرده إلى اختلاف درجته وشدته من حالة إلى أخرى حسب تاريخ المرض ونوعه وقوة عارضته وعمر المريض ووجود أية أعراض مصاحبة معه من عدمه، ومدى احتمال المريض النفسى والبدنى من عدمه وقبل ذلك كله وبعده لابد من تحديد ما إذا كان السكرى مكسوبا Ac-quired e.g. Drug Induced D. M. أم وراثيا معتمدا

على العلاج بالإنسولين Insulin Dependent, Diabetes.

وأكثر حالات السكرى من النوع الأول الوراثى المعتمد على الإنسولين يكونون معرضين لنوبات مفاجئة من الغيبوبة السكرية مما يتعذر معه الصيام ويشق عليه لكون الجلوكوز متغيرا شديد التغير والاضطراب الفادح.

ثم إن زيادة إفراز الإنسولين بسبب أورام البنكرياس المسمى بـIn Sulino ma يجعل الجوع ساعات طوالا مطويا على خطر شديد حيث يصير معرضا للهبوط الحاد فى سكر الدم.

من ثم فإن أكثر المرضى انتفاعا من الصوم هم أولئك المرضى بالنوع الثانى من السكر الذين هم غير المعتمدين على الإنسولين Non Insulin Dependent Diabetics وهم الذين يقرر لهم العلاج أقراصا عن طريق الفم Oval Hypogly Caemic Drugs.

أما أمراض الحساسية ولاسيما غامضة البواعث مجهولة المآتى، عسيرة المصادر مثل بعض أنواع حساسية الجلد، وحساسية الجهاز الهضمى، والإكزيما والصدفية والذئبة الحمراء، فإنهم يتحسنون ويصلح حالهم فى رمضان لأن الصوم يرفع من معنوياتهم فيشعرون بالراحة النفسية والروحية وهذا وحده كفيل بالدرء الحاسم والدفع القاطع لكثير من الأعراض والمضاعفات.

وقرر علماء الأمراض الجلدية أن الأرتيكاريا أو الحساسية الجلدية، وكذلك أمراض البشرة الدهنية وغيرها من الأمراض العضوية والنفسية والنفسجسمية.

والذى لاريب فيه ولا اختلاف عليه أن الصيام يعالج عسر الهضم Dyspepsia وحموضة المعدة، وانتفاخ البطن، والغثيان، والتهابات المرارة المزمنة والتهابات القولون الحادة والمزمنة، كذا اضطرابات الأمعاء المصحوبة بالتعفن.

كذلك فإن مرضى النزلات الشعبية الحادة والمزمنة Acut and ehronic Bronfhitis وبعض الالتهابات الصدرية الأخرى - كثيرا ما تستجيب استجابة محمودة للصيام.

فضلا عن إسهام الصيام فى تحسين أحوال الكبد المصاب بالتهاب مزمن Chronic Hepatitis حيث يعمد الصيام إلى تنشيط الإفرازات الكبدية والعصارات الهاضمة، والإنزيمات الضرورية التى لا مندوحة عنها ولا استواء لعملية الهضم التامة إلا بها وذلك كله مع تنشيط وضبط إيقاع حركة الأمعاء بعيدا عن الكزازة والتقبض وعن الليونة والسهولة.

وقد لوحظ أن خلايا الكبد Liver Cells تنعم بالراحة والنشاط والإفاقة والتجديد مع صيام شهر رمضان، ليس هذا فحسب وإنما رؤيت معدلات عالية ونسب مرتفعة من المرضى تحسنت وظائف أكبادهم الزمنى منذ فترة طويلة وذلك بالنزول بالأنزيمات الكبدية إلى المعدل الطبيعى.

إن الصيام فرصة ذهبية تستمتع فيه الأبدان والأحشاء بالاسترواح والدعة والجمام من أعباء السنة وأثقالها الفوادح من الكظة والامتلاء عشوائيا وبغير موجب لذلك فى الأغلب الأعم لاسيما عند السواد الأعظم.

ثم إن أروع مافى شهر رمضان تلك النفحات الروحية والنفسية التى تتسامى إلى أعلى عليين من جمام النفس وراحة البال والتعلق بالقيم الروحية، والنقاء الوجدانى والصفاء القلبى، وتطرية القلوب وشرح الصدور، وجلاء الهموم بذكر الله تعالى، وصلة الأرحام، وتنزل فيوضات الرحمة والرضا والرضوان كل هذه الأحوال من موجبات رحمته تعالى ولطفه بخلقه وهو خير عميم وفضل سابغ من رب العالمين.

درس فى السلوك الإنسانى

من أحاديث الصداقة عند أبى حيان التوحيدى

د. محمد رجب البيومى

حديث الصداقة يمسّ أرق الأوتار فى القلوب، ولكل إنسان هشاشة إليه وارتياح، إذ أن الصداقة تجربة عامة باشرها كل فرد ولو فى بعض فترات حياته، ومن كتبوا الصحائف فى نبذ الصداقة وإيثار الوحدة لابد أنهم جربوا - لسوء حظهم - صداقات مجدبة لافحة فأنحوا باللائمة على الصداقة والأصدقاء، ولكن ذلك لا يمنع أن تكون الصداقة حاجة ضرورية لدى الناس، فهى مدعاة أنس، وباب مسرة وانشراح، وكم من رجل كدره الهم، وعبست فى وجهه الحياة حتى صارت أضيق من حلقة الخاتم فى عينه، ثم سعد بمؤانسة صديق عاقل، فشكا إليه شكاية المتأوه الملتاع، فوجد عنده من مجاذبات الأنس، وملاطفات القول، ما أعاده إلى صفوه، وأسعده بتنفيس مريح، وبأمل منعش، فعاد من مجلسه هادئ النفس، قوى الاحتمال.

أجل، إن حديث الصداقة يمس أوتار القلوب دون ريب، وهو حديث مؤنس ناضر، إذا صدر عن قلب كبير، وعقل نافذ، وصاحب حديث اليوم هو أبو سليمان المنطقى العالم المتأمل الفيلسوف، وهو واحد الآحاد فى مجال التحليل العقلى والنظر الفلسفى بين معاصريه، شهد له بذلك أولو البصر والحكم من كبار المتضلعين، وهى شهادة متعددة المصادر، مختلفة الأشخاص، وليست مجاملة فردية يوجهها صديق لصديق، وما بين أيدينا الآن من آثاره الحكيمة، وآرائه الجدلية المدونة بنوع خاص فى أكثر ما كتب أبو حيان التوحيدى مما يشهد بعمق الرجل، وبعد غوره، وغوصه الملح على أدق المعانى، وتفسير المستوعب لأعقد الظواهر.

وفى رجال الفكر من عرفهم الناس عن طريق تلاميذهم أكثر مما عرفوهم، مما بقى من مؤلفاتهم فاحتلوا بذلك مكانة علمية مرموقة، فأبو الفلاسفة سقراط لم تعرف أفكاره الخلقية ومراميه الفلسفية، إلا من كتب تلميذه أفلاطون، والنظام النظار المتكلم البحاثة لم تتعارف آراؤه إلا عن طريق تلميذه الجاحظ، وكذلك أبو سليمان المنطقى قد متعه الله بأبى حيان التوحيدى، ولأبى حيان ولع بتسجيل الحوار العلمى، وتدوين النقاش الفكرى، وقد وجد فى مجلس أبى سليمان طلبته المنشودة فجعل يسجل ما يقدر على تسجيله من أفكاره، ومنها الدقيق الذى لا يفهم إلا بعد عسر ومشقة كبعض ما حكاه عنه فى كتابى المقابسات، والهوامل والشوامل ومنها السهل الذى يقرب سريعا من ذهن قارئه كبعض ما نقله فى كتابى الإمتاع والمؤانسة والصداقة والصديق.

ومن حسن حظ القارئ مع أبى سليمان أنه تحدث عن الصداقة عمليا ونظريا، تحدث عنها عمليا حين تكلم عن تجربته الخاصة فيها مع قاض فاضل من قضاة عصره فشرح كيف تتحد المشارب وتتفق الميول بين الصديقين شرحا لا

يتأتى إلا من باقعة مقتدر ذى أحاسيس تدق وتدق ثم تشف وترق، وكلام الفيلسوف المنطقى عن صاحبه ترجمة أمينة لخواطر عزيزة تشبه خواطر الأوفياء من ذوى النبالة السرية، ونحن نسعد بقراءتها إذ نجد فيها صدى لنفوسنا، بل نجد فيها ما نحسه دون أن نقدر على التعبير عنه كما عبر أبو سليمان، هذا بعض الإلماع إلى ما جاء عن حديثه العملى عن الصداقة، أما حديثه النظرى فما أكثر ما تردد فى كتب أبى حيان، وهو حديث عميق ذو أبعاد، ولابد من الإلمام بِذَرْوٍ منه بعد أن نتحدث عن تجربته العملية الرائعة مع القاضى الكبير ابن سيار لنرى كيف تتجاذب الأرواح وتتعانق القلوب.

قال أبو حيان التوحيدى لأستاذه أبى سليمان المنطقى(١) (بتصرف لا يطفئ بريق الأصل):

- إنى أرى بينك وبين ابن سيار القاضى ممازجة نفسية، وصداقة عقلية، ومساعدة طبيعية، ومواتاة خلقية، فمن أين هذا وكيف؟

فرد أبو سليمان يقول: يابنى اختلطت ثقتى به بثقته بى، فاستفدنا طمأنينة وسكونا، لا يرثان على الدهر، ولا يحولان بالقهر، ومع ذلك فبيننا بالطالع مشاكلة عجيبة، حتى أننا نلتقى كثيرا فى الإرادات والاختيارات والشهوات والطلبات، وربما تزاورنا فيحدثنى بأشياء جرت له بعد افتراقنا من قبل، فأجدها شبيهة بأمور حدثت لى فى ذلك الأوان حتى كأنها قسائم بينى وبينه، أو كأننى هو فيها، أو هو أنا، وربما حدثته برؤيا فيحدثنى بأختها رآها كما رأيتها.

قال أبو حيان: كيف يصح هذا؟ وأنت مطالبك فى الفلسفة، وصورك مأخوذة من الحكمة، وجعبتك مجموعة من الحقائق، وخوضك فى الغوامض والدقائق، وذلك رجل فى عداد القضاة، وجلة الحكام، وأصحاب القلانس، ومخاضه الظاهر الذى عليه الجمهور، ومأخذه مما عليه السواد الأعظم؟

والاعتراض وارد لا محالة، ولكن مثل أبى سليمان لا يعجز عن رده، فقد اندفع يقول:

هذا هو الذى انفردنا عنه، بعد أن ازدوجنا عليه، والأصل أبدا مخالف للفرع، لا خلاف الضد للضد، ولكن خلاف الشكل للشكل.

فابتدر أبو حيان يقول: هذا والله طريف، ومما يزيد من طرافته أنك من سجستان وهو من الصيبرة!

فقال أبو سليمان: الأمكنة فى الفلك(٢) أشد تضامًا من الخاتم فى أصبعك، وليس لها هناك هذا البعد الذى تجده فى المسافة الأرضية من بلد إلى بلد. بفراسخ تقطع، وجبال تعلى، وبحار تخترق؟ أطرق أبو حيان قليلا ثم سأل: وهل تجد عليه فى شىء؟ وهل يجد عليك فى شىء؟

فقال الأستاذ: وجدى به فى الأول، قد حجبنى عن موجدتى عليه فى الثانى، على أنه يكتفى فيما خالف هو باللمحة الضئيلة، واكتفى أنا منه فى مثل ذلك بالإشارة القليلة، وربما تعاتبنا على حال تعرض عن طريق الكناية كأننا نتحدث عن قوم آخرين (ليلتفت القارئ إلى هذه الروائع العجيبة) ويكون فى ذلك لنا مقنع، وإليه مفزع، وقلما نجتمع إلا ويحدثنى عنى بأسرار، ما سافرت من ضميرى إلى شفتى، ولا ندّت من صدرى إلى لفظى، وذلك للصفاء الذى نتساهمه، والوفاء الذى نتقاسمه، والباطن الذى نتفق عليه والظاهر الذى نرجع إليه، والأصل الذى رسوخنا فيه، والفرع الذى تشبثنا به، والله ما يسرنى بصداقته حمر النعم، وإذا كنت أعشق الحياة لأنى بها أحيا، فكذلك أعشق كل ما وصل الحياة بالحياة، وجنى لى ثمرتها، وجلب إلى روحها، وخلط بى طيبها وحلاوتها.

هذا تصوير دقيق لتجربة إنسانية عاشها عالم فيلسوف فرصد ملامحها الظاهرة ونوازعها الخافية فى إيجاز لامح ومنطق دال، وحوار يغنى عن التفسير والتعقيب.

فإذا تركنا هذه التجربة العملية على نفاسة ما تحتويه من رصيد ثمين، إلى آراء أبى سليمان النظرية فى الصداقة والأصدقاء، فإننا نجد هذه الآراء الفكرية هى التى ساعدت على نجاح التجربة العملية، حيث كان يجل الصداقة فكريا، ويرى لها ثقلها الراجح فى ميزان الحياة، حتى إذا أسعفته الأيام بمن يأنس بمؤاخاته، ويستروح بمصافاته، مد عليه أسبغ الظلال من مودته، فعاشا معا فى نسيم يتراوح باللطف، وتحت غصون تتساقط بأشهى الثمار.

والحق أن أبا حيان التوحيدى كان التلميذ الحصيف الذى استطاع أن يمتاح من بئر أبى سليمان المنطقى أعذب النمير، وأصفى الزلال، وكأنى به وقد لمس جلال الصداقة بين الرجلين، فلم يقصر فى اهتبال الفرصة فأخذ يستدرج أستاذه إلى أحاديث خلفية تفسر خوافى الصداقة، وطوايا المودة، فكان بأسئلته المتشعبة كمن يلقى الشبكة فى محيط زاخر، يعج بالمستطاب من مشتهيات الصيد، وأبو حيان كان على غزارة أدبه وعظيم فضله ممن فشلوا فى مضمار الصداقة والأصدقاء، إذ لم تسمح له الأيام بمودة ينعم بإخائها المستطاب، لذلك أرى أن أسئلته لأستاذه الكبير تعبر عن شوق ظامئ إلى صداقة تسعف، ومودة تسعد، فهى صراخ نفسى تتعذب بأوصابها، فى نار العزلة والإيحاش، وإننا لننقل طرفا من أسئلة التلميذ، وأجوبة الأستاذ، تتناثر فى صفحات متباعدة من مؤلفات التوحيدى، ولكننا نقارب بينهما بما يوضح الفكرة الخلقية فى الصداقة الإنسانية، على أن نسلسل ذلك فى حوار متتابع، وإن لم يكن كذلك فيما تفرق من آثار أبى حيان فلا علينا إذا جمعنا حبات العقد المتناثرة فى سلك منتظم، فذلك أتم لجماله، وأبهى لمرآه.

- سأل أبو حيان أستاذه، هل يلاث ما بين الصديقين؟ وهل يفضيان إلى هجر؟ وهل يفزعان إلى عتب؟

فقال الأستاذ:

مادامت الصداقة قاصرة عن درجتها القاصية، فقد يعرض هذا كله بينهما، ولكنهما يرجعان فيه إلى أسس المودة، وإلى شرائط المروءة، وإلى مالا يهتك حق الفتوة، أما الهجر إن حدث فهو جميل غير مستقر، لحوافز الشوق إلى المعهود، ومحركات النفس إلى التلاقى، وأما العتب فربما أصلح ورم الفائت، وشعب الصرع، والاكثار منه ربما عرض بالحقد، وأحدث نوعا من النبو، وقد قيل: وما صافيت من لا تعاتبه وربما كان العود إلى الصفاء بعد هذا الكدر فوق ما عهدناه فى الأول(٣).

قال أبو حيان: سمع ابن عطاء رجلا يقول: أنا فى طلب صديق منذ ثلاثين عاما فلم أجده، فقال ابن عطاء: لعلك فى طلب صديق، تأخذ منه شيئا، ولو طلبت صديقا تعطيه شيئا لوجدت فما رأيك فى هذا القول؟

قال أبو سليمان متعجلا:

هذا كلام ظالم، فالصديق لا يراد ليؤخذ منه شيء، أو ليعطى شيئا، ولكن ليسكن إليه، وليعتمد عليه ويستأنس به ويستفاد منه، ويستشار فى الملم، وينهض فى المهم، ويتزين به إذا حضر، ويتشوق إليه إذا سافر والأخذ والعطاء فى عرض ذلك جاريان على مذهب الجود والكرم بلا حسد وبلا نكد، ولا صد ولا حد، ولا كلوح ولا تعريض بنكير، ولا فكرة فى تكدير(٤).

فسأل أبو حيان: ما الفرق بين الصداقة

والعلاقة إذن؟ فرد أبو سليمان يقول:

الصداقة أذهب فى مسالك العقل، وأدخل فى باب المروءة، وأبعد من نوازى الشهوة، وأنزه عن آثار الطبيعة وأشبه بذوى الشيب والكهولة، وأرمى إلى حدود الرشاد، وآخذ بأهداب السداد، وأبعد عن عوارض الغرارة والحداثة، أما العلاقة فهى من قبيل العشق والمحبة والكلف والتهيم والهوى والصبابة، والترافق والتشاجى، وهذه كلها أمراض أو كالأمراض بشركة النفس الضعيفة، والطبيعة القوية، وليس للعقل فيها ظل ولا شخص ولهذا تسرع هذه الأعراض إلى الشباب، وتنال منه، وتملكهم، وتحول بينهم وبين أنوار العقول، وآراء النفوس وفضائل الأخلاق، وفوائد التجارب، ولهذا وأشباهه يحتاجون إلى الزواجر والمواعظ ليفيئوا إلى ما فقدوه من اعتدال المزاج، والطريق الوسط(٥).

قال أبو حيان: فهل لك أن تفسر قول أرسطو: صديقك هو أنت إلا أنه بالشخص غيرك؟

فقال الأستاذ: هذا رجل دقيق الكلام، بعيد المرام، صحيح المعانى، وقد أشار بكلمته هذه إلى آخر درجات الموافقة التى يتصادق المتصادقان بها، ألا ترى أن لهذه الموافقة أولا منه يبتدئانها، كذلك لها آخر ينتهيان إليه، وأول هذه الموافقة توحد، وآخرها وحدة، وكما أن الإنسان واحد بما هو إنسان فكذلك يصير بصديقه واحدا بما هو صديق، لأن العادتين تصيران واحدة، والإرادتين تكونان إرادة واحدة(٦).

قال أبو حيان: ذلك بعيد!!

فاحتد أبو سليمان يقول: ليس يبعد هذا إلا أنكم لم تروا صديقا لصديق، ولا كنتم أصدقاء على التحقيق، بل أنتم معارف، يجمعكم الجنس، وينظمكم النوع، ويؤلفكم ذلك البلد أو الجوار أو النسب، ثم أنتم فى ذلك الذى اجتمعتم عليه، على غاية الافتراق، للحسد الذى يدب بينكم، والتنافس الذى يقطع علائقكم، فلو ثبتم على الصراط المستقيم، وعلقتم جل العقل المتين، واعتصمتم بالعروة الوثقى من الهدى والدين، كنتم كنفس واحدة فى كل حال، ذلت أو صعبت، تجمعت أو تشعبت(٧)، تعرفت أو تنكرت! ومضى الأستاذ فى تحليل لا نستطيع التعقيب عليه، إذ من الجائز أن نضل مرماه، ومن الذى يزعم لنفسه أنه يقف على دقائق أبى سليمان إلا أن يكون ذا وهم بعيد.

لقد فطن الأستاذ إلى لباب الصداقة حين سعد بمودة القاضى ابن سيار، فوقع الطير على شكله، وانجذب الشبيه إلى الشبيه، وقد أوحت له هذه الصداقة من لطائف الخواطر، ورقيق المشاعر ما كاد به يصبح شاعرا يحلق، لا منطقيا يغوص وقد عنونت هذا المقال بأنه من أحاديث أبى حيان، وربما كان الأحرى أن يعنون بأنه من أحاديث أبى سليمان، ولكنى أعلم مذهب التوحيدى فى الكتابة وطريقته فى تشقيق المعانى، وتسلسل الحوار، فرأيته يفوز فى هذا المضمار بجانب كبير، على أن مما يرضى أستاذه أن يكون التلميذ الأمين موضع الحظوة والتبجيل.

الهوامش:

١ ـ الصداقة والصديق ص٢ بتحقيق الدكتور إبراهيم الكيلانى.

٢ ـ هكذا يعتقد أبو سليمان آراء فلكية ضاعت منزلتها الآن!

٣ ـ الصداقة والصديق ص١٠١.

٤ ـ الصداقة والصديق ص٥٤.

٥ ـ ص١٠٣.

٦ ـ ص٥٥.

٧ ـ ص٥٦.

فى رحاب شهر الصيام

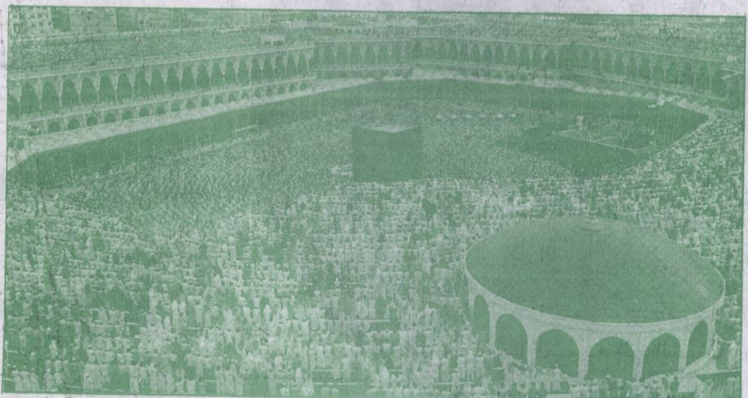

- كيف يكون صومك مقبولا؟
- ليلة القدر
- النبى ﷺ فى رمضان
- الجهاد فى رمضان: غزوة بدر وفتح مكة
- مدرسة الصوم بين الدين والعلم
- فضائل شهر رمضان
- مع شهر رمضان فى هتاف الشعراء
- صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته

كيف يكون صومك مقبولا؟

من أحكام الصيام

١ ـ ما معنى الصوم؟

الصوم فى اللغة: الإمساك عن الشىء، يقال: صام فلان عن الكلام، إذا سكت عنه ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم: ﴿إنى نذرت للرحمن صوما..﴾ أى: نذرت للرحمن أن أصمت عن الكلام فى شأن ابنى عيسى عليه السلام..

ومعناه فى الشرع: الإمساك عن المفطرات، من طلوع الفجر الصادق، إلى غروب الشمس، مع النية.

٢ ـ متى فرض الصوم؟

فرض الله الصوم على المسلمين فى شهر شعبان، من السنة الثانية للهجرة وقد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة.

أما ثبوته بالكتاب، فيتجلى فى قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾

لفضيلة الإمام الأكبر
الدكتور / محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

وفى قوله ـ سبحانه ـ : **﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه..﴾** البقرة: آية ١٨٥.

وأما ثبوته فى السنة النبوية، فيتجلى فى أحاديث متعددة، منها: ما رواه البخارى ومسلم عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الإسلام بنى على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت.

حكمة مشروعية الصيام:

١ ـ من شأن العقلاء من الناس أنهم يتلقون التكاليف التى كلفهم خالقهم بها، بالسمع والطاعة، وبالامتثال والاستجابة، سواء أكانت تلك التكاليف أمرا بفعل شىء، أم نهيا عن ارتكاب محظور، وصدق الله إذ يقول: **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾** الأحزاب: آية ٣٦.

٢ ـ ومع أن شأن العقلاء كذلك، فإن الله تعالى قد اقتضت حكمته ورحمته، أن يرشد عباده إلى جانب من الحكم التى من أجلها شرع ما شرع من تكاليف.. ففريضة الصلاة، بين ـ سبحانه ـ جانبا من فوائدها فقال:

﴿اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ العنكبوت: آية ٤٥.

وفريضة الزكاة أشار - سبحانه - إلى حكمة مشروعيتها فقال: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ التوبة: آية ١٠٣.

وفريضة الحج أخبرنا - سبحانه - ببعض وجوه منافعها فقال: ﴿**وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق* ليشهدوا منافع لهم**﴾ الحج: الآيتان ٢٧، ٢٨.

أما فريضة الصيام فقد وضح لنا - سبحانه - الحكمة فى مشروعيتها، فقال: ﴿**ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾ البقرة: آية ١٨٣.

أى: فرضنا عليكم - أيها المؤمنون - الصيام، كما فرضناه على الذين من قبلكم من الأمم، لعلكم بأدائكم لهذه الفريضة، تنالون درجة التقوى، التى هى أسمى الدرجات وأعلاها، وأرفع المنازل وأعظمها، وبذلك تكونون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه.

٣ - وقد أفاض العلماء فى بيان الفوائد التى تعود على الصائمين، ومنها:

أ - أن الصوم يهذب الروح، ويعين النفس على الاستقامة والصفاء، ويساعد القلب على التطهر والنقاء لأن من شأن الإنسان فى حال صيامه أن يكون أكثر مراقبة لله تعالى، وخشية من عقابه، ورغبة فى ثوابه.

ب - وأن الصوم - كذلك - يربى فى الإنسان قوة الإرادة، وصدق العزيمة والتغلب على تحكم العادات فى نفسه، وتحمل الآلام والمصاعب بصبر وجلد.

وهذا التحمل ليس من أجل منفعة زائلة، أو شهوة عاجلة، وإنما هو من أجل رضا الخالق - عز وجل - وطاعته كما جاء فى الحديث الشريف: «يدع - أى: الصائم - طعامه وشهوته من أجلى».

ولاشك أن هذه المناقب من شأنها أن تعين الإنسان على أن يعيش حياة طيبة، حياة يرتفع فيها على الشهوات والملذات، ويتطلع فيها إلى ماهو أجل وأبقى.

ومن الوصايا الحكيمة التى حكاها القرآن الكريم على لسان لقمان قوله:

﴿**يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور**﴾ لقمان: آية ١٧.

ج - إن الصوم - أيضا - يمثل لونا عاليا من التأديب للنفس البشرية فقد جرت عادة ابن آدم أنه لا يقدر النعمة حق قدرها، إلا عند فقدانها، أو عند الاحتياج إليها.

فكان الصيام مع ما فيه من جوع ومشقة، تأديبا عمليا للصائمين الموسرين، حتى يرحموا البائسين والمحتاجين.

ولقد قيل لسيدنا يوسف : لماذا تكثر من الصيام وأنت الأمين على خزائن الأرض؟ فكان جوابه: أخاف إذا شبعت أن أنسى جوع الجائعين.

ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقى، فقد قال عن الصوم: حرمان مشروع، وتأديب بالجوع وخشوع لله وخضوع. لكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب، وباطنه الرحمة، يستثير الشفقة، ويحض على الصدقة، يكسر الكبر، ويعلم الصبر، ويسن خلال البر، حتى إذا جاع من ألف الشبع، وحرم المترف أسباب المتع، عرف الحرمان كيف يقع، والجوع كيف ألمه إذا وقع».

د - كذلك من الحكم التى من أجلها شرع الله تعالى الصوم: تقوية البدن، واكتساب الصحة، والشفاء من الأمراض، فإن كثيرا مما يصيب

الناس من أمراض، إنما هو ناشئ من بطونهم التى يتخمونها بكل ما تشتهيه، بدون تفرقة بين ما ينبغى إدخاله فيها، ومالا ينبغى.

وفى الحديث الشريف: **«ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان ولا محالة: فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه، فالصوم فرصة لاستراحة المعدة، التى هى متى امتلأت بأكثر مما ينبغى، كانت بيت الداء، وكانت الحمية ـ أى: الاعتدال فى الطعام ـ رأس الدواء».**

على من يجب الصوم؟

أجمع العلماء على أن صوم رمضان فرض على كل مسلم بالغ عاقل، خال من الأعذار التى تبيح له الفطر، سواء أكان ذكرا أم أنثى.

أما الإسلام، فلأنه أساس التكليف، وأما البلوغ فلأنه الوقت الذى يبدأ فيه التكليف، وهذا لا يمنع من أن يعود الآباء أبناءهم على الصيام قبل سن البلوغ، حتى يتعودوه.

فقد أخرج الشيخان عن الرُّبيع بنت معوذ قالت: **«أرسل رسول الله ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من كان أصبح صائما فليتم صومه ومن كان أصبح مفطرا فليصم بقية يومه. فكنا نصومه بعد ذلك، ونصوم صبياننا الصغار منهم، ونذهب بهم إلى المسجد، فنجعل لهم اللعبة من العِهن ـ أى من الصوف ـ فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه إياها..».**

وأما العقل، فلأن به التميز والإدراك للأمور، ومن فقد عقله كان فاقدا للتميز والإدراك السليم للأمور.

ففى الحديث الشريف الذى أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى عن على بن أبى طالب رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يحتلم».**

وأما الخلو من الأعذار، فلأن من فضل الله تعالى على عباده، أن رفع الصوم عن أصناف منهم، تارة على سبيل الوجوب كالحائض والنفساء، وتارة على سبيل الرخصة كالمريض والمسافر.

من آداب الصيام وسننه:

١ ـ من شأن العاقل أنه يسعى دائما نحو الكمال فى عباداته وفى أقواله وفى سائر أحواله، والصوم من العبادات ذات المنزلة السامية، والدرجات الرفيعة عند الله تعالى، ويجب على المسلم أن يؤدى هذه العبادة، أداء تتوافر فيه كل معانى التقوى، والخشوع وحسن الصلة بالله رب العالمين.

٢ ـ وقد ذكر العلماء آدابا وسننا للصوم، ينبغى للصائم أن يحافظ عليها، ومن أهمها:

أ ـ تعجيل الفطر بعد التحقق من غروب الشمس، ففى الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لايزال الناس بخير ما عجلوا الفطر».**

وفى رواية لأبى داود: **«لايزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر».**

وفى رواية للترمذى وأحمد: «قال الله ـ عز وجل ـ **أحب عبادى إلىّ أعجلهم فطرا، وكان ﷺ كثيرا ما يفطر على تمرات، أو شربة ماء إن لم يجد تمرا، فقد روى أصحاب السنن عن سلمان بن عامر** رضي الله عنه **عن النبى ﷺ قال: «إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة فمن لم يجد فليفطر على ماء فإنه طهور».**

ومن الأفضل للصائم تأسيا برسول الله ﷺ أن يفطر على تمرات أو على قليل من الماء، أو على غيرهما مما يشبههما، قبل صلاة المغرب، ثم بعد ذلك يصلى المغرب، ثم يتناول فطوره كاملا.

هذا إن لم يكن الطعام حاضرا وقت الإفطار، فإن كان حاضرا فلا بأس من البدء به قبل الصلاة، فقد أخرج البخارى ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا قُدِّم العشاء فابدأوا به قبل صلاة المغرب، ولا تعجلوا عن عشائكم»**.

ب - كذلك ينبغى على الصائم أن يدعو الله تعالى بما فيه خير، عند فطره وخلال صيامه، فقد وردت أحاديث تحبب فى ذلك منها:

ما رواه أبو داود والنسائى عن ابن عمر رضي الله عنه قال: **«كان النبى ﷺ إذا أفطر قال: ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر - إن شاء الله»**.

وفى رواية أنه كان يقول: **«اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت»**.

وروى ابن ماجه عن عبدالله بن الزبير - رضى الله عنهما - قال: أفطر رسول الله ﷺ عند سعد ابن معاذ فقال: **«أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة»**.

وقد أخبرنا النبى ﷺ أن دعوة الصائم لا ترد، فعن عبدالله بن عمرو، أن النبى ﷺ قال: **«إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد»**.

وروى الترمذى أنه ﷺ قال: **«ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم»**.

ج - كذلك ينبغى للصائم أن يتناول طعام السحور، فقد أجمعت الأمة على استحبابه، ومن الأحاديث التى وردت فى ذلك ما أخرجه الشيخان عن أنس عن النبى ﷺ أنه قال: **«تسحروا فإن السحور بركة»**.

أى: حافظوا على الأكل فى السَّحَر بنية الصوم، فإن فيه قوة على الصوم وأجرا عظيما، لأنه أكل بنية العبادة والطاعة لله رب العالمين.

ويستحب تأخير السحور، بحيث ينتهى منه قبيل الفجر، فعن زيد بن ثابت قال: **«تسحرنا مع النبى ﷺ ثم قام إلى الصلاة - أى صلاة الفجر - قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية»**.

أى: كان الزمن بين نهاية السحور، وبين بدء الأذان، قدر قراءة خمسين آية.

د - كذلك من الآداب التى يجب أن يتحلى بها الصائم: كف اللسان عن فضول الكلام ولغوه، وأما كفه عن الحرام، كالغيبة، والنميمة، فواجب فى كل وقت ويتأكد فى رمضان، وذلك لأن الصيام عبادة روحية سامية، الحكمة منها امتلاء النفس بتقوى الله، فيجب على الصائم أن يحمى هذه العبادة من كل ما يتنافى مع جلالها، ومن كل ما يتعارض مع الحق والخير والبر. فقد جاء فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«من لم يدع - أى: يترك - قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»**.

هـ - كذلك من الأخلاق الفاضلة التى يجب أن يتحلى بها المسلم - ولاسيما وهو صائم - السخاء والإكثار من تلاوة القرآن، ومن تجديد التوبة ومن المداومة على الاستغفار، ومن الاجتهاد فى العبادة، وخصوصا فى العشر الأواخر من رمضان، ومن الاشتغال بالعلم النافع.. روى البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - **قال: كان النبى ﷺ أجود الناس بالخير - أى بفعل الخير - وكان أجود ما يكون فى رمضان.. حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه كل ليلة فى رمضان، حتى ينسلخ - أى: ينتهى - يعرض عليه النبى ﷺ القرآن، وفى رواية فيدارسه القرآن - أى يقرأ جبريل أولا والرسول يسمع، ثم يسكت جبريل والرسول يقرأ ثانيا، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة»**.

والخلاصة: **أن شهر رمضان هو شهر الخير والصبر والبركة.. فيجب أن يغتنمه المسلم فى**

تهذيب روحه، وتطهير قلبه، وتأديب نفسه.

٣ - من فضائل شهر رمضان

١ - اقتضت حكمة الله تعالى أن يفضل بعض أناس على بعض، وأن يفضل بعض الأنبياء على بعض، كما قال سبحانه: **﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات..﴾**.

كما اقتضت حكمته - عز وجل - أن يفضل بعض الأمكنة على بعض، وبعض الأزمنة على بعض، فقد اختص - سبحانه - بعض الأوقات والأيام والشهور بنفحات وفيوضات ربانية، من تعرض لها، وأحياها بالعبادات والطاعات، سعد وفاز ومن أعرض عنها، وشغل بغيرها من الشهوات والرذائل خسر وخاب.

وفى الحديث الشريف: **«إن لله فى أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها فلعل أحدكم تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدا»**.

٢ - وعلى رأس الشهور التى اختصها الله تعالى بالكثير من التفضيل والتعظيم، شهر رمضان، الذى لو يعلم الناس ما فيه من الخير والبركة لتمنوا أن يكون حولا كاملا.

ولقد كان أهل الجاهلية يعظمون هذا الشهر ويعتبرونه من الشهور المتميزة، فلما جاء الإسلام، زاده تعظيما وتشريفا.

ويكفى أن الرسول ﷺ كان قبل بعثته، يقضى هذا الشهر متعبدا فى غار حراء.

٣ - والذى يراجع السنة النبوية المطهرة، يرى كثيرا من الأحاديث النبوية التى ذكرها ﷺ فى فضل شهر رمضان، وفى فضل الصيام، وفى فضل العمل فيه.. ومن ذلك:

أ - أنه ﷺ بيّن لنا أن صيام شهر رمضان من أركان الدين، وأن من واظب على ذلك كان من المفلحين.

ب - كما أخبرنا ﷺ أن شهر رمضان هو الشهر الذى تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، فقد أخرج الإمام أحمد والنسائى والبيهقى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال - لما حضر رمضان -: **«قد جاءكم شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرِم خيرها فقد حرِم»**.

وفى رواية أنه قال: **«وينادى فيه ملك بقوله: يا باغى الخير أبشر، ويا باغى الشر أقصر..»**.

ج - وأخبرنا ﷺ أن صيام هذا الشهر يوصل إلى رحمته تعالى ومغفرته، فقد روى النسائى وأحمد، عن النضر بن شيبان قال: قلت لأبى سلمة ابن عبدالرحمن: حدثنى بشىء سمعته من أبيك. وسمعه أبوك من النبى ﷺ عن شهر رمضان فقال: نعم حدثنى أبى قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تبارك وتعالى فرض صيام رمضان عليكم، وسننت لكم قيامه - أى: وشرعت لكم صلاة التراويح على وجه السنية بأمره تعالى - فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»**.

وروى الإمام أحمد والبيهقى عن أبى سعيد، أن النبى ﷺ قال: **«من صام رمضان وعرف حدوده، وتحفظ مما كان ينبغى أن يتحفظ منه، كفَّر ما قبله»**.

وروى الإمام أحمد وأصحاب السنن عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: **«من صام رمضان إيمانا واحتسابا - أى: طلب بصيامه وجه الله وثوابه - غفر له ما تقدم من ذنبه»**.

د - وأخبرنا ﷺ أن الصيام سر بين العبد وربه، وأنه وقاية من المعاصى ومن النار.

ففى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: قال الله تعالى فى حديثه القدسى: **«كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به»**.

أى: كل عمل ابن آدم له حظ منه يتعجل ثوابه فى الدنيا، إلا الصيام فهو خالص من الرياء - والصيام جُنة أى وقاية من الآثام - وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفُث - أى: فلا يفحش فى القول - ولا يصخب - أى ولا يرفع صوته بخصام أو صياح - فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل: إنى امرؤ صائم، والذى نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربه فرح بصومه.

هـ - وبشرنا ﷺ أن الصائمين لهم باب مخصوص يدخلون منه، تمييزا وتفضيلا لهم على غيرهم، فقد أخرج الشيخان والنسائى، عن سهل ابن سعد - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: **«إن فى الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحد غيرهم. يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد»**.

و - كما أخبرنا ﷺ بأن الصوم لا نظير له فى جلب الخير والنفع فقد روى النسائى والحاكم، عن أبى أُمامة. قال: **«قلت يارسول الله: مرنى بأمر ينفعنى الله به، قال: عليك بالصيام فإنه لا مثل له»**

أى: لا مثل له فى صفاء النفس، وعظيم الأجر.

هذا جانب من الأحاديث النبوية الشريفة، التى وردت فى فضل شهر رمضان، وفى فضل الصيام والصائمين.

وإذا كان ذلك هو جزاء الصائمين لهذا الشهر إيمانا واحتسابا، فإن جزاء المفطرين فيه - دون عذر شرعى - العذاب الأليم، ومن الأحاديث التى وردت فى هذا المعنى، ما جاء عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: **«عُرَى الإسلام، وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام من ترك واحدة منهن، فهو بها كافر، حلال الدم: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان»**.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر وإن صامه»**.

صدقة الفطر:

١ - صدقة الفطر: واجبة على كل مسلم حر قادر على إخراجها، سواء أكان صغيرا أم كبيرا، ذكرا أم أنثى.

ففى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ سئل عن قوله تعالى: **﴿قد أفلح من تزكى* وذكر اسم ربه فصلى﴾** فقال: **«نزلت فى زكاة الفطر»**.

وأخرج البخارى ومسلم عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: **«فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر، صاعا من تمر، أو صاعا من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين»**.

وقد أوجبها النبى ﷺ وأمر بها فى السنة التى فرض فيها الصيام، أى: فى شعبان من السنة الثانية للهجرة.

٢ - وقد شرعها - سبحانه - لحكم سامية، ومقاصد عالية، منها: التوسعة على المحتاجين. وسد حاجتهم، وجبر النقص أو الخطأ الذى يكون قد وقع فيه الإنسان خلال صومه.

روى أبو داود وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: **«فرض رسول الله**

ﷺ **زكاة الفطر، طهرة للصائم من اللغو والرفث - أى: من الكلام الذى لا فائدة من ورائه ومن الكلام الفاحش - وطعمة للمساكين - أى: مواساة وعونا لهم - من أداها قبل الصلاة - أى: صلاة العيد - فهى زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات».**

٣ - ويخرجها المسلم عن نفسه، وعمن تلزمه نفقته كزوجته وأبنائه، وخدمه الذين يتولى أمورهم، ويقوم بالإنفاق عليهم.. ويخرجها أيضا عن الوالدين وعن الجدين. إذا كانوا ممن يعولهم.

قالوا ولا يشترط لها ملك النصاب كالزكاة، لأن المقصود منها جبر الصيام، فالفقير يخرجها، ويأخذها من غيره، لأن هذا يمثل عملية أخلاقية حسنة، إذ اشتراك الفقير فى العطاء يزيده ثقة وكرامة، ويملأ المجتمع بروح الأخوة والتعاون.

٤ - وتجب - عند المالكية والحنابلة - بغروب شمس آخر يوم من رمضان، وعند - الشافعية والأحناف - تجب بطلوع فجر يوم العيد.. ويندب إخراجها بعد فجر يوم العيد وقبل الصلاة. وجمهور الفقهاء على أنه يجوز تعجيل دفع صدقة الفطر، قبل العيد بيوم أو يومين، بل إن بعضهم - وهم الأحناف - يرون جواز دفعها حتى قبل شهر رمضان.

روى أبو داود والترمذى عن على بن أبى طالب «أن العباس، سأل النبى ﷺ فى تعجيل الصدقة **فرخص له فى ذلك».**

ولا تسقط صدقة الفطر بالتأخير، بل تصير دينا فى ذمته حتى يؤديها ولو فى آخر عمره، وتأخيرها عن صلاة العيد - بدون ضرورة تدعو لذلك - محرم، لأن هذا التأخير يؤدى إلى فوات المقصود منها، وهو إغناء الفقراء، وسد حاجة المحتاجين.

٥ - ومقدارها: صاع من القمح، أو الشعير، أو التمر، أو الزبيب، أو نحو ذلك مما يعتبر قوتا.

والصاع: يساوى بالكيل المصرى قدحا وثلثا، أو قدحين فتجزئ الكِيْلة من القمح - عند جمهور الفقهاء - عن ستة أشخاص، أو أربعة أشخاص.. ولا يجزئ دفع القيمة.. أما الأحناف فيرون أن على الفرد نصف صاع من القمح، وأن الكيلة تكفى سبعة أشخاص، ويجوز إخراج القيمة الواجبة من النقود لأن هذا أكثر نفعا للفقير. فإذا كانت الكيلة من القمح - مثلا - ثمنها اثنى عشر جنيها، كان الحد الأدنى لصدقة الفطر عن الفرد الواحد جنيهين أو ثلاثة جنيهات ومن زاد على ذلك فهو خير له.

٦ - ونقل الصدقة من بلد إلى بلد لا يجوز إلا لمبرر قوى، كأن تنقل لقريب محتاج، أو بعد كفاية أهل البلد الأصلى.

٧ - ومصارفها هم الذين جاء ذكرهم فى قوله تعالى: **﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل﴾** التوبة: آية ٦٠.

ولايجوز دفعها لمن تجب عليه نفقتهم - كأبويه وأبنائه -.

٨ - وعلى المسلمين أن يجتنبوا التقصير فى دفع صدقة الفطر، فقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال: **«صوم رمضان معلق بين السماء والأرض ولا يرفع إلا بزكاة الفطر»** وصدق الله إذ يقول: **﴿وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾.**

نسأل الله - تعالى - أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ليلة القدر

قال الإمام مسلم - رحمه الله تعالى - : «وحدثنا يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك عن نافع عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رجالا من أصحاب النبى ﷺ أروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر فقال رسول الله ﷺ: «أرى رأياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر».

لليلة القدر منزلة جليلة فى الإسلام فهى خير من ألف شهر وفيها تتنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام. وحسبها شرفا وسموا أن نزل فيها القرآن الكريم وجاءت إحدى سوره باسمها هى سورة القدر وفيها يقول الله تعالى: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر* وما أدراك ما ليلة القدر* ليلة القدر خير من ألف شهر* تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر* سلام هى حتى مطلع الفجر﴾ القدر: ١ . ٥

أ . د/ أحمد عمر هاشم

وقد قيل فى معنى الروح آراء منها: أن الروح خلق أعظم من الملائكة، وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقا أعظم منه، وقال أبو صالح ومجاهد الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة، قالوا ما ينزل من السماء ملك إلا ومعه واحد منهم، وقيل هم أشرف الملائكة، وقيل هم حفظة على الملائكة، وقيل جبريل عليه السلام.

ولم يشأ الله سبحانه أن يحدد ميقات ليلة القدر تحديدا دقيقا واضحا حتى لا يتكاسل الناس، وإنما أخفى الله تعالى وقتها ليقوم المسلمون بإحياء أكبر وقت ممكن من أيام رمضان ولياليه، وذلك جار فى كثير من الأمور فقد أخفى الله تعالى ساعة الموت، ووقت انتهاء الأجل لتستمر الخشية من الله تعالى، ويستمر المسلم فى طاعة ربه.

وأخفى الله كذلك ساعة الإجابة يوم الجمعة، وأخفى تحديد الصلاة الوسطى وتعيين اسمه الأعظم وغير ذلك من الأمور ليتضاعف تعظيم الله تعالى وعبادته وليدعو المسلم بتلك الأسماء كلها، كما قال تعالى: **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه﴾** الأعراف: آية ١٨٠.

وأخفى بيان قبول التوبة للتائبين، حتى يخلصوا فى الإنابة إلى ربهم ويداوموا على الرجوع إليه، والتطهير من ذنوبهم فى كل وقت وحين **﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾** البقرة: آية ٢٢٢.

وكذلك أخفى الله تعالى تحديد ميعاد هذه الليلة وميقاتها ليعظم المسلم كل أيام شهر رمضان وكل لياليه بالعبادة، والتقرب إلى ربه تعالى.

قال العلماء وسميت ليلة القدر لما يكتب فيها للملائكة من الأقدار والأرزاق والآجال التى تكون فى تلك السنة، كقوله تعالى: **﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾** الدخان: آية ٤.

وقوله تعالى: **﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾** القدر: آية ٤، ومعناه يظهر للملائكة ما سيكون فيها، ويأمرهم بفعل ماهو من وظيفتهم، وكل ذلك مما سبق علم الله به، وتقديره له[1] أ. هـ.

وفى قول رسول الله ﷺ: **«أرى رؤياكم قد**

تواطأت فى السبع الأواخر». ما يوهم ظاهره التعارض مع رواية البخارى:" «أن ناسا أروا ليلة القدر فى السبع الأواخر فقال النبى ﷺ: «التمسوها فى السبع الأواخر»، فرواية مسلم أفادت تواطؤ رؤياهم على السبع، ورواية البخارى أفادت أن منهم من رآها فى السبع ومنهم من رآها فى العشر؟

ويجاب على هذا بأن المراد بالتواطؤ التوافق، وهو أعم من أن يكون الحديث بلفظه أو بمعناه، فالبخارى لم يلتزم فى رواية الحديث بلفظ التواطؤ، إفراد السبع داخلة فى العشر، فما رأى البعض أن ليلة القدر فى السبع، ورأى الآخرون أنها فى العشر، كانوا كأنهم قد توافقوا على السبع فأمرهم الرسول ﷺ بتحريها فى السبع الأواخر، وذلك لتوافق الطائفتين على السبع(٢) أ. هـ.

وقد رأى بعض العلماء أن المراد بالسبع المطلوب تحرى ليلة القدر هى السبع الأواخر من رمضان، وذلك لما ثبت عن على رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«اطلبوا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان فإن غلبتم فلا تغلبوا على البواقى»** رواه أحمد.

وما روى عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: **«التمسوها فى العشر الأواخر (يعنى ليلة القدر) فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقى»** رواه مسلم.

أخفى الله تحديد ليلة القدر ليعظم المسلم كل أيام رمضان بالعبادة والتقرب إلى الله

فهذا يدل على ترجيح الرأى القائل بأن ليلة القدر فى أواخر العشر. ورأى بعض العلماء أن المراد بالسبع التى أولها ليلة الثانى والعشرين وآخرها ليلة الثامن والعشرين، وذلك لما رواه البخارى وغيره عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: **«التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر فى تاسعه تبقى، فى سابعه تبقى، فى خامسه تبقى»**.

وبسبب اختلاف هذه الروايات وقع اختلاف كبير بين العلماء فى تحديد وقتها، وذكروا آراء كثيرة تزيد على أربعين رأيا، منها:

ما حكاه المتولى عن الروافض والفاكهانى عن الحنفية أنها رفعت، قال القاضى وشذ قوم فقالوا رفعت، لقوله ﷺ حين تلاحا الرجلان فرفعت وهذا غلط من هؤلاء الشاذين لأن آخر الحديث يرد عليهم، فإنه ﷺ قال: «فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها فى السبع والتسع»..

وأما المراد برفعها رفع بيان علم عينها، ولو كان المراد رفع وجودها لم يكن ليأمر بالتماسها.. أ. هـ.

قال الإمام النووى وأجمع من يعتد به على وجودها ودوامها إلى آخر الدهر، للأحاديث الصحيحة المشهورة.

وقال جماعة هى متنقلة تكون فى سنة فى ليلة، وفى سنة أخرى فى ليلة أخرى وهكذا، وبهذا

يجمع بين الأحاديث ويقال كل حديث جاء بأحد أوقاتها ولا تعارض فيها، قال: ونحو ذلك قول مالك والثورى وأحمد وإسحاق وأبى ثور وغيرهم، قالوا: وإنما تتنقل فى العشر الأواخر من رمضان، وقيل: بل تتنقل فى كل أيام رمضان.

وقيل: إنها معينة فلا تتنقل أبدا بل هى ليلة معينة فى جميع السنين لا تفارقها. وذهب ابن عمر وجماعة من الصحابة إلى أنها فى شهر رمضان كله.

وقيل: بل فى العشر الوسط والأواخر.

وقيل: فى العشر الأواخر، وقيل: فى أوتارها، وقيل: فى ثلاث وعشرين أو سبع وعشرين وهو قول ابن عباس.

وقيل غير ذلك من الآراء التى ذهب إليها كثير من العلماء نتيجة اجتهاد كل منهم، وأرجح الآراء هو: أنها فى أوتار العشر الأخيرة، يدل على ذلك حديث عائشة أن رسول الله ﷺ قال: **«تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان»**. رواه مسلم والبخارى، وقال فى الوتر من العشر الأواخر.

قال الحافظ فى الفتح - عن هذا الرأى - وهو أرجح الأقوال وصار إليه المزنى، وابن خزيمة، وجماعة من علماء المذهب.

قال وأرجاها عند الجمهور ليلة سبع وعشرين.

ليلة القدر مباركة ينبغى على المسلم أن يقيمها بسائر أنواع العبادات

من أمارات ليلة القدر:

وردت علامات لليلة القدر، ومعظمها لا يكون إلا بعد مضى ثلث الليلة، ومن هذه العلامات طلوع الشمس على صفة معينة، وهى أنها لا شعاع لها لما روى عن ذر حبيش قال سمعت أبى بن كعب يقول وقيل له إن عبدالله بن مسعود يقول «من قام السنة أصاب ليلة القدر - فقال أبى: والله الذى لا إله إلا هو أنها لفى رمضان يحلف ما يستثنى، ووالله إنى لأعلم أى ليلة هى؟ هى الليلة التى أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، هى ليلة سبع وعشرين وأمارتها أن تطلع الشمس فى صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها(٣).

وروى ابن خزيمة من حديث ابن عباس مرفوعا، ليلة القدر طلقة، لا حارة ولا باردة، تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة، ولأحمد من حديث عبادة «لا حر فيها ولا برد وأنها ساكنة صاحية وقمرها ساطع»، ويلاحظ أن هذه العلامات الأخيرة تكون أثناء الليلة، وهذه الأمارات هى التى جاءت بها السنة الشريفة.

وليست ليلة القدر - كما يزعم البعض - كوكبا يضىء، أو جائزة مادية يتلقفها صاحب الحظ، وإنما ليلة القدر هى ليلة مباركة ذات مكانة جليلة، ينبغى على المسلم أن يقيمها بسائر أنواع العبادات

ولا مانع من ظهور بعض العلامات الدالة عليها.

وقال الطبرى فى اخفاء ليلة القدر دليل على كذب من زعم أنه يظهر فى تلك الليلة للعيون ما لا يظهر فى سائر السنة، إذ لو كان حقا لم يخف على كل من قام ليالى السنة، فضلا عن ليالى رمضان، وتعقبه ابن المنير بأنه لا ينبغى القول بالتكذيب لذلك بل يجوز أن يكون ذلك على سبيل الكرامة لمن شاء الله من عباده فيختص بها قوم دون قوم، والنبى ﷺ لم يحصر العلامة ولم ينف الكرامة، قال ومع ذلك فلا يعتقد أن ليلة القدر لا ينالها إلا من رأى الخوارق بل فضل الله تعالى واسع ورب قائم تلك الليلة لم يحصل منها إلا على العبادة من غير رؤية خارق، وآخر رأى الخوارق من غير عبادة، والذى حصل على العبادة أفضل والعبرة إنما هى بالاستقامة بخلاف الخارق فقد يقع كرامة وقد يقع فتنة، وقيل أن المطلع على ليلة القدر يرى كل شىء ساجدا، وقيل يرى الأنوار ساطعة فى كل مكان حتى فى المواضع المظلمة، وقيل يسمع سلاما أو خطابا من الملائكة وقيل من علاماتها: استجابة دعاء من وفق لها. أ. هـ.

إخفاء ليلة القدر دليل كذب من زعم أنه يظهر فى تلك الليلة للعيون ما لا يظهر فى سائر السنة

ما يؤخذ من الحديث:

١ ـ أن ليلة القدر موجودة ومستمرة إلى آخر الدهر.

٢ ـ الأمر بالتماسها فى السبع الأواخر، وأرجى أوقات ليلة القدر الوتر من العشر الأواخر.

٣ ـ فضيلة الاعتكاف وغيره من سائر العبادات فى العشر الأواخر رجاء ليلة القدر.

٤ ـ عظم منزلة الرؤيا وجواز الاستناد إليها فى الاستدلال على الأمور الوجودية بشرط ألا يخالف القواعد الشرعية، كما جاء فى الفتح.

٥ ـ أن هناك علامات دالة على ليلة القدر، منها ما يظهر ليلتها، ومنها ما يظهر بعدها، قال الإمام النووى: ويتحققها من شاء الله تعالى من بنى آدم كل سنة فى رمضان كما تظاهرت عليه هذه الأحاديث السابقة فى الباب، وأخبار الصالحين بها برؤيتها لها أكثر من أن تحصر أ. هـ.

٦ ـ استحباب قيام ليلة القدر، للفوز بمغفرة الله تعالى، عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»(٤). كما استحب الذكر والدعاء فيها خاصة الدعاء الوارد فى الحديث عن عائشة قالت: قلت يارسول الله أرأيت إن علمت أى ليلة.. ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال قولى: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى»(٥).

الهوامش:

١ ـ صحيح مسلم بشرح النووى جـ٣ ص٢٣١.
٢ ـ فتح البارى لابن حجر.
٣ ـ رواه أحمد ومسلم، وأبو داود، والترمذى وصححه.
٤ ـ رواه الجماعة إلا ابن ماجة.
٥ ـ رواه أحمد وابن ماجة وقالا فيه «أرأيت إن وافقت ليلة القدر» رواه الترمذى وصححه.

النبى صلى الله عليه وسلم فى رمضان

أ. د. محمد
محمد أبو ليلة

كان النبى ﷺ يعبد الله ويرعى حقه فى كل مراحل حياته، وكان حبه لربه تعالى جد معروف لأهل مكة جميعا حتى أنهم كانوا يقولون: «عشق محمد ربه» كما عرفوا عنه الصدق والأمانة والهيبة والاستقامة، ولولا أنه جاءهم بما هو مخالف لمألوف حياتهم وعوائدهم الجاهلية الموروثة لما قدموا عليه أحدا ولأجمعوا على حبه والإذعان له، وذلك لعلو نسبه وسمو أخلاقه ورجاحة عقله وحكمته، فقد اجتمعت فيه ﷺ كل الفضائل والمزايا الخلقية والخلقية التى عرفها العرب فى تقدير الرجال وفى تقويم العظماء.

وقد أجاد العرب فى ذلك وتحققوا فيه؛ فما كان لأحد أن يسودهم إلا لامتياز يتفوق به عليهم، فقد أعطوا للشعراء قدرهم وقسموهم إلى طبقات، وأحلوا الحكماء المكانة الأرفع بينهم، وقامت ثقافتهم الدينية والمدنية على أساس احترام الكبار وإجلال شيوخ القبائل والخضوع لحكم المحكمين فيهم.

ولقد كان كل فرد من أهل مكة يعرف قدر محمد ﷺ ويتحدث عنه فى سريرته ودخيلة نفسه، ومع من يثق فيهم، لكنه عندما يكون فى جماعته ومشيخته فإن عقله يصبح جزءا من عقلهم الجمعى فيبدى من ثم السخرية من محمد ويحبذ مع قومه ضرورة القضاء عليه، والفراغ من شأنه، وتعجل الراحة منه حفاظا على النظام القبلى القائم وبِراً بالأسلاف الأقدمين، وربما ساق الخوف من العزلة الدينية والاجتماعية كثيرا من العرب إلى تبنى مواقف عدائية ضد محمد ﷺ وما ذلك إلا نزولا على أمر زعماء القبائل المسيطرين على شئون مكة.

عاش النبى ﷺ طفولته وشبابه فى مكة وكان مثلا للصدق والأمانة والعفة والاستقامة.

والصدق هو ملاك أخلاقه ﷺ وهو قاعدة الإسلام وواسطة عقد الشريعة الإسلامية ومزاج أصولها العلوية، وهو عقدة الحياة وحجر الزاوية بالنسبة للحياة الاجتماعية فى الإسلام.

ومكة هى المكان الذى ولد فيه النبى ﷺ وولدت فيه دعوته وأعلنت نبوته.

تحنث الرسول ﷺ ونزول القرآن عليه فى غار حراء:

كان النبى ﷺ يعتكف فى غار حراء قبل نزول الوحى عليه وبعد زواجه من السيدة خديجة - رضى الله عنها - وربما قبل ذلك. روى البخارى فى كتاب بدء الوحى عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ .. الحديث.

وقد أخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن فى شهر رمضان على النبى ﷺ كما فى قوله تعالى: ﴿**شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه**﴾ البقرة: آية ١٨٥.

وقد عرَّف الله تعالى شهر رمضان وقيده فى هذه الآية بأنه شهر القرآن وربطه بنزول القرآن قبل أن ينوه بالصوم فيه وما ذلك إلا لأن القرآن هو مصدر الأحكام وقاعدة الإسلام، ونلاحظ أن الله تعالى ذكر الصوم فى مجموع آيات سورة البقرة مرة مقيدا بالفرضية فحسب كما فى قوله تعالى: **﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** البقرة: آية ١٨٣، فالإشارة هنا إلى فرضية الصيام دون ذكر محله، وهو شهر رمضان. ومرة أشار القرآن إلى شهر رمضان بأيامه فقال: **﴿أياما معدودات﴾** فقيد الأيام بأنها معدودات تهوينا لما فى الصيام من مشقة على النفوس، ولأن أيام الشهر الكريم تمر سريعا فى حس الصائمين المتقين، وحدد الله تعالى الليلة التى نزل فيها القرآن بقوله: **﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر* وما أدراك ما ليلة القدر* ليلة القدر خير من ألف شهر﴾** القدر: الآيات ١ ـ٣، وقوله: **﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين* فيها يفرق كل أمر حكيم﴾** الدخان: الآيتان ٣، ٤.

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: **«أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفصلا (يعنى مفرقا) بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة»**، وفى شأن تنزيل القرآن منجما يقول تعالى: **﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا* وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مُكث ونزلناه تنزيلا﴾** الإسراء: الآيتان ١٠٥، ١٠٦.

ومعنى فرقناه أى فصلناه وأنزلناه مفرقا، ومعنى على مكث أى على مهل وتؤدة، وفى أوقات متفرقة، وذلك حتى يتثبت به قلب الرسول ويكون أعون على حفظه والعمل به، وقد عظم الله تعالى شأن ليلة القدر والبركة بأن جعلها ظرفا لنزول القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم ابتداء نزوله مفرقا فى تلك الليلة أيضا؛ لذلك جعل الله تعالى ثواب العمل فيها يعدل ثواب العمل فى غيرها عدة ألف شهر أى نحو ثمانين عاما وتلك المدة فى حد ذاتها تفوق متوسط عمر الإنسان.

يقول الرسول ﷺ عن ليلة القدر: **«من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»** أخرجه الشيخان.

وتكاد تتفق كلمة العلماء على أن ليلة القدر هى الليلة السابعة والعشرين من الشهر الكريم، وقد وصفها رسول الله ﷺ بأنها: **«ليلة سَمْحة طلقة بَلْجَة لا حارَّة ولا باردة كأن فيها قمرا لا يخرج شيطانها»**.

وقد كان النبى ﷺ يقضى هذه الليلة ضمن ليال أخرى معدودة فى غار حراء يتعبد الله ويتنسك له ويفكر فى خلق السموات والأرض، وفى أحوال العباد ومصيرهم حتى جاءه جبريل عليه السلام بالوحى وفاجأه بقول الله تعالى: **﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم* علم الإنسان مالم يعلم﴾** العلق: الآيات ١ ـ ٥.

وهذه أول آيات تنزل على رسول الله ﷺ من القرآن ويسمعها أهل الأرض منه ﷺ، وبهذه الآيات شع نور الله على العالمين وشاع من بعد ذلك فى أنحاء المعمورة وخرجت الرحمة والعدالة من فم الغار لتنقذ البشرية من طوفان الكفر والعصيان والدمار وتحملهم بسلام إلى شاطئ الأمن والإيمان وإلى الصراط المستقيم.

اعتكافه ﷺ فى رمضان:

الاعتكاف فى اللغة هو لزوم مكان ما والمكث فيه وهو أيضا بمعنى الاستقامة، وفى الشرع هو الاحتباس أو الإقامة فى المسجد على سبيل القربة والتعبد لله سبحانه وتعالى والتفرغ لذلك. والعكوف معناه الإقبال على الشىء وملازمته تعظيما لشأنه.

وقد ورد الاعتكاف أو العكوف فى القرآن الكريم مقترنا بالمسجد وبالصوم فى قوله تعالى: **﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾** البقرة: آية ١٨٧.

ويقول تعالى: **﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء**

العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ الحج: آية ٢٥.

والعاكف هو المقيم فى المسجد للعبادة، والباد أى القادم من البادية، غير المقيم وهو الذى يتردد على المسجد للعبادة والتعظيم ويقول تعالى: **﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾** البقرة: آية ١٢٥.

وطهارة المسجد المشار إليها تكون طهارة حسية ومعنوية وعلى هذا الحال ينبغى أن تكون جميع مساجدنا.

وقد ثبت فى السنة عن رسول الله ﷺ أنه كان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان حتى توفاه الله تعالى ثم اعتكف أزواجه من بعده. وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: **«كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل»**، وعن ابن عمر مثله والحديث متفق عليه ولمسلم زيادة قال فيها عن نافع: **«وقد أرانى عبدالله (ابن عمر) المكان الذى كان يعتكف فيه الرسول ﷺ»**.

وعن أنس قال: **«كان النبى ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان فلم يعتكف عاما، فلما كان العام المقبل اعتكف عشرين (أى فى اليوم العشرين من شوال)»** رواه أحمد والترمذى وصححه ورواه غيرهما.

ويتفق العلماء على أن الاعتكاف سنة بل وسنة مؤكدة لمداومة رسول الله ﷺ عليها، ويستحب أن يكون الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان، اتباعا لرسول الله ﷺ ولأنها تضم ليلة القدر.

وأما بالنسبة لحديث أنس الذى جاء فيه أن النبى ﷺ لم يعتكف عاما، فإن حديث السيدة عائشة يفسر لنا لماذا يعتكف رسول الله ﷺ فى هذا العام.

قالت عائشة - رضى الله عنها -: **«كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه وأنه أمر بخباء (أى خيمة) فضرب (أى وضع) لما أراد الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان، فأمرت زينب (أى أزواج النبى بخبائها فضرب، وأمرت غيرها من أزواج النبى ﷺ بخبائها فضرب، فلما صلى رسول الله ﷺ الفجر نظر فإذا الأخبية (منصوبة) فقال: آلْبِرَّ يُرِدْنَ فأمر بخبائه فقوض (هدم) وترك الاعتكاف فى شهر رمضان حتى اعتكف فى العشر الأواخر من شوال.**

واضح من هذا الحديث أن ترك رسول الله ﷺ الاعتكاف فى هذا العام - كان بسبب التنافس بين أزواجه، أمهات المؤمنين على القرب منه فخشى النبى ﷺ أن يكون ذلك بقصد المباهاة مما يخرج الاعتكاف عن الغرض الشرعى له، ومن أدبه ﷺ أنه لم يُغضب واحدة منهن أو يؤذى مشاعرها أو يحكم على نيتها بل توقف عن العبادة بنية قضائها وهكذا فإن من أراد أن يستن بسنة النبى ﷺ فعليه أن ينوى الاعتكاف ثم يدخل المسجد أو المكان المعد للاعتكاف من أول النهار وإن لم يتمكن فله أن يدخله قبل غروب شمس اليوم العشرين من شهر رمضان.

وعن نافع رضي الله عنه عن ابن عمر أن النبى ﷺ كان إذا اعتكف طُرح له فراش أو وضع له سريره وراء اسطوانة التوبة» رواه ابن ماجة.

وروى أن عائشة - رضى الله عنها - كانت ترجل (أى تمشط) رأس النبى ﷺ وهى حائض وهو معتكف فى المسجد، وهى فى حجرتها يناولها رأسه، وكان ﷺ لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان (الضرورية) إذا كان معتكفا».

وعنها أيضا أن النبى ﷺ كان يمر بالمريض وهو معتكف فيمر كما هو ولا يعرِّج (أى لا يتوقف) يسأل عنه».

وقد جمعت لنا السيدة عائشة - رضى الله عنها - أهم أحكام الاعتكاف من سنته ﷺ فقالت: «السنة على المعتكف ألا يعود مريضا، ولا يشهد جنازة ولا يمس امرأة ولا يباشرها ولا يخرج لحاجة إلا لما لابد منه، ولا اعتكاف إلا بصوم ولا اعتكاف إلا فى مسجد جامع» رواه أبو داود.

الجهاد فى رمضان

غزوة بدر وفتح مكة

أ - مشروعية الجهاد:

أذن الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بالقتال بعد الهجرة، ردا للعدوان، وتأمينا للعقيدة، ودعوة إلى الخير.. قال الله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾ الحج: الآيتان ٣٩، ٤٠.

وكانت غزوات رسول الله ﷺ التى باشرها بنفسه سبعا وعشرين غزوة، قاتل فى تسع منها هى: بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف..

أ.د/ محمد المسير

وقد وقعت غزوتان فى رمضان، غزوة بدر فى السابع عشر من شهر رمضان للعام الثانى الهجرى، وفتح مكة فى العاشر من شهر رمضان للعام الثامن الهجرى.

والجهاد قمة العبادات وأعظم القربات إلى الله عز وجل، وكان ﷺ يحث أصحابه كثيرا على الجهاد والثبات والتضحية والاستشهاد.

ففى صحيح الحديث عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله».**

وفى حديث آخر: **تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا جهاد فى سبيلى وإيمان بى وتصديق برسلى، فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة. والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم، لونه لون دم وريحه ريح مسك. والذى نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى. والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل».**

وقد حرص رسول الله ﷺ على تعليم المسلمين صدق النية فى الجهاد وسلامة القصد، فحين جاء رجل يسأله: يارسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن فى سبيل الله؟ فقال - عليه الصلاة والسلام -: **«من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله».**

وتأكيدا لهذه النية الصادقة أدب الرسول أصحابه على استمرار هذا العزم فى القلب، مصاحبا للاستعداد الدائم، ومواكبا لممارسة التدريب المستمر.. فقال: **«من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه».**

«من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق».

وحدث عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه».**

وقد رئى أحد الصحابة فى حال الكبر يمارس الرمى ويحافظ على التدريب، رغم المشقة التى تعتريه، فقيل له فى ذلك، فقال: لولا كلام سمعته من رسول الله ﷺ لم أعانه.. إنه قال: **«من علم الرمى ثم تركه فليس منا، أو قد عصى».**

ب ـ الرسول القائد:

وإذا أردنا أن نتعرف على مواطن القدوة فى الرسول القائد فعلينا أن نقف عند غزوات الرسول ﷺ التى قاتل فيها وخطط لها وباشر مهمة القيادة العسكرية الناجحة.

وعلى سبيل المثال: ففى يوم بدر الذى سماه القرآن (يوم الفرقان) نلمس هذه القيادة العسكرية الفذة فى النقاط التالية:

أولا: تهيئة الرأى العام للمعركة، واستيثاق القائد من أمر الجيش، ويظهر ذلك جليا حين ندب الرسول المسلمين إلى اعتراض قافلة أبى سفيان، لعل الله أن ينفلها لهم، فلما أفلتت القافلة بدأ الرسول ﷺ يستشير الناس للجهاد فى مواجهة قريش التى أقبلت بجموعها الحاشدة، حتى اطمأن إلى صدق العقيدة القتالية، وخالص الولاء للدين القيم.. ولقد قال سعد بن معاذ يومئذ:

فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر فى الحرب، صدق فى اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقربه عينك، فسر بنا على بركة الله.

ثانيا: مشورة الرأى حكمة، والحرب خدعة، ولذا قبل الرسول القائد مشورة الحباب بن المنذر ابن الجموح حين أشار بتغيير المنزل الذى نزله جيش المسلمين، وقال بأدب جمّ: يارسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون.

كذلك قبل الرسول ﷺ مشورة سعد بن معاذ حين قال: يانبى الله، ألا نبنى لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام.. يانبى الله، ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، فيناصحونك ويجاهدون معك.

وقد بنى عريش لرسول الله ﷺ فكان فيه وذلك من باب الحرص على القائد والذود عنه لأنه يمثل أمة بأسرها أما الجندى فهو فرد من أمة.

ثالثا: التحام القائد بجنوده وقربه منهم أمر حتمى لاكتساب النصر، وقد عدل الرسول صفوف أصحابه يوم بدر بنفسه، وخرج إلى الناس وحرضهم قائلا: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض.

فقال رجل من الأنصار: عرضها السموات والأرض؟!

قال: نعم. فقال الرجل: بخ.. بخ.

قال له الرسول القائد: ما يحملك على قولك بخ بخ؟

قال الرجل: رجاء أن أكون من أهلها.

فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: فأنت من أهلها.

فتقدم الرجل فكسر جفن سيفه، وأخرج تمرات فجعل يأكل منهن. ثم ألقى بقيتهن من يده وقال: لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها لحياة طويلة..!!

وفى رواية: إنى لحريص على الدنيا إن جلست حتى أفرغ منهن.

فرمى مافى يده، فحمل بسيفه، فقاتل حتى قتل.

رابعا: الدعاء مخ العبادة، ودعاء المرء وقت الشدة مستجاب، والأسباب المادية وإن كانت ضرورية لا يجوز التفريط فيها، فإن استشعار القلب بالملأ الأعلى أمر حتمى لروعة النصر وجلاله، ولذا كان رسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من نصر قائلا:

«اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى..

اللهم أحنهم الغداة.. أى أهلكهم.

اللهم إن تهلك هذه العصابة ـ أى المسلمون ـ لا تعبد».

وظل الرسول القائد يعيش بقلبه مع المعركة، ويلهج فؤاده ولسانه إلى الله فى علاه، حتى قال أبو بكر مشفقا عليه: يانبى الله بعض مناشدتك ربك إن الله منجز لك ما وعدك.

وصدق الله حيث يقول: **﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾** آل عمران: آية ١٢٦.

جـ ـ ثبات المؤمنين:

هذا وقد جعل الله تعالى للمسلمين فى مواجهة عدوهم حالين أشارت إليهما الآية الكريمة:

﴿ياأيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون* الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾ الأنفال: الآيتان ٦٥، ٦٦.

الحالة الأولى: أن يثبت العشرون من المسلمين أمام المائتين من المشركين والمائة أمام الألف، وهذه عند قوة يقين المسلمين وكمال ثقتهم بالله تعالى وصدق توكلهم عليه سبحانه، فالواحد من المسلمين يقاتل عشرة من الكافرين.

الحالة الثانية: عندما يتناقص الإيمان ويستولى حب الدنيا على المسلمين جعل الله ثبات المسلمين واجبا إذا كانوا على النصف من عدوهم، فالمسلم الواحد يجب تكليفا شرعيا أن يثبت أمام الاثنين.

وما بعد ذلك يعد فرارا من الميدان ونكوصا عن الجهاد وهو من أكبر الكبائر.. قال الله تعالى: **﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾** الأنفال: آية ١٦.

والملاحظة الجديرة بالاعتبار أنه فى كلتا الحالين نجد أن المسلمين أقل عددا من عدوهم، وما ذاك إلا لأن نصرة المسلمين إنما هى بطاعتهم لله ومعصية عدوهم له، فإذا اشتركوا فى المعصية تركهم الله وشأنهم ولم تشملهم عناية الله، فتكون الغلبة للمشركين.

ولو أن المسلمين اليوم عقلوا هذا المعنى وصدقوا فى ولائهم لله ورسوله، لما حلت بهم النكبات.

د ـ السارقون للنصر:

تحتفل مصر المحروسة كل عام بذكرى العاشر من رمضان، الذى استعادت فيه كرامتها، وحققت به عزتها، وسادت به على أرضها وخيراتها.

وفى كل عام يتسلل غرباء الكلمة وكهنة الفكر الرخيص فى محاولة يائسة لسرقة هذا النصر وتفسيره تفسيرا ماديا هزيلا، فيزعمون أنه نصر تحقق بعيدا عن الإيمان، وصنعته قدرة السلاح وعبقرية التخطيط.

ونسى هؤلاء السفهاء أن المعركة رجال وسلاح، وليس هناك رجال بغير دين، والإنسان فى غيبة الدين هو منافق عربيد، وإذا كانت المعركة تخطيطا وتنظيما بشريا فإن العقل الإنسانى قاصر مهما كان عبقريا، فقد تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن، ولولا نور الله ما صح تخطيط ولا تيسرت أسباب.

إن المعركة فى حقيقتها هى عقيدة قتالية، يستشعر المقاتل أهميتها وضرورة التضحية فى

سبيلها، وهذه العقيدة فى غيبة الدين وهم وخرافة، ولايقدم إنسان على بذل نفسه فى سبيلها مهما كانت الشعارات ومهما ارتفعت النداءات الجوفاء.

والدين وحده، والإسلام بذاته هو الذى يمنح المعركة عقيدتها القتالية، وهدفها النبيل، وإن الوطن والأرض والكرامة فى إطار الدين معان سامية ومثل عليا، لكنها إذا تجردت عن الدين فلا قيمة لها، فالأرض واسعة، ومن لم يعش فى وطن هاجر إلى آخر، والأعراض مشتركة، ولا ولاء لشىء.. ثم إن الإنسان لم يخلق نفسه، ولا يمنح ذاته الحياة، ولا يدرى متى تنتهى منه، ولا يسيطر على الكون، ولا يتدخل فى النواميس الكونية، ولا يدبر أمر الكائنات، فليعرف الإنسان قدر نفسه ليعرف قدرة الله عليه وسلطانه وقوته ولنتأمل قوله تعالى: **﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير﴾** آل عمران: آية ٢٦.

هـ- معالم الإيمان فى معركة رمضان:

إن كهنة الفكر الماركسى، وفلول الخبل العلمانى - يسعون دائما إلى طمس معالم هذه الأمة، وتزييف حقائق التاريخ، والقضاء على ثوابت وقيم الشعب المصرى الأصيل.

وعندما يحاول هؤلاء الغرباء سرقة نصر رمضان - أكتوبر، وإضافته إلى قائمة المكاسب الرخيصة التى يتباهون بها - فإنهم واهمون، ويخدعون أنفسهم ويغفلون عن حقائق مهمة فى هذ النصر المبين.. إن قائد الحرب والسلام «محمد أنور السادات» حرص على وصف مصر بأنها دولة العلم والإيمان، وأعلن فى مواجهة الصليبية العالمية أنه رئيس مسلم لدولة إسلامية، وأصبحت الشريعة الإسلامية - فى عهده - المصدر الرئيسى للتشريع، وسعى بنفسه إلى زيارة شيخ الأزهر فى مقر إقامته، وأصدر اللائحة التنفيذية لقانون تطوير الأزهر بعد غياب طويل، وأصبح وضع شيخ الأزهر - فى البروتوكول - بمرتبة رئيس الوزراء.

وإن صاحب الضربة الجوية الأولى «محمد حسنى مبارك» هو قائد السلام والتنمية، الحريص على دين هذا الشعب وقيمه، إنه يوقر العلماء ويكرمهم ويشاركهم المناسبات الدينية فى احتفالات عالمية، تستقطب علماء المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها.

وإن اختيار شهر رمضان لتوقيت المعركة لم يكن مصادفة وارتجالا، وإنما جاء قصدا كى يستشعر المقاتل المصرى عبق الإيمان وشجاعة المجاهدين وليتخذ من الصيام درسا فى الصبر حين البأس، وفى الثبات حين الزحف.

ولقد كان الإسم الذى سجلته مواثيق هذه المعركة هو اسم بدر، تيمنا بغزوة بدر الكبرى التى قادها الرسول ﷺ عقب الهجرة إلى المدينة المنورة، وسماها القرآن المجيد يوم الفرقان.

ولقد عبر المقاتلون المصريون العائق المائى وحطموا خط بارليف، وقد امتلأت قلوبهم بالإيمان، وعلت أصواتهم بصيحة التكبير لله عز وجل، وبذلوا أنفسهم أملا فى الشهادة، ورجاء لثواب الله، وحرصا على كرامة مصر التى أعزها الله على ألسنة رسله وذكرها فى كتب الوحى المنزلة مقترنة بالبركة.

ولا ننسى دور التوجيه المعنوى بالقوات المسلحة، ومشاركة العلماء والدعاة فى شحذ همم الجنود وتزكية روح الفداء والتحريض على القتال، وكان نداء القيادة العامة للقوات المسلحة قبيل بدء المعركة هو التأكيد على ثقة القيادة بإيمان المجاهدين بالله.. **﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾**.

مدرسة الصوم بين الدين والعلم

الصيام منهج لتربية النفس، شأنه فى ذلك شأن العبادات الأخرى التى تهدف إلى طبع الإنسان على التقوى، تلك الغاية التى تتوق إليها نفسه وتهفو إليها روحه، وهذا الصوم هو أداة من أدواتها، فهو . كما يقول صاحب الظلال ـ مجال تقرير الإرادة العازمة الحازمة، ومجال اتصال الإنسان بربه اتصال طاعة وانقياد، كما أنه مجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها، واحتمال ضغطها وثقلها، إيثارا لما عند الله من الرضى والمتاع، فالصيام كما نعلم يضعف شره المادية وحدتها وتسلطها على الجسد ليترك الجسد لفيوضات الروح. وعلى ذلك فالرسول ﷺ بصفه كعلاج للنفوس المفتونة بفيض حيويتها فيقول ﷺ لهؤلاء النفر وغيرهم: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

أ.د / محمد فتحى فرج بيومى

ويقول ﷺ: **«الصوم جنة»**، أى وقاية. ويأتى العلم الحديث ليفسر ما جاء بهذا الحديث الشريف فيثبت أن الصوم يؤثر على مستوى بعض الهرمونات فى الدم مثل هرمون البرولاكتين فيؤدى إلى انخفاضه، وهو أحد هرمونات الغدة النخامية، التى تهيمن على معظم مناشط الجسم، وهذا الهرمون له تأثير مثبط على إنتاج الخصية لهرموناتها الذكرية، تلك التى تحرك الرغبة الجنسية فى الذكور(١).

من فوائد الصوم:

وإلى جانب ذلك فهناك ما يكتشف على مدار الزمن من آثار مفيدة للصوم فى وظائف الأعضاء، وهى تنهض مع غيرها فى إعداد الإنسان لدوره على الأرض، وتهيئته للكمال المقدر له فى الحياة الآخرة، لاسيما إذا كانت الفانية (للدنيا) مطية للباقية (الآخرة). وقد كشفت العلوم المختلفة عن طائفة من الفوائد الخاصة بهذه الفريضة التى هى سر بين العبد وربه، مما يجعلنا فى نهاية المطاف نسجد لله شكرا لمراعاة التدبير الإلهى لكيان الإنسان فى كل ما يفرضه عليه ويوجهه إليه، وكل ذلك على الرغم من محدودية علم الإنسان واستحالة إحاطته بكل جوانب الصورة، وعلى ذلك فإننا نرى أن الحق تبارك وتعالى يحبب الإنسان فى اختيار الصوم مع المشقة ـ فى غير سفر ولا مرض ـ بقوله تعالى: **﴿وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾** البقرة: آية ١٨٤، لما فى الصوم من خيرات كثيرة على كافة الجوانب الإيمانية والتربوية والصحية، وسوف يدور اهتمامنا، فى هذا المقال، على الجانب الصحى،(٢) وقبل أن نتوغل فى موضوعنا هذا لابد من كلمة عامة عن بعض سمات أمة الإسلام بشكل عام، قد يكون لها صلة بموضوعنا هذا، وأعنى بها: الوسطية والاعتدال فى كل شىء، ويدخل فى هذا الباب استهلاك الطعام والشراب، فقد ورد فى الأثر:

«نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع»، وكما ورد أيضا **«صوموا تصحوا»** وورد أيضا **«المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء»،** والقرآن الكريم ينبهنا إلى أمر بالغ الأهمية وهو عدم الإسراف فى المأكل والمشرب، على الرغم من أنهما مما أحل الله للإنسان، حيث يقول تعالى: **﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾** الأعراف: آية ٣١.

واقع الأمة المعكوس:

والواقع الذى لا يمكن إنكاره بحال أن الاستهلاك الغذائى يزيد فى ديار أمة الإسلام زيادة كبيرة بحلول شهر رمضان، شهر الصيام، على النقيض مما كان قائما فى صدر الإسلام، وعلى عكس ماهو متوقع فى شهر يجاهد المرء فيه شهواته لتزكو نفسه وتصفو روحه ويتفرغ للعبادة والذكر فى هذا الشهر الكريم الذى ينبغى أن يكون فرصة لصيانة الجسم ومراجعة النفس وطاعة الله.

التراث الإسلامى يفيض فى ذكر منافع الصوم:

ويقول صاحب الطب النبوى(٣) فى مادة صوم: «الصوم جنة من أدواء الروح والقلب والبدن منافعه تفوق الإحصاء، وله تأثير عجيب فى حفظ الصحة، ولاسيما إذا كان باعتدال وقصد فى أفضل أوقاته شرعا، وحاجة البدن إليه طبعا. ثم إن فيه من راحة القوى والأعضاء ما يحفظ عليها قواها. وفيه خاصية تقتضى إيثاره، ويضيف ابن قيم الجوزية: «وهو يدخل فى الأدوية الروحانية والطبيعية، وإذا راعى فيه الصائم ما ينبغى مراعاته طبعا وشرعا عظم انتفاع قلبه وبدنه به، وحبس عنه المواد الغريبة والفاسدة التى هو مستعد لها، وأزال المواد الرديئة الحاصلة بحسب كماله ونقصانه، ويحفظ الصائم مما ينبغى أن يتحفظ منه، ويعينه على قيامه بمقصود الصوم وسره وعلته الغائية، فإن القصد منه أمر آخر وراء ترك الطعام والشراب».

وهذا الكلام صحيح جملة وتفصيلا، إذا ما وضعناه فى ميزان النقد العلمى وعلى أساس أحدث ما وصلت إليه علوم الكيمياء الحيوية والفسيولوجيا والطب.

الصوم ظاهرة فسيولوجية فطرية:

وإذا عرفنا أن الصوم عملية تمر بها معظم الكائنات الحية بشكل اختيارى مهما توافر الغذاء فى الطبيعة من حولها، وليس الإنسان فقط، لأدركنا أنه يمكن اعتبار الصوم ظاهرة فسيولوجية فطرية، وليست مجرد عملية إرادية وتعبدية بالنسبة للإنسان وكفى، وعلى ذلك فهو ضرورى لجميع الكائنات شأنه فى ذلك شأن التنفس، والاغتذاء والنوم والحركة.. وهو يجدد شباب الكائن الحى، بل ويطيل من عمره، فهناك بعض الكائنات المفطورة على الصوم، وقد تصل مدة صومها إلى سبعة أشهر، أو ما يزيد على ذلك، استجابة لعوامل بيئتها الطبيعية التى أوجدها الخالق تبارك وتعالى فيها، والصوم بهذا ضرورى لحياتها إلى الدرجة التى يمكن أن تلقى حتفها إذا ما عاقها عائق عن أدائه واستمراره لحين تحسن ظروفها البيئية، وعندها يمكن أن تنشط وتتناول غذاءها(٤).

الصوم يجدد الشباب ويطيل العمر:

أما قولنا إنه يجدد شباب الكائن ويطيل عمره فبيانه على النحو التالى: تتم فى جسم الكائن الحى عمليتان كيموحيويتان متلازمتان، وذلك تحت الظروف الطبيعية من توافر الغذاء والتنفس، وإنتاج الطاقة وخلافه وهما: عملية البناء Anabolism وعملية الهدم Catabolism، أما الأولى فتحدث بكثرة فى المراحل المبكرة (مرحل التخلق والنمو) من عمر الكائن، إلا أنها تتم أيضا طوال حياة الكائن الحى لتعويض الخلايا التالفة والمستهلكة وكذا استبدال وتجديد الجزيئات الحيوية المتهالكة بل وتخزين بعض المكونات التى تعد بمثابة مخزون احتياطى للجسم، أو تكوين بعض المركبات النفاوية Wastes تمهيدا لتخليص الجسم منها دون آثار جانبية سيئة على

الجسم. أما العملية الثانية وهى عملية الهدم فعن طريقها يتمكن الجسم من التخلص من الخلايا الهرمة والمريضة والشاذة فى أنسجة الجسم المختلفة وكذلك عن طريقها يتم نقض الجزيئات المتهالكة وهدم الجزيئات الغذائية المختلفة حتى يتمكن الجسم من الحصول على الطاقة اللازمة لاستمرار وظائفه ومن ثم حياته. وعلى ذلك فالعمليتان هامتان وضروريتان للكائن الحى وتحدثان فى كل لحظة من حياة جميع المخلوقات، ولكن معدل حدوثهما ليس ثابتا وإنما يخضع لظروف الكائن الحى، فمثلا فى أثناء فترات الجوع أو الصيام فى شهر رمضان أو غيره يزيد معدل عملية الهدم لتزويد الجسم بالطاقة، وهذا من شأنه تمكين الجسم من التخلص من عناصره الفاسدة أو المتهالكة بسرعة وكفاءة بشكل يفوق مثيله فى أثناء فترات الشبع، وبعد تناول الطعام عقب الصيام أو الجوع فإن عناصر البناء تتوافر فيقبل الجسم على عملية البناء بمعدل مرتفع وكفاءة عالية.

والخلاصة أن الصوم يمنح الجسم فرصة ذهبية للتخلص من الأنسجة والخلايا والجزيئات الهرمة أو قليلة الكفاءة، ويعمل أيضا على منح الجسم فرصة لتجديد جزيئاته الحيوية وخلاياه وأنسجته التالفة، ليقوم الجسم بوظائفه بشكل أفضل وكفاءة أكثر مما يساعد على تجديد الشباب وإطالة العمر الحيوى بقدرة الله تعالى. هذا فضلا عن أن بعض التجارب العلمية الخاصة بتجويع الحيوانات المختلفة قد أسفرت عن حياة أطول لهذه الحيوانات مقارنة بمثيلاتها التى لم تتعرض للحرمان من الطعام. وجدير بالذكر أن الأمم السابقة تركت من خلال التدوين والتسجيل مايدل على قيام شعوبها بهذه الشعيرة الهامة وهى الصوم، فقد ذكر بعض المؤرخين المحدثين(٥) أن قدماء المصريين كانوا يتقون الأمراض بالمحافظة على صحة أجسامهم بالصوم والمقيئات واستخدام الملينات، وذلك لاعتقادهم أن الجزء الأكبر مما يدخل فى الجسم من الطعام يزيد عن حاجته، وأن الأمراض إنما تنشأ عن هذا القدر الزائد عن الحاجة. يقول الله تعالى فى محكم آياته: **﴿ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** البقرة: آية ١٨٣. إن من الصور التى يمكن أن تمتد إليها الوقاية أيضا النواحى الطبية والجسمانية اضافة إلى المعانى الأخرى التى أفاض فيها الثقات من المفسرين الأجلاء. وقد أعجبنى ما أشار إليه الدكتور محمد رجب البيومى الذى يلخص القضية فى وضوح وجلاء حيث يقول «كثر القول بأن الإسلام دين الفطرة حتى عد من المسلمات، وليست الفطرة هنا مقصورة على ما تتجه إليه النفوس بطبيعتها من الأخلاق والعادات والسلوك بل تتعدى ذلك إلى التكوين الجسمى للكائن الحى حيث يراعى الإسلام فى فرائضه ما يناسب وظائف الأعضاء ويعود عليها بالصحة والنشاط وليس أدل على ذلك من البحوث والدراسات التى تتعرض لأثر الصوم فى فائدة الجسم الصحية من نواح كثيرة(٦)، لعلنا نكون قد أوضحنا بعضها فى هذا المقال المقتضب، وتظل هناك فوائد كثيرة سيسفر عنها التقدم العلمى غدا أو بعد غد إن شاء الله تعالى.

المراجع والتعليقات:

1- Abbas, S.A.A. and Basalamah, A. H. (1986): Effects of Ramadhan fadt on Male Ferility. Arch. Androl. 16: 161-166. تأثير صوم رمضان على الخصوبة الذكرية.

٢ - (لاحظ الإشارة الواضحة لخيرية الصيام وربطها بالعلم فى الآية السابقة «١٨٤ من سورة البقرة».

٣ - الطب النبوى: ابن قيم الجوزية ص٥٠٦.

٤ - Hochcahka, P.W and Somero, G. N (1984): Biochemical Adaptation. p 206. Princeton Univ. Press, Princton, New Jersey.

٥ - ويل ديورانت (٢٠٠١) قصة الحضارة. المجلد الأول الجزء الثانى. ص١٢٦ الهيئة العامة للكتاب مصر.

٦ - أ. د. محمد رجب البيومى (١٩٨٤) قضايا إسلامية: مناقشات وردود جـ٢ دار الوفاء للطباعة والنشر. مصر ص١٤٩.

من التراث الإسلامي

فضائل شهر رمضان

-١-

وجاء رمضان.

جاء بذكريات المجد الخالد، المجد الإسلامى التليد، وبنصر بدر وفتح مكة المخلدين.

وجاء بالنور والهدى والخير.

الشهر الذى كرمه الله، فأنزل فيه رسالته الإلهية إلى العالم كافة، وإلى الإنسانية قاطبة، كتابه الحكيم، القرآن الكريم ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ البقرة: آية ١٨٥.

والذى كرمه الله، فجعل فيه ليلة القدر(١)، ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر* وما أدراك ما ليلة القدر* ليلة القدر خير من ألف شهر* تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر* سلام هى حتى مطلع الفجر﴾ القدر: الآيات ١ ـ ٥

د. محمد عبدالمنعم خفاجى

﴿إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين* فيها يفرق كل أمر حكيم* أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين* رحمة من ربك إنه هو السميع العليم* رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين* لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ الدخان: الآيات ٣ ـ ٨.

رمضان الذى كرمه الله بالأمر بصيامه، وسن فيه القيام والعبادة والتهجد وفعل الطاعات، وبذل القربات والصدقات. ولو لم يكن لشهر رمضان فضل إلا نزول القرآن فيه لكفاه ذلك فخرا وتكريما على مدى الأحقاب والعصور.

ويكرم المسلمون فى جميع أنحاء الدنيا، منذ فرض الصيام فى العام الثانى للهجرة النبوية حتى اليوم، هذا الشهر الكريم تكريما ما بعده تكريم يصومون نهاره، ويحيون ليله، ويعكفون فيه على العبادة والطاعة والقيام وبذل المال ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

وقد عُنى العلماء المسلمون عناية بالغة بكتابة

الكتب، وتأليف المؤلفات، عن شهر رمضان المبارك، كتبوا عن الصيام ونزول القرآن وليلة القدر، وعن كل ما يتصل بهذا الشهر الكريم.

وامتلأ التراث الإسلامى بهذا الفيض الغزير من المدونات، التى لايمكن حصرها أو استيعابها، والتى هى زاد المسلم فى سلمه وحربه، وفى ليله ونهاره، وفى صبحه ومسائه.

وإنى لسوف أعرض هنا لعدة كتب من التراث الإسلامى، عن رمضان وشريعة الصيام فيه ليعرف المسلم كل ما يتصل بهذا الشهر العظيم من طاعات وعبادات.

ـ ٢ ـ

أمامى الآن كتاب مخطوط هو النسخة الوحيدة له فى جميع أنحاء العالم وهو فضائل شهر رمضان تأليف العالم نافع الجوهرى بن سليمان (١٢٣٧ ـ ١٣٣٠هـ) من علماء الأزهر الشريف فى القرن الثالث عشر الهجرى الذى نال شهادة العالمية عام ١٢٨٣هـ على يد أستاذه الشيخ الباجورى.

تحدث المؤلف فى هذا الكتاب عن فريضة الصيام وأحكامه وآدابه وألوان الطاعات والعبادات فيه، ويذكر أن الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كان يصوم يوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر، وكذلك تبعه المسلمون الأولون، وبعد سبعة عشر شهرا من قدوم الرسول إلى المدينة نسخ ذلك بصوم شهر رمضان فى السنة الثانية للهجرة قبل معركة بدر بشهر وأيام، وذلك بعد مضى ليلتين خلتا من شهر شعبان فى السنة الثانية للهجرة.

ويتحدث المؤلف عن مطلع رمضان وعن نزول القرآن فيه جملة واحدة من اللوح المحفوظ الذى نزل به جبريل وأملاه على السَّفَرة فى بيت العزة فى سماء الدنيا، لينزل منه على الرسول ﷺ منجما على مدى ثلاث وعشرين سنة؛ وفى رمضان أنزلت صحف إبراهيم، والتوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، وأنزل القرآن على محمد ﷺ فى الرابع والعشرين من شهر رمضان فى رواية.

ويعقد المؤلف فى كتابه فصلا عما يختص به شهر رمضان من الفضائل، ويقول: كان رسول الله ﷺ يبشر أصحابه بقدوم رمضان ويقول: **«قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك، شهر فرض الله عليكم صيامه وسن لكم قيامه، وفيه ليلة هى خير من ألف شهر، تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغل فيه الشياطين»**.

وفى فصل آخر يتحدث عن صلاة التراويح وفضلها، وهى عشرون ركعة بعشر تسليمات فى كل ليلة من رمضان، وأما قول عائشة: كان النبى ﷺ لا يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة فمحمول على الوتر(٢).

واختار مالك أنها تصلى ستا وثلاثين ركعة غير الوتر، وهو فعل عمر بن عبدالعزيز، وفى رواية أن رسول الله ﷺ خرج فى أول جوف الليل فى رمضان وصلى فى المسجد وصلى الناس بصلاته، وكذلك فى الليلة الثانية والثالثة فلما كان فى الليلة الرابعة كثر الناس حتى عجز المسجد عن أهله، فلم يخرج إليهم حتى خرج لصلاة الصبح، فلما صلى الفجر أقبل على الناس فقال: «أما بعد فإنه لم يخف علىَّ شأنكم الليلة، وقد رأيت الذى صنعتم ـ أى من حرصكم على صلاة التراويح ـ وإننى خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها»، وانتقل رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، وكان كل واحد يصلى التراويح فى رمضان فى بيته، وبقى الأمر على ذلك فى خلافة أبى بكر وصدرا من خلافة عمر ثم جمعهم عمر فصلى بهم جماعة فى المسجد قبل أن يناموا عشرين ركعة وهو ما عليه المسلمون.

وقد قال رسول الله ﷺ: **«عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين»**، رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة والطبرانى فى المعجم الكبير.

وفى فصل آخر يتحدث عن ليلة القدر، وفى فصول أخرى يتحدث عن زكاة الفطر، وعن

الصدقة، وعن زكاة المال، وعن صلاة العيدين، وعن صيام ست من شوال، ويفيض فى الحديث عن فضل قراءة القرآن فى رمضان.

الكتاب يعد موسوعة كبيرة عن رمضان وفضائله وعن الصيام وأحكامه، وعن المأثور من أعمال رسول الله ﷺ وأصحابه فى رمضان.

- ٣ -

وفى كتاب «لطائف المعارف» لابن رجب الحنبلى خصص المؤلف فى هذا الكتاب فصلا مطولا جدا عن وظائف شهر رمضان المعظم، وقسم هذا الفصل إلى مجالس:

فالمجلس الأول: عن الصيام وفضله.

والثانى: فى فضل الجود وتلاوة القرآن فى رمضان.

والثالث: فى العشر الأوسط من رمضان ونصف الشهر الأخير وليلة القدر ويوم بدر.

والرابع: فى العشر الأواخر من رمضان.

والخامس: فى ذكر السبع الأواخر من رمضان وليلة القدر.

والسادس: فى وداع رمضان.

وحديث ابن رجب عن ذلك كله حديث العالم الموسوعى العميق فى عرضه وبحثه.

ولو حاولنا تفصيل ذلك لأخذ الحديث منا فيه العديد من الإحصاء والإطناب.

- ٤ -

وللعالم الجليل الشيخ الدكتور الحسينى عبدالمجيد هاشم الذى توفاه الله إلى رحمته فى يوم ١٩٨٦/٩/١٩م كتاب عن أحاديث الصيام كما روتها كتب الصحاح وأمهات المسانيد والمعاجم للسنة النبوية الشريفة، والكتاب نشره مجمع البحوث الإسلامية وصدر عام ١٩٨٤م، ويقول المؤلف فى صدر كتابه: هذا الكتاب «أحاديث الصيام» يشتمل على ما جاء فى الصحاح من أحاديث الجامع الصحيح للإمام البخارى، والجامع الصحيح للإمام مسلم، والترمذى، والنسائى، وأبى داود، والموطأ للإمام مالك، كما جمعها ابن الأثير، وزوائد الإمام أحمد، والبزار، والموصلى، ومعجم الطبرانى الكبير والصغير والأوسط، كما جمعها الهيثمى فكانت مجموعة وافية بما جاء فى الصيام وما يتعلق به.

والكتاب عدة مباحث ويتناول كل مبحث عدة أبواب:

فالمبحث الأول: فى وجوب الصيام وأبوابه هى: فرض الصيام - وجوبه بالرؤية - وجوبه بالشهادة - اختلاف البلاد فى الرؤية - صوم رمضان بمكة وصومه بالمدينة.

والمبحث الثانى: فى واجبات الصوم، وأبوابه هى: النية - الإمساك عن المفطرات - الإفطار والجماع عمدا وغيرها.

والمبحث الثالث: فى زمان الصيام، ومن أبوابه: قيام شهر رمضان وهو التراويح - الاعتكاف - الصيام فى الأشهر الحرم - فضل الصوم - صوم رجب - صوم شعبان - صيام ست من شوال - صيام عشر من ذى الحجة - يوم عاشوراء - صيام ثلاثة أيام من كل شهر - ليلة القدر - فضل شهر رمضان - أفضل الصوم - الأيام التى يحرم صومها - يوم الشك - الأيام التى يكره صومها.

والمبحث الرابع: فى سنن الصوم وجائزاته ومكروهاته وفيه أبواب عديدة.

المبحث الخامس: فى مبيح الإفطار وموجبه وفيه أبواب عدة كذلك.

والكتاب شامل لكل ما ورد فى الصيام من أحاديث، ولأحكام الصيام جميعها.

- ٥ -

وللشيخ عبدالمعز عبدالحميد الجزار - رئيس تحرير مجلة الأزهر السابق - المتوفى فى يناير من عام ٢٠٠١م، رحمه الله تعالى كتاب بعنوان: «مع الصائمين فى شهر المغفرة والغفران» ذكر فيه بعض الجوانب المتعلقة بصوم هذا الشهر المبارك وفضائل

الشهر وأحكام الصوم، وتحدث فيه عن فضائل الصوم وأنواع الصيام، وأركانه وأحكامه وفضائل رمضان، وصلاة التراويح ثمانية عن رسول الله ﷺ وعشرين باجتهاد عمر بن الخطاب، وست وثلاثين فى عمل أهل المدينة وعمر بن عبدالعزيز، - رضوان الله عليهم أجمعين - وعليه مذهب مالك.

كما تحدث فى الكتاب عن الأعذار المبيحة للإفطار، وتحدث عن حكم مريض الربو ومريض القرحة المعوية.. كما تحدث عن الاعتكاف وليلة القدر وزكاة الفطر وصلاة العيدين .

والكتاب فى غاية الأهمية ويجب أن يكون فى أيدى الشباب، حيث يمتاز بسهولة أسلوبه، وبوضوح معانيه، وبجمعه لأحكام وفتاوى كثيرة.

- ٦ -

وللشيخ عبدالعزيز المحمد السلمان كتاب كبير بعنوان «المناهل الحسان فى دروس رمضان»، والشيخ عبدالعزيز مولود فى مدينة عنيزة بالسعودية فى ٢٥ رمضان من عام ١٣٣٧ أو ١٣٣٩هـ يقول فى مفتتحه: «أرى الناس فى حاجة إلى تبيين أحكام الصيام والزكاة وصدقة الفطر وصدقة التطوع، وقيام رمضان وآداب تلاوة القرآن ودروسه وأحكام المساجد والاعتكاف، فقد جمعت من كتب الحديث والفقه ما يناسب عموم الناس، الكبير والصغير»، تحدث فيه عن رمضان وفضله وعن الصيام وأحكامه، وعن صلاة التراويح ومقدارها(٣).

وعن ليلة القدر، وعن زكاة الفطر وعن فضل القرآن الكريم، والدعاء، وأحكام الاعتكاف - وعن زكاة المال، ومصارف الزكاة، وعن صدقة التطوع، ودعاء ختم القرآن، وغير ذلك من أحكام الصيام وفضائل رمضان، والكتاب واضح المعالم، سهل الأسلوب، فيه استقصاء للأحكام، وذكر لآداب الصيام وللعبادة وقراءة القرآن، وكل ما يتعلق بذلك، وهو مطبوع طبعة ممتازة، وقد جهد المؤلف نفسه فى العناية بالدروس الرمضانية، وما ينبغى أن تتناوله من مواعظ وعبر وتذكير بفضل الله على المسلمين، وقاهم الله من شرور الدنيا والآخرة.

- ٧ -

ولحسن عبدالوهاب كبير مفتشى الآثار الإسلامية سابقا - الذى توفاه الله إلى رحمته فى ١٩٦٧/٣/١٣م، كتاب بعنوان «رمضان» صدر فى المكتبة الثقافية (العدد الثامن).

تحدث فيه عن شهر رمضان، وعن عناية المسلمين به وعن رمضان فى مصر وعناية حكامها بأمر هذا الشهر الكريم على مر العصور، وتعاقب الدول والحكام.

كما تحدث عن فرح المصريين بمقدم رمضان وعن مقدمات الشهر وتوفير مطالب الناس فيه، وعن رمضان شهر الخيرات. وتحدث عن ليلة القدر، وعن التسحير وفانوس السحور، والمسحراتى، وعن موائد رمضان، وعن مشاهد مستشرق إنجليزى هو «لين» الذى أقام بمصر فى القرن التاسع عشر (١٨٢٥م - ١٢٣٣هـ)، وشاهد عادات المصريين فى رمضان وتقاليدهم ووصف كل ذلك وصفا شائقا.

وعرض لرمضان فى الأدب العربى، ولختام رمضان، وصلاة العيد، وكعك رمضان، أو كعك العيد، والكتاب شيّق، ومادته التاريخية غزيرة، وفيه الكثير من المعلومات، وإن كان ينقصه الحديث عن نصر بدر وعن فتح مكة، وعن معارك كثيرة خاضها الإسلام منتصرا فى هذا الشهر الكريم.

وقد توفى حسن عبدالوهاب قبل أن يرى ويشهد معركة العاشر من رمضان بقيادة البطل الرئيس محمد أنور السادات، وبطولة المقاتل محمد حسنى مبارك فى معركة الجو الظافرة.

الهوامش:

١ - للشيخ عبدالرحمن تاج شيخ الأزهر الأسبق المتوفى فى ١٩٧٥/٤/١٢م كتيب مطبوع عن ليلة القدر.

٢ - هى ثمانى ركعات وبعدها ثلاث للوتر.

٣ - يقول ابن تيمية: يجوز أن تصلى عشرين ركعة كما هو المشهور فى مذهب أحمد والشافعى، وأن تصلى ستا وثلاثين كما هو مذهب مالك، أو أن تصلى ثمانى ركعات أو عشر ركعات.. وكله حسن.

قراءات فى تراثنا الأدبى والنقدى

أ.د/ طه مصطفى أبو كريشة

مع شهر رمضان فى هتاف الشعراء

مع الشهر الكريم تصفو الأرواح، وترق المشاعر، وتسمو العواطف، وتعلو النفوس، وتعيش الخواطر فى جو إيمانى رفيق، وتسبح فى بحار من النور الذى يملأ القلوب، ذلك النور الذى يأتيها مددا من الفيض الإلهى، والرضا الربانى، وكيف لا وكل الأرواح والمشاعر والعواطف والنفوس والخواطر قد لبت نداء رب العالمين، واستجابت لأمر الله عز وجل، فاستحقت أن تبعث فيها حياة الإيمان، تلك الحياة التى تعيدها خلقا جديدا آخر، ذلك الخلق الجديد الذى تشير إليه الآية الكريمة ﴿أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها﴾ الأنعام: آية ١٢٢، وقد كان ذلك للمؤمنين الذين أجابوا ذلك النداء فى القول الكريم ﴿يأايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ الأنفال: آية ٢٤.

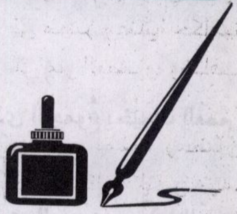

ومع الأجواء الإيمانية يأتى الإفصاح عما فى القلوب، وقد يكون الإفصاح نجوى تصاحب الأكف التى تعلو وتمتد فى ضراعة وخشوع، وقد يكون الإفصاح هتافا مسطورا، يترجم عن حديث نفسى، يرجو أن يكون له صدى لدى الآخرين وذلك هو حديث الشعراء..

ومع هتاف الشعر نلتقى بالشاعر السورى الأستاذ خالد البيطار من خلال قصيدته(١) التى جعل عنوانها (يارمضان) وهى قصيدة يعبر فيها الشاعر عن خواطره وهو يستقبل الشهر المبارك، وهى خواطر تكشف عن أمور كثيرة ألمت بالوطن العربى حينذاك، فجعلته مكبلا بالأغلال والقيود، مما ألقى بظلال من الأسف على النفوس الحرة الأبية التى تتطلع إلى الخلاص، ويأتى تطلعها إلى ذلك من خلال مقدم الشهر الكريم، وعن هذا الألم والأمل يأتى هتاف الشاعر فى مطلع قصيدته:

أتَعُودُ والأغلالُ فى قدمى
والماردُ الباغى يُريق دَمِى
أتعود والإعصارُ ما برحتْ
أمواجُه تنحطُّ كالْحُمَمِ
أتعود والأهوال عاصفةٌ
تجتاحُ مِنْ حَرَمٍ إلى حرمِ
كَمْ زَارَ طيفُك أعْيُنِى فأبتْ
أنْ تُفْتَحَ الأجفانُ لِلْحُلُمِ
حَتى تَرَى الأنوارَ مشرقةً
لا طَيْفَ لِلأشْباح والظُّلَمِ
وَتَرَى الزحوفَ تسيرُ حاملةً
نُورَ الهُدَى والخيرِ للأُمَمِ
لكنَّها شَرِقَتْ فَمَا وَجَدَتْ
دَمْعًا يُبَلِّلُ غُصَّةَ الألَمِ

وفى هذه الأبيات نرى كم يشعر الشاعر بالألم إذ كيف يجىء شهر رمضان مع بقاء الأغلال التى تقيد الحرية، ومع بقاء المارد الباغى الذى يريق الدماء، ومع بقاء الأعاصير التى تكتسح أمواجها ما تلقاه أمامها، فتذهب بالأخضر واليابس، وتهلك الحرث والنسل.. ومع بقاء الأهوال التى تعصف وتجتاح متنقلة من حرم إلى حرم.. إن كل دواعى الألم تقف حائلا دون تمثل مقدم الطيف الوافد، إلا ومعه أنوار الهادى التى تبدد الظلمات، والتى

تحملها الجيوش الزاحفة إلى كل الأمم حتى تخرجها من الظلمات إلى النور.

ومع التساؤل والتعجب يأتى الوقوف مع الواقع، فلابد أن يأتى رمضان، وقد أتى، فماذا كان من شأن الجموع المسلمة؟ لم يكن أمامها إلا أن تستمسك بالأمل فى أن يتبدل الحال إلى خير حال، وذلك حديث هذه الأبيات:

وَأَتَيْتَ يارمضانُ فانتبهتْ

وَمَشَتْ بلا رَيْثٍ ولاَ سَأَمِ

تَرْنُو إليكَ وكلُّها أَمَلٌ

أَنْ تَسْتَثِيرَ بها رُؤَى الشَّمَمِ

ترنو إليك وكلها ثقةٌ

أَنْ تجمعَ الأرواحَ بالهِمَمِ

فَيَعُودَ رَكْبُ الحقِّ منتصرا

ويعود أهلُ العدلِ والشِّيَمِ

وترى الربيعَ وزهرهُ عَبِقٌ

يَشْدو ويُنْشِدُنَا بغير فَمِ

إن هذه الجموع انتبهت من بعد غفلة، وكيف لا تنتبه وهذه الأنوار الإيمانية تغشاها مع مقدم شهر النور والفرقان، لقد انتبهت ولم تقف ساكنة الخطا فى مكانها، وإنما أخذت تعدو (بلا ريث ولا سأم) فلا تكاسل ولا ملل ولا يأس حيث يحدوها الأمل الذى ترنو من خلاله إلى أنوار الشهر الكريم، لعل هذه الأنوار تبعث فى النفوس مشاعر الإباء والشمم، ولعلها (تجمع الأرواح بالهمم) التى تشدها إلى تحقيق الغايات النبيلة، حيث يعود (ركب الحق منتصرا)، وحيث يعود ويرجع (أهل العدل والشيم) إلى أرض الواقع ليزيلوا الغبن والظلم ويرفعوا رايات العدل، وهنا تبتسم الدنيا كلها، وتلبس رداء الربيع العبق الأزهار، الفواح الورود، وتنطلق تشدو بأجمل الألحان وتنشدنا (بغير فم) لأن منطق الحال حينئذ أبلغ من كل لسان.

ثم يعود الشاعر بعد ذلك إلى خطاب (رمضان) وإلى بثه نجواه وشكواه وآلامه وآماله، مستجمعا من خلال هذا الخطاب كل ما يمكن أن يجود به الشهر الكريم من عطاء الخير المتعدد الأنحاء، الذى يمكن أن تفيد منه تلك الجموع، وفى هذا يقول:

أوَّاهُ يارمضانُ لو رُويتْ

هَذِى الجموعُ بخيرِكَ العَمِمِ

لَسَمَتْ عن الأجسادِ وانطلقَتْ

تَفْرِى الحديدَ بسيْلِها العَرِمِ

ومشتْ تَهُزُّ الأرضَ باسمةً

وتُكَبِّلُ الطاغين فى الأُطُمِ

إن الخير الذى يجود به الشهر الكريم خير ربانى يصنع المعجزات، فلو رويت تلك الجموع بهذا الخير وتشبعت به لتحولت أجسادها إلى خلق آخر يذيب كل قوى الشر الطاغية، ويزيلها من الوجود حيث (تفرى الحديد بسيلها العرم) وحيث (تكبل الطاغين فى الأطم).

ثم يتابع الشاعر الحديث عن المعجزات التى يحدثها الشهر الكريم بأنواره الإيمانية فى تلك الجموع الزاحفة نحو أهدافها السامية فيقول:

أوَّاهُ يارمضانُ لو لَمَسَتْ

أنوارُ طَيْفِك موضعَ السَقَمِ

أو لامستْ أغوارَ أفئدة

جَثَمتْ لِصَوْلَةِ ماردٍ نَهِمِ

لَسَمِعْتَ للتكبيرِ رَجْرَجَةً

وَلَرَفَّتْ الراياتُ فى القِمَمِ

لِمَ لا وهذا الشهر باعثها

ومذكر الوسنان كيف رقى

لِمَ لا وهذا الشهرُ مدرسةٌ

مَنْ صَامَ فيه وَقَامَ لم يُضَمِ

مَنْ صام فيه وكان مُقْترفًا

أَلْقَاه فى وادٍ من النَّدَمِ

أَوْ كانَ فى الأحلام أَيْقَظَهُ

وأزاحَ عنه مخايلَ الحُلْمِ

أَوْ كان ذا عِوَجٍ تَلَمَّسَهُ

وغدا قَنُوعًا صاحبُ النَّهَمِ

أَوْ كان ذا وَجَلٍ تَعهَّدَهُ

وأتى به يومَ النِّزالِ كَمِى

إن تلك الأنوار الإيمانية تصنع المعجزات، فمن كان سقيما أذهبت داءه، ومن كان مستسلما لصولة جبار فإنها تنفخ فيه روح العزة والإباء، وتطلق لسانه بالتكبير المجلجل فى السماء، فتزلزل قلوب الجبارين، وتسقط راياتهم حيث ترفع رايات المؤمنين، وليس ذلك بالأمر الغريب أو البعيد، فالشهر الكريم بأنواره الربانية، وهداياته الإيمانية هو باعث الأرواح من مرقدها، وهو موقظ الغافلين النائمين، وهو المدرسة التى تخرج أهل الإيمان الأعزاء (من صام فيه وقام لم يضم) وهو الذى يعيد الخطائين إلى الطريق المستقيم فمن كان مقترفا ذنبا من الذنوب (ألقاه فى واد من الندم)، ومع الندم التوبة والإنابة والاستقامة.. وكذلك فإنه الشهر العظيم الذى يعيد صنع الحياة، ويجعلها حياة جادة عند أولئك الذين كانوا حالمين ولاهين، فمن كان غائبا عن جد الحياة (أيقظه وأزاح عنه مخايل الحلم)، ومن كان ذا عوج وانحراف عن الجادة ألزمه تلك الجادة، وأبعده عن الشره والطمع (وغدا قنوعا صاحب النهم.. ثم فإن من كان ذا وجل وخوف فإن أنوار الشهر الكريم تذهب خوفه وتُحيله كَميًا وبطلا شجاعا (وأتى به يوم النزال كمى).

ثم يعاود الشاعر الطلب والرجاء من الشهر الكريم، فهناك العطشى المحتاجون إلى الرى والارتواء، وهناك الذين أجدبت أرضهم، وتأخر عنهم الغيث، وهم فى حاجة إلى السقيا والغوث، إن هؤلاء وغيرهم بحاجة إلى اتصال الأنوار؛ وإلى استدامة الأنسام الإيمانية التى تعمر بها وهم فى ضيافة الشهر الكريم. وفى هذا يقول:

رمضانُ ياشهرَ الصيام ألاَ

تَرْوى العِطاشَ بخيرِك العَمَمِ

رمضانُ أنت على المدَى دِيَمٌ

والكلُّ محتاجٌ إلى الدِّيَمِ

رمضانُ قد أَيْقَظتَ أنفسَنا

وَجَعَلْتَنا نشتاقُ للنَّسَمِ

رمضانُ ما أحلاكَ لو رجعتْ

أيامُ خيرِك ثَرَّةَ الكَرَمِ

وَتَلَمَّسَتْ فينا عزائِمَنَا

وَشَفَتْ جوارِحَنا من الصَّمَمِ

إن ترداد النداء (رمضان - رمضان - رمضان - رمضان) يكشف عن مدى التعلق بالشهر الكريم، وعن مدى الحب والعشق لكل ما فيه، كما يكشف عن الإحساس والشعور بما فيه من بركات تذهب الآلام، وتحقق الآمال، وتقوى العزائم، وتشفى الأسقام، وتوقظ النيام.. ومن هنا كان الإقرار والاعتراف بأن الشهر الكريم على طول المدى (ديم والكل محتاج إلى الديم) لأن الكل عطاش إلى الرى الإيمانى. كما كان الإقرار والاعتراف بأنه أيقظ النفوس من سباتها، وأنعشها بأنسامه الندية، فجعلها فى شوق دائم إلى هذه النسائم (أيقظت أنفسنا جعلتنا نشتاق للنسم).

وفى ثنايا الخطاب مع الشهر الكريم يلتفت الشاعر إلى الماضى المجيد للأمة الإسلامية، وإلى تلك الأيام الخالدة فى تاريخها العظيم، فيتمنى ويرجو لو أنها عادت مرة أخرى، وذلك من خلال إحياء الحاضر لها، حين يثور على الطغيان، وحين

يقف صامدا أمام جيوش الكفر والعدوان فيقول:

ياحبَّذا الأيامُ لو رجعتْ
يا حبذا أنوارُ ذِى سَلَمِ
ياحبذا البيضُ التى رُفِعَتْ
يومَ اللقاء بكل مُزْدَحَمِ
وجلتْ جيوشَ الكفرِ قادرةً
وَرَمَتْهُم فى كلِّ مُلْتَطَمِ
يا حبذا لو عادَ حامِلُها
فالجُرْحُ بَضٌ وعادَ للوَرَمِ
ياحبَّذَا لَوْ صالَ قائدُها
بين الصفوف بكلِّ مُقْتَحِمِ
وَأتَى على الطغيانِ منتصراً
ياحبذا فالقلبُ صَارَ ظَمِى

فما أجمل تلك الأيام الخوالى، وما أعزّ قادتها وأبطالها، وما أبهى انتصاراتها على جيوش الكفر، إن أيام الحاضر بحاجة ماسة إلى قواد الأمس، كى يأسوا الجراح، ويقضوا على الطغيان، (ياحبذا فالقلب ظمى).

ولأن المؤمن الصادق الإيمان لايعرف اليأس فإنه واثق فى رحمة الله تعالى، وواثق فى أنه الذى يكشف الضراء، ويزيل البأساء، ويحقق النعماء والسراء. ومن هنا كان تأكيد الشاعر فى نهاية حديثه وهتافه على هذا المعنى، وعلى الأمل الذى سوف يتحقق بفضل الله تعالى مهما تكاثفت الظلمات، ومهما تظاهرت قوى الكفر، ذلك لأن الله عز وجل كتب العزة لدينه، ولأهل هذا الدين من العاملين الصادقين المخلصين.. وهذا ما نراه فى تلك الأبيات مع الختام:

أتُرَى تعودُ ونحن نلمحُها
أتُرَى تعودُ وَصُولَةَ الرَّحِمِ
أتُرى تعودُ؟! نَعَمْ وَخَالِقِنَا
ستعودُ رغم تكاثفِ الظُّلَمِ
وتعودُ للإسلام عِزَّتُه
فَيُذِلُّ أَنْفَ الشِّرْكِ والصَّنَمِ

وصدق الله العظيم ﴿**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين* إنهم لهم المنصورون* وإن جندنا لهم الغالبون**﴾ الصافات: الآيات ١٧١ ـ ١٧٣.

وبعد.. فذلك مثل من هتاف الشعراء فى ظلال الشهر الكريم شهر رمضان الذى تنزل فيه القرآن العظيم ﴿**هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**﴾، وهو هتاف يكشف عن تلك المعايشة الروحية التى تتجاوز أجواء العبادة إلى أجواء أخرى تستجلى فيها الأنوار وتبتعث فيها الأرواح، ويستحضر فيها الماضى، ليأخذ منه الحاضر طاقة إيمانية يجتاز بها أعتاب المستقبل فى إيمان راسخ ويقين صادق، وذلك آية الآيات التى يجود بها الشهر الكريم بماله من نفحات.

الهامش:

١ ـ من الشعر الإسلامى الحديث ص٢٢٢ ـ مطبوعات رابطة الأدب الإسلامى.

حديث قدسى

يقول الله تعالى فى الحديث القدسى: إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إلى خلقه وإذا نظر الله إلى عبد لم يعذبه أبدا والله يعتق فى كل ليلة ألف ألف عتيق من النار فإذا كانت ليلة تسع وعشرين أعتق الله فيها مثل جميع ما أعتق فى الشهر كله فإذا كانت ليلة الفطر ارتجت الملائكة وتجلى الجبار بنوره مع أنه لا يصفه الواصفون فيقول للملائكة وهم فى عيدهم من الغد يا معشر الملائكة: يوحى إليهم ما جزاء الأجير إذا وفى عمله؟ تقول الملائكة يوفى أجره فيقول الله تعالى: «أشهدكم أنى قد غفرت لهم».

صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته

هو سيد الشهور العربية.. كما أن يوم الجمعة هو سيد الأيام.. ولو يعلم العباد مافى شهر رمضان.. من الخير العظيم والفضل الذى يمنحه الله لعباده فى شهر رمضان لتمنى العباد أن يكون شهر رمضان سنة كاملة.. ومن المعلوم أن أشهر العرب إثنا عشر شهرا قمرية.. والسنة القمرية أقل من أيام السنة الشمسية لأن السنة القمرية تنقص أحد عشر يوما وكسرا فى كل سنة.. وأسماء الشهور العربية تبدأ من شهر الله (المحرم) وتنتهى بشهر (ذى الحجة). وشهر رمضان يقع فى تعداد السنة الشهر التاسع، والشهر يبتدئ من ظهور الهلال إلى المحاق.. ثم ظهور الهلال مرة أخرى وذلك لقول الله سبحانه: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج﴾ البقرة: آية ١٨٩. وهو مشتق من الشهرة لأن الهلال عندما يظهر فى السماء يشهرون ذلك بين الناس فيثبت مطلع الشهر عندهم. ورمضان علم على الشهر التاسع وهو مشتق من الرمضاء وهى الحرارة

الشيخ/ منصور الرفاعى محمد عبيد

«الصوم»

الصوم لغة: هو الإمساك.. الإمساك عن أى شىء، فالرياح إذا توقفت تقول صامت الريح. أى أنها توقفت عن السريان.. كذلك الخيل إذا توقفت عن الجرى تقول الخيل صيام ومن ذلك قول الشاعر:

خيل صيام وخيل غير صائمة
تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

كذلك الإمساك عن الكلام فيقال: صام عن الكلام أى أمسك عنه. ومنه قول الله تعالى: **﴿إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا﴾** مريم: آية ٢٦، فالصوم فى اللغة إذا.. هو الإمساك والكف عن الشىء.

وأما شرعا: فهو الإمساك عن جميع المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنيّة، فالصوم بهذا هو الامتناع الفعلى عن شهوتى البطن والفرج، وعن كل شىء حِسِّى يدخل الجوف من دواء وغيره.. ويحدد هذا الامتناع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس على أن الإنسان عليه أن يبيّت نية الصيام وهى عزم القلب على إيجاد الفعل جزما بدون تردد لتمييز العبادة عن العادة.. يؤكد ذلك قول الرسول ﷺ: **«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»** وينعقد الصيام صحيحا بشروط سنبينها فيما بعد..

«زمن الصوم»

يبتدئ زمن الصوم من طلوع الفجر.. إلى غروب الشمس.. أى لابد أن يغيب قرص الشمس من الأفق.. ويؤخذ فى البلاد التى يتساوى فيها الليل والنهار أو يطول النهار أحيانا بتحديد وقت الصوم بحسب أقرب البلاد إليهم لأنه فى هذه الحالة تحدد الساعات التى يصومها أهل البلاد القريبة ويقدرون من يطول النهار عندهم على هذا الأساس.. فإذا لم يتيسر ذلك فيصومون على توقيت أهل مكة (باعتبارها أم القرى) أو على توقيت أهل المدينة (باعتبارها مكان نزول آيات

التشريع)، والدليل على ذلك قول الحق سبحانه: ﴿**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل**﴾ البقرة: آية ١٨٧، وإذا كان النهار يقصر فالأمر كذلك.

تحديد شهر رمضان

شهر رمضان شهر عظيم.. والرسول ﷺ يقول: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غُمَّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما**» رواه البخارى، فلابد إذا من تحديد رؤية هلال شهر رمضان برؤية الهلال.. ثم يتم استطلاع الهلال فى آخره فإذا لم يُرَ فى آخره فالمسلمون يكملون صيام شهر رمضان ثلاثين يوما.

«أقوال العلماء»

نظرا لأن لكل بلد مطلع من مطالع القمر حيث قدر له الحق سبحانه وتعالى منازل كما جاء فى قوله سبحانه: ﴿**والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم**﴾ يس: آية ٣٩.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الأهلة ليتعرف بها الناس على بداية الأشهر القمرية فيحددون على ذلك صيامهم وحجهم وأعمالهم ويوقتون مصالحهم على حسب ظهور الهلال. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿**يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج**﴾ البقرة: آية ١٨٩، ومن هنا اهتم المسلمون برؤية الهلال فى كل بلد وقال العلماء بأنه يجوز رؤية شخصين أو واحد.. بشرط أن يكون الرائى عدلا مستقيما فيثبت برؤية أحدهم هلال شهر رمضان وللمذاهب فى ذلك آراء أهمها:

١ - المذهب الشافعى:

تثبت عنده رؤية هلال شهر رمضان أو غيره.. بشخص عدل.. مستور الحال وأن يكون الرائى مسلما بالغاعاقلا حُرا ذكرا، وأن يقول الرائى: أشهد بالله أنى رأيت الهلال وهنا على المسلمين أن يصوموا ودليلهم على ذلك أن ابن عمر - رضى الله عنهما - رأى الهلال فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فصام وأمر الناس بصيامه[١]، كما روى أيضا عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى رأيت هلال رمضان، فقال: «أتشهد أن لا إله إلا الله»؟ قال: نعم.. قال: «أتشهد أن محمدا رسول الله»؟ قال: نعم.. قال: «يابلال.. أذِّن فى الناس فليصوموا غدا»[*]، وإذا صمنا برؤية إنسان مسلم ذكر عدلٍ.. ولم يظهر الهلال بعد ثلاثين يوما وكانت السماء صَحوا.. أفطرنا فى الأصح لكمال عدد أيام الصيام ثلاثين يوما..

إذا ثبت الهلال عند أهل المشرق يلزم أهل المغرب الصيام

٢ - مذهب الإمام أبى حنيفة:

يرى أبو حنيفة وعلماء مذهبه أن السماء إذا كانت صحوا فلابد من رؤية جمع عظيم لإثبات شهر رمضان.. وأكد على أنه إذا لم يكن هناك موانع تحجب الهلال والأبصار سليمة والهمم فى طلب الهلال مستقيمة، فإذا ظهر الهلال صاموا. أما إذا كانت السماء بها غيم أو غبار اكتفى الإمام فى رؤية الهلال بشهادة واحد ذكر، أو أنثى؛ لأن شهادة المرأة فى رؤية الهلال تصح لأنه أمر دينى

والإنسان وهو يدلى بشهادته فيه يراقب ربه.. ويشترط فيمن يرى الهلال أن يكون مسلما عاقلا بالغا عدلا. تغلب حسناته سيئاته.. ويُدلى بشهادته أمام القاضى.. وإذا لم يكن هناك قاض يدلى بشهادته فى المسجد أمام الناس.. ويصومون بناء على ذلك.

٣ - المالكية:

لهم آراء فصّلوها وهى:

أ - أن يرى هلال رمضان جماعة من الناس.. بشرط أن يكونوا عددا يؤمن فى العادة عدم تواطئهم على الكذب.. وإن لم يكونوا عدولا ولا ذكورا.. لأن كل واحد من هذا العدد يخاف على نفسه من أن يقول كذبا.. كذلك الحال لو كانوا نساء ولا يقل العدد عن عشرة.

شهر رمضان له عظيم الأثر فى بيت النبوة قبل الرسالة وبعدها

ب - أن يرى الهلال اثنان فأكثر ويشترط فيهما العدل والذكورة والبلوغ والعقل ولم يحدث منهما ارتكاب معصية كبيرة ولم يفعل أحدهما ما يخلّ بالمروءة. ولا يقل العدد عن اثنين فى هذه الحالة.. ولا يجوز للحاكم أن يحكم بثبوت هلال شهر رمضان برؤية واحد فقط لكن إذا رأى الإمام نفسه الهلال وجب الصوم.

٤ - الحنابلة:

قالوا: بأن هلال شهر رمضان يثبت بشهادة واحد فقط بشرط أن يكون ذكرا.. أو أنثى.. بالغا مسلما عاقلا حتى ولو كان الرائى معه جماعة ولم ير الهلال منهم أحد إلا هو جاز الصوم لأن هذا هو الأحوط ولا تهمة فى الرائى لأنه مستور الحال ويلزم الصوم إذا بناء على هذه الرؤية وقد استدلوا على ذلك بما رواه الإمام الشافعى.

«الحساب الفلكى والرأى فيه»

الرسول - عليه الصلاة والسلام - هو المشرِّع ومن قوله ﷺ **«صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»** رواه الإمام أحمد، ومن المعلوم أن الشهر تسع وعشرون ليلة لأن الرسول ﷺ قال: **«الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه»** رواه البخارى.

وعلى هذا لابد من رؤية الهلال بالعين.. أو أن نعتمد على من رأى فى بعض البلاد القريبة المجاورة أو نعتمد على رؤية أهل مكة أو المدينة لأن العلماء قالوا: لا يعتمد على أهل الميقات والحساب والتنجيم.. أما المراصد التى ترصد سير القمر والنجوم فيجوز الاعتماد عليها لأنها تكشف عن ظهور وإثبات منازله لهذا لا يجوز الاعتماد على الحساب الفلكى ولا غيره لأن الرسول ﷺ **«كان يتحفظ فى شعبان مالا يتحفظ فى غيره ثم يصوم لرؤية رمضان»** رواه الدارقطنى، وروى مرفوعا عن أبى هريرة «أحصوا هلال شعبان لرمضان» رواه الترمذى.

«اختلاف المطالع»

لاشك أن المجتمع اليوم أصبح كقرية صغيرة وأن وسائل الاتصالات سهلت نقل المعلومة فى الحال.. والمسلمون مطالبون أن يتوحدوا ليعيشوا مع بعضهم فى جو روحى. ويشعروا بالوحدة والألفة لأن فى ذلك خيرا كثيرا للمسلمين خاصة للأقليات التى تعيش فى بلاد المهجر لأنه بسبب

اختلاف الصيام فى البلاد كل فريق يصوم حسب بلده، وهذا مظهر يضر بالإسلام لأن الأجانب ليس عندهم إدراك لاختلاف المطالع ولكنهم يرون الفرقة فى شعائر المسلمين فيحكمون عليهم بالهمجية والتخلف.. وإذا كانت بعض الآراء التى توحى بمراعاة اختلاف المطالع فإنها آراء قيلت فى وقتها والمسلمون أقوياء ودولتهم واسعة ومع احترامنا لهذه الآراء إلا أننا نرى ونؤكد على أن يوحد الصوم بين المسلمين.. ولا عبرة باختلاف المطالع وعلى الحكام والمفتين أن يأمروا بالصوم فى يوم محدد عند ثبوت الهلال ورؤيته وأن يكون ذلك فى جميع البلاد العربية والإسلامية.. إن حكم الحاكم يرفع الخلاف وعلى الحاكم أن يراعى مصلحة الأمة خاصة وأن أرباب المذاهب قالوا:

١ - الأحناف:

إذا ثبت الهلال عند أهل المشرق يلزم أهل المغرب الصيام.. والعكس صحيح المهم أن كل مسلم يسمع بثبوت الهلال فى بلد عليه أن يخبر الحاكم ليأمر بالصيام لأن اتحاد المسلمين هدف دينى ومصلحة اجتماعية.

٢ - المالكية قالوا:

إذا ثبت الهلال فى أى بلد عمَّ الصوم سائر بلاد المسلمين ولا ينظر إلى مطلع القمر فى البلاد الأخرى.

٣ - الحنابلة قالوا:

إذا ثبت الهلال بمكان لزم الناس كلهم الصوم..

٤ - الشافعية قالوا:

إذا رؤى الهلال ببلد لزم حكمه البلد القريب لا البعيد.

ونحن نعلم اليوم أن الزمن تغير والمواصلات قربت المسافات وأصبحت قارات المجتمع الإنسانى كقرية صغيرة يعيش فيها الكل.. لهذا لزم علينا أن ندرك هذه المعايير وأن نراعى مقتضى الحال والأحداث التى طرأت على المجتمعات ولابد أن نوحد أنفسنا ولأن الرسول ﷺ كان يخاطب الأمة الإسلامية كلها عندما قال **«صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»**، فالخطاب موجه للجميع أن يصوموا فى وقت واحد ليتعايشوا فى جو من الأخوة ولأن العبادة تُوحد ولا تفرق وتؤلف بين الناس، وتوحد الصف.. وعلينا أن نلحظ أن أعداء الإسلام يتربصون بنا الدوائر وينتهزون هذه الخلخلة الاجتماعية.. وهذا التمزق الفكرى ويقولون بأن الإسلام لا يصلح كنظام يوحد الأمم لأنه لم يستطع أن يوحد أتباعه.. فهل نرد الشُّبهة عنَّا؟ إن الأمر فى يد المؤسسات الإسلامية التى يجب عليها أن تتحرك وتضع الأمر بين يدى الحكام ليقولوا كلمتهم فى توحيد الأمة وحتى تتماسك وتكون كالجسد الواحد.. إن الهلال إذا رآه أهل بلد لزم أهل البلاد كلها منعا من الاختلاف غير المقبول فى هذا العصر.. ولتوحيد العبادة بين المسلمين.. علما بأن البلاد الإسلامية كلها مشتركة فى أجزاء من الليل تمكنها من الصيام عند ثبوت الهلال فى أى بلد لأن التليفزيون سهل الاتصال كذلك الهاتف.

رمضان فى بيت النبوة

شهر رمضان اختير من بين الأشهر لنزول القرآن فيه.. والقرآن كتاب هداية به يتمكن الإنسان من تطهير نفسه وتنوير قلبه وتصحيح عقيدته وشهر رمضان له فى التاريخ أثر يذكر ولا ينكر خاصة فى حياة النبى ﷺ الذى اختاره الله وبعثه إلى الإنسانية بأسرها وجعله خاتما لكل الرسل.. والحق سبحانه وتعالى حفظ النبى ﷺ منذ ولادته عن أقذار الجاهلية وعاداتها، لذلك كان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأشدهم حياء وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحش والبذاءة.

وكان محمد فى صفاء نفسه ورجاحة عقله يبتعد عن هذه الأشياء وينكر على من يأتيها ويفعلها.. وكان لا يرى الاستجابة لرأيه لأن الناس صموا آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا.. لذلك اتجه الرسول ﷺ إلى الخلوة..

وكأن حاديا يحدوه إلى هذه الخلوة.. ولهذا حُبِّب إليه الخلاء.. فكان يبتعد عن الناس، ويخرج بعيدا عن بيوت مكة ويتجه إلى شعابها وأوديتها.. فلا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وقال: **«السلام عليك يارسول الله»**، ويلتفت رسول الله ﷺ حوله وفى الاتجاهات فلا يرى إلا الشجر والحجارة»(٣).

وبدأ الرسول ﷺ يختلى بنفسه وبدأ يرى فى المنام.. وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح(٤).. والأغلب على الظن أن النبى ﷺ كان يصوم أيام تحنُّثه فى غار حراء قبل أن ينزل عليه الوحى إلهاما من الله تعالى لنبيه ﷺ واستلهاما من الملة الحنيفية، لذلك روى ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ قال: **«جاورت بحراء شهر رمضان»**، وقال ابن سعد فى طبقاته: **«جاءه الوحى وهو فى غار حراء يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان»**، لقد كان رسول الله ﷺ يخلو بنفسه فى غار حراء فيمكث فيه الليالى المتواليات ثم كان ينزل إلى أهله فيتزود ثم يعود إلى الغار فيخلو ويتأمل الكون الذى هو دليل من دلائل القدرة الإلهية، وكان يتعبد على الطريقة الإبراهيمية الحنيفية والفطرة السليمة المنيبة إلى الله.. وفى يوم من الأيام وكان هو اليوم الموعود لبعثته وكان ذلك فى ١٧ من شهر رمضان والذى يوافق ٦ أغسطس سنة ٦١٠ ميلادية، وكان عمر النبى ﷺ يومئذ فوق الأربعين جاءه الملك وهو فى غار حراء وكان فى حالة اليقظة وألقى إليه بالوحى الذى يقول عنه ربنا: **﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾**الشورى: آية ٥٢.

والقرآن جاء فى أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة والبيان.. حتى لا يظن أحد أنه من عند محمد. والقرآن تكلم عن أخبار الملأ الأعلى.. وتكلم عن الماضى.. والحاضر.. وتنبأ بالمستقبل لأن فيه نبأ من قبلنا وخبر ما بعدنا وحكم ما بيننا ليكون ذلك أبعد عن تهمة الأعداء وظن المفترين الذين يزعمون أنه من عند رسول الله ﷺ وهم يعلمون تماما أن محمدا ﷺ أمىّ لم يتعلم القراءة ولا الكتابة.. وجاء القرآن هكذا ليكون معجزة بين يديه تدل على صدق رسالته لهذا يقول الحق سبحانه: **﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾** العنكبوت: آية ٤٨. وعلى هذا يتبين أن شهر رمضان له عظيم الأثر فى بيت النبوة قبل الرسالة.. أما بعد نزول الرسالة فقد أصبح لشهر رمضان منزلة عظيمة كما أن أهل البيت النبوى كان لشهر رمضان طعم خاص بهم.. فهم يصومون نهاره ويقومون ليله يقرأون فى لياليه القرآن ويتسابقون فى نهاره فى فعل الخير.. يعتكفون العشر الأواخر من لياليه طلبا لليلة القدر التى هى عند الله خير من ألف شهر ويحيون ليلة العيد بالطاعة لأنه وقر فى نفوسهم قول النبى العظيم ﷺ: **«من أحيا ليلتى العيد أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب»**، لقد كان أهل البيت النبوى يبحثون عن الأيتام والمساكين.. والفقراء والغرباء، فيقدمون إليهم أفضل ما عندهم من زاد.. بل يؤثرون غيرهم على أنفسهم بأفضل ما عندهم لأنهم قرأوا قول الله تعالى: **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾** آل عمران آية ٩٢.. هذا هو شهر رمضان وهذه منزلته.. فهو سيد الشهور وفيه بدأ نزول القرآن.. وهو شهر يزاد فيه رزق المؤمن.. شهر أوله رحمة.. وأوسطه مغفرة.. وآخره عتق من النار.

الهوامش:

١ ـ رواه أبو داود وصححه ابن حبان.

٢ ـ رواه أبو داود والترمذى وصححه ابن حبان.

٣ ـ سيرة ابن هشام جزء ١ ص٢٣٤.

٤ ـ صحيح البخارى ـ باب كيف كان بدء الوحى.

إنه الشهر المبارك

شعر الدكتور: عبدالحميد إبراهيم أبو سعدة

هنئونى يارفاقى ... قد أتى شهرُ الصيام
فيه نور طُهرٌ ... فيه فرحٌ وانسجام
فيه قرآن أتانا ... ليلةَ القدر التمام
فيه آياتٌ وهدىً ... فيه طبٌ للأنام
فيه مكتوبٌ صيامٌ ... طول شهر كل عام
رغبة فى الخير تقوى ... والنفوس به تقام
والشياطين الأعادى ... صُفِّدت عند الصيام
فى جهنم غلْقُ باب ... ثم جنَّاتٌ تُرام
ثم عفوٌ ثم صفحٌ ... ثم أخلاق الكرام
إنه الشهرُ المبارك ... فيه للنَّفْسِ انتظام
فيه طاعاتٌ وتقوى ... فيه ركْعاتُ القيام
سَنَّها خير الخليقه ... فى خشوع واحترام
يارفاقى يارفاقى ... فلتَهُبُّوا للأمام
فى نشاط واستباقِ ... فى أداء للصيام
تنشطُ الروح الأسيره ... من عِقالٍ كل عام
حين تحظى فى صيام ... بالرضا والخير.. دام
ربنا اصرف كل سوءٍ ... عن حمانا فى سلام
واهدِ فينا كلَّ قلْبٍ ... ذاكرٍ طولَ الدوام
واجعل الإسلام دوْمًا ... نوره يهدى الأنام
واجعل الأعداء جمْعًا ... فى دَمارٍ وانقسام
واسحق الطاغين سُحْقًا ... إنهم غُولُ الظلام

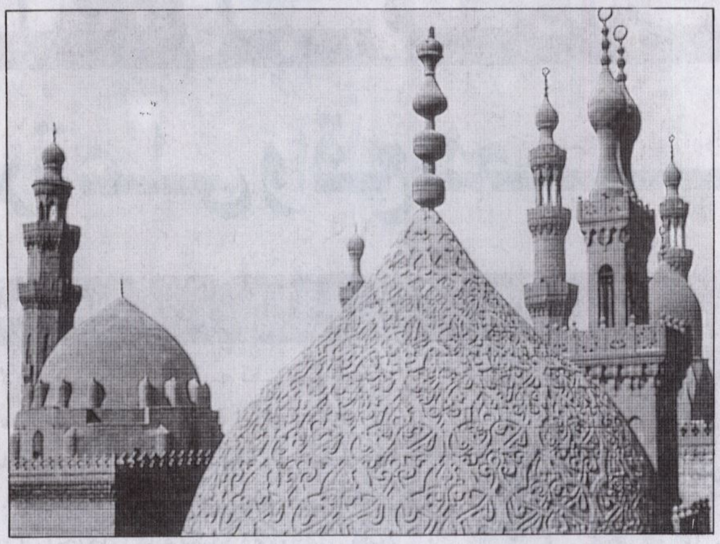

واسقهم سُما زُعافًا — يسبق الموتَ الزؤام
إنهم عاثوا فسادًا — فى حِمَى الأرض الحرام
دنسوا عرض العذارى — لَوَّثوا شرف الكرام
مَزَّقوا ثوبَ الفضيله — والكرامةَ والذِّمام
ضَيَّعوا حق اليتامى — والصبايا والغلام
ربنا دومًا أعِنَّا — فى بلوغ لِلمَرام
وانصر الدين المفدَّى — كاشفًا سُحُبَ الغمام
واجعل التقوى غذاءً — للقلوب مع الصيام
واهدنا للخير وامنح — أرضنا سبل السلام
واشف مرضانا إلهى — واكفنا شرَّ السِّقام
وامحُ عنا كلَّ ذنبٍ — واحْمِنا يومَ الزحام

العقاد .. وعبقرياته الإسلامية

نظرة على واقع الحال!

كمال عبدالوهاب

أمتنا - الآن - فى خطر!.. نعم تعيش أمتنا العربية والإسلامية - فى الفترة الراهنة - ظرفا حرجا للغاية يجعلها مشغولة بل مأخوذة ومشدودة.. مهمومة ومحزونة من أخطار متسارعة أخذت تحيط بها مهدّدة ومؤرّقة!.. ومن ثمّ صارت الأمة ترقب فى توجس وحذر شبحا قد يظهر - فجأة - مع قادم الأيام فيعصف بكل شىء فلا يبقى، ويدهم أى شىء ولا يذر!

وقد يسأل القارئ نفسه: ما جدوى الكتابة - إذن - عن العقاد أو غيره، أو ما قيمة أى كلام، فى الوقت الذى ترى فيه أمتنا وتسمع - جهارا نهارا - قعقعة السلاح وتدابير الإجهاز عليها واحدةً تلو الأخرى؟!.. فالقصّاب(1) يستعد والسكين يُحد والوعيد يحتد ويحتدم.. وأمتنا ترى ذلك وتسمعه واقعا لا خيالا، حقيقة لا وهما!

ولعلى أقول: إن الكتابة عن «العقاد» فى هذا الوقت بالذات لم تكن خاطرا عابرا أو محض صدفة، بل جاءت قصدا مقصودا!.. ذلك أن المؤامرات التى تحاك ضدنا تستهدف هزيمة الإنسان العربى المسلم بتفريغه من أى محتوى روحى أو مادى أو حضارى، وهذا يعنى هزيمة أمة بأسرها.

من هذا المنطلق.. كان لابد من البحث عن وسيلة لمواجهة هذا المخطط التآمرى الذى يجتاح أمتنا.. ولم يطل الانتظار، فقد ترامت إلى أسماعنا صيحة «وإسلاماه» التى انطلقت مدوية منذ قرون، ومازالت أصداؤها تتجاوب فى كل زمان ومكان، حتى إن ما يصلنا من رجع الصدى وهو مهيبٌ وجليل يُذكّرنا بأننا أمة محمد ﷺ، وينبهنا إلى أن كاتبا عملاقا استطاع ببراعة أن يُجلّى عبقرية هذا الرسول القائد هو وصحبه

العظام الكرام، الذين أسهموا جميعا فى تغيير مجرى التاريخ الإنسانى، حيث صارت هذه الكوكبة من عباقرة الرجال الذين تخرجوا فى المدرسة المحمدية رُمُوزًا حَيَّةً، ومُثلا عليا فى الجهاد والشجاعة والصبر والعدل والإيثار.. وكلها قيمٌ بنّاءة تدعو إلى التماسك والجلد فى مواجهة المحن والشدائد.

■■■

أود - بداية - أن ألفت النظر إلى أننا فى هذا المقال سنُجْمل الحديث حول «العبقريات الإسلامية» ثم نتناول فى مقالات تالية بالتفصيل كل عبقرية على حدة.

■■■

إن «العقاد» المفكر المثالى المسلم شديد الإيمان بخصوبة التراث الإسلامى وصلاحيته للحياة الجديدة، على شرط مزجه بهذه الحياة الحاضرة وتحويله إلى مجراها. فالتراث الإسلامى عامر بسير العظماء والأبطال، وكل واحد من هؤلاء العظماء والأبطال له حياة، وله أشواق، وله هجوم، وله وثبات، وله طبيعة متفردة.

ولعل إيمان «العقاد» بخصوبة التراث الإسلامى فى سير عظمائه وأبطاله هو الذى حداه إلى كتابة هذه العبقريات الإسلامية على نسق غير مسبوق، وطريق غير مطروق، فقد كتب عن عبقريات: محمد، والصديق، وعمر، والإمام على، وخالد، .. (إلى آخره).

إن «العقاد» يقسم النوابغ من أصحاب الرسالات والترجمات إلى فئتين:

- فئة تظهر فى أوانها لأن أسباب نجاحها تمهدت وتم لها النجاح قبل فوات ذلك الأوان.

- وفئة أخرى تظهر لأن الحاجة إليها قد بلغت غايتها، وهى التى تظهر لتحقق تلك الحاجة التى تبحث عن صاحبها، وله منها معين يذلل صعابها ويهدى إلى طريقها.

إن آية العبقرية عند «العقاد» سبقت الرؤية فضلا عن وضوحها، فآية العبقرية أن (تلهم صاحبها ما يحسب اليوم كفرا ويحسب فى الغد حقيقة من حقائق الإيمان والحكمة ومصلحة من مصالح الواقع والعيان)(٢)، وأجدر عبقرية عنده بإعجاب وتشريف معا عبقرية (يلتقى فيها سداد الفكر بشجاعة الضمير)(٣).

كان العقاد شديد الإيمان بخصوبة التراث الإسلامى وصلاحيته للحياة

إن العبقرية أو العظمة فى مفهوم «العقاد» هى شخصية فذة متميزة بالتفرد الفوقى.. شخصية فعالة بذاتها وقدراتها فى عصرها، وغالبا يمتد أثرها إلى عصور قريبة أو بعيدة.. تغيب هى ويبقى الأثر.

و«العقاد» يدور حول الشخصية ويلف طويلا بعين لماحة وأذن مرهفة، إنه يتسقط كل حرف يخرج من فمها فى سبيل الوقوف على سرها، أى مفتاح الشخصية ليدخل إلى رحابها وشعابها، فاتحا به كل قول مستغلق، أو تصرف يحتمل التأويل والتعليل.

و«العقاد» يدرس الشخصية الإنسانية بوجدانه وعقله معا. وعقله دائما منطقى استقرائى، ويبدو من استقراء كتابات «العقاد» (أن آفة كل عصر عنده هى انتقال الحضارة من الداخل إلى الخارج أو من النفس إلى الجسد فتصير إلى أشكال وقشور حيث لا جوهر هناك ولا لباب)، وهنا تغيم الرؤية أو تتضح، ولكنها فى الحالين تحلم بالخلاص. وهنا يكون ظهور الرسل أو المصلحين

أو الأفذاذ ضرورة يقتضيها عصرهم ونتيجة تسبقها، إن لم تكن سبقتها بالفعل - ومنذ أمد طويل - مقدمات.

ومن خصائص «العقاد» تخديم الأفعال اليومية للوصول إلى دلالات كبيرة على الشخصية، وهذا هو الجديد الذى فعله «العقاد» فالحوادث والتصرفات وقعت من أصحابها وعرفت عنهم مروية أو مدونة، ولكنها فى كلتا الحالتين صماء إلا عن المعنى الظاهر من ظاهر الألفاظ والحروف، حتى إذا استشفها «العقاد»، ونفذ إلى أغوارها، بدأت خلقا جديدا بالمعنى المستبطن، والعبرة المستفادة، والدلالة الكامنة. وبمثل هذه الإضافات تغدو للتاريخ قيمة حضارية لأنها قيمة إنسانية(٤).

ولقد تأثر «العقاد» بالنزعة الروحية فى تفسير التاريخ بالشكل الذى يبدو واضحا فى «عبقرياته» و«تراجمه»، التى هى الجانب الواضح، وقد يكون الجانب الوحيد من التاريخ الذى ركز عليه «العقاد»، وقد يكون مرجع هذا طبيعة العصر الذى عاشه، وطبيعة شموخه وانفراديته واعتداده بذاته، فالجماهير المصرية فى شباب «العقاد» كانت تسير منقادة وراء أبطالها وزعمائها الذين انحرف بعضهم بانحراف الجهد الوطنى فى أعقاب ثورة ١٩١٩م، فى الوقت الذى رفعت فيه شعارات الحرية والديمقراطية التى انحدرت فى الواقع إلى مستوى الديماجوجية والدجل السياسى.

لهذا لا ندهش إذا ما وجدنا أن عددا من مفكرينا الجادين، على الرغم من إيمانهم النظرى بالحرية والديمقراطية فى تلك الفترة، كانوا لا يهضمون الاتجاهات الجماهيرية كما كانت عليه. ولهذا اتجه الإيمان بالفرد المبرز إلى الحلول محل الإيمان بالجماعة والأمة والبشرية عامة. وقدعبر «العقاد» ذاته عن هذا الاتجاه بقوله:

«وإيتاء العظمة حقها لازم فى كل آونة وبين كل قبيل، ولكنه فى هذا الزمن وفى عالمنا هذا ألزم منه فى أزمنة أخرى لسببين متقاربين لا لسبب واحد».

أحدهما: أن العالم اليوم أحوج ما كان إلى المصلحين النافعين لشعوبهم وللشعوب كافة.. ولن يتاح لمصلح أن يهدى قومه وهو مغموط الحق معرض للجفوة والنكور.

والآخر: أن الناس قد اجترأوا على العظمة فى زماننا بقدر حاجتهم إلى هدايتها، فإن شيوع الحقوق العامة قد أغرى أناسا من صغار النفوس بإنكار الحقوق الخاصة، حقوق العلية النادرين الذين ينصفهم التميز وتظلمهم المساواة.. هذه الآفة تهبط بالخلق الإنسانى إلى الحضيض، وتهبط بالرجاء فى إصلاح العيوب الخلقية والنفسية إلى ما دون الحضيض. فماذا يساوى إنسان لا يساوى الإنسان العظيم شيئا لديه؟.. وأى معرفة بحق من الحقوق يناط بها الرجاء إذا كان حق العظمة بين الناس غير معروف.. وإذا ضاع العظيم بين أناس، فكيف لا يضيع بينهم الصغير؟.

وهكذا، فحين يترجم «العقاد» لطائفة من أعلام العروبة والإسلام، نجده يسعى إلى إنصافهم وتوفير مثال وقدوة أمام الشباب، وذلك لكى يترسموا خطواتهم. لهذا فهو لا يعنى فى الغالب بسير من يترجم لهم إلا بمقدار تحليل شخصياتهم، مهتما بإبراز نواحى الكمال فيها على طريقة الكماليين من علماء الأخلاق. ومن هنا فعبقريات «العقاد» وتراجمه ليست سيرا بالمعنى التاريخى المألوف، وإنما هى صور أخلاقية قلما يحتفل فيها بالأحداث والوقائع(٥).

وفى هذا يقول فى تقديمه لـ«عبقرية محمد»:

«إنما الكتاب تقدير لعبقرية محمد بالمقدار الذى يدين به كل إنسان ولا يدين به المسلم وكفى، وبالحق الذى يبث له الحب فى قلب كل إنسان، وليس فى قلب كل مسلم وكفى. فمحمدٌ هنا عظيم لأنه قدوة المقتدين فى المناقب التى يتمناها المخلصون لجميع الناس.. عظيمٌ لأنه على خلق عظيم».

وفى هذا المعنى أيضا يقول فى تقديمه لـ«عبقرية عمر»:

«كتابى هذا ليس بسيرة لعمر ولا بتاريخ لعصره على نمط التواريخ التى نقصد بها الحوادث والأنباء. ولكنه وصف له ودراسة لأطواره ودلائل على خصائص عظمته، واستفادة من هذه الخصائص لعلم النفس وعلم الأخلاق وحقائق الحياة».

■■■

إن آفاق الإنسانية - لدى «العقاد» - واسعة وأغوارها عميقة، ومداها من الزمن بعيد، ومن واجب كل إنسان أن يحلق فى هذه الآفاق، وأن يسبر هذه الأغوار لا لأنه يعلم سيرة هذا الإنسان وحسب، ولا لأنه يحيط بتاريخ هذه الأمة وكفى، ولكن لأنه يحقق معناه ويبلغ به كماله كلما عرف غاية من الغايات التى تنتهى إليها طاقة الإنسان.

وليس أعون على ذلك - فى رأيه - من سير العظماء لأنهم يعرضون لنا ألوانا من القدرة وأنماطا من الفطرة وكلهم بعد ذلك على خلقٍ عظيم.

■■■

إن «العقاد» فى العبقريات الإسلامية يُثَبِّت الإيمان عند الحائر لا بتحلية الوقائع التاريخية أو التذويق الأدبى، ولكن بمناقشة المسائل الحرجة التى يجهر بها العدو ويخافت الصديق.

● ففى **عبقرية محمد** ناقش دعوى انتشار الإسلام بالسيف، حيث سلط على الاتهام عقله ومنطقه، فتهافت الباطل، إذ الإسلام - كما يقول «العقاد» - حين حارب بجيوش، إنما كان أصحابه يحاربون بوصفهم دولة لا بوصفهم مسلمين، وبوصفه نظاما لا بوصفه دينا (هذه الفتوح كانت تفرضها سلامة الدولة إن لم تفرضها الدعوة إلى دينها»(٦). ويعزز هذا ولا ينفيه فرض الجزية التى جعلها الإسلام ضريبة حرية العقيدة يتحلل بها من الالتزام من لا يريد اعتناقه، وحتى هذه الجزية رفعها عمر عن أهل الكتاب للسن والحاجة.

و(الإسلام لم يوجب القتال إلا حيث أوجبته جميع الشرائع وسوغته جميع الحقوق، وإن الذين خاطبهم بالسيف قد خاطبتهم الأديان الأخرى بالسيف كذلك، إلا أن يحال بينها وبين انتضائه، أو تبطل عندها الحاجة إلى دعوة الغرباء إلى أديانها)(٧).

كما ناقش مسألة زيجات النبى، وخاصة زواجه من زينب بنت جحش.

● وفى **عبقرية الصديق** نجد أن «العقاد» حين يعرض لإسلام أبى بكر لا يقف عند دلالة السماحة والطِّيبة التى تغرى بتحميلها معنى الضعف أو الاستسلام، ولكنه بتعمقه كالعادة مستنبطا الأسباب البعيدة والقريبة (وإن أبا بكر آذن بالإسلام سريعا إلى دعوته لتلك الأسباب التى تليق به وتليق بالدعوة المحمدية وليس تلقائية ساذجة، فكان جديرا أن يكتب له من اللحظة الأولى أن يكون ثانى اثنين حين يكون النبى ﷺ هو أول الاثنين، فكان ثانى اثنين فى الإسلام، وثانى اثنين فى غار الهجرة، وثانى اثنين فى الظلة التى آوى إليها النبى يوم بدر الذى لا يوم مثله، وثانى اثنين فى كل وقعة من الوقعات بين المسلمين والمشركين، وأقرب صاحب إلى النبى فى شدة الإسلام ورخائه، وفى سره وجهره، وفى شئون نفسه وشئون المسلمين(٨).

● وفى **عبقرية عمر** ناقش «العقاد» ثلاث مسائل مهمة فى سيرة عمر:

- نهيه عن استخدام بعض الذميين.
- منعهم أن يتشبهوا فى الأزياء والمظاهر بالمسلمين.
- إخلاء بعضهم عن الجزيرة العربية فى إبان الفتوح.

فاحتكم إلى منطق العقل وإلى مقاييس السياسة، والحكم فى الدولة القديمة (أى بمعناها القديم) والدولة الحديثة.

ومن الحقائق التى جلاها كتاب عبقرية عمر،

حقيقة: موقف الإسلام من الفتوح.. هل فى الأمر شهوة السيطرة واللهج بالحكم؟ أم هو تأمين الجزيرة مهد الإسلام من الدول العظمى التى تتهددها وهى تتاخمها؟ وهى نقطة يغنى فيها حديث العلم والواقع التاريخى عن دفاع طويل عن اقتران الإسلام فى رأى البعض بالسيف.

كما ناقش «العقاد» فى الكتاب نفسه حريق مكتبة الإسكندرية، وما إلى هذا من أمهات المسائل. كما ناقش من متعلقات السيرة: عزل خالد، وحادثة الوأد فى الجاهلية التى (ما نحسبها إلا إحدى جنايات الأغراب على من خلقوا وفى مسيرتهم مثال للأغراب والإعجاب)(٩).

● وفى **عبقرية الإمام** يقول «العقاد»:

(خرج علىّ إلى الدنيا والشهادة مكتوبة على جبينه، وخرج منها والشهادة مكتوبة على ذلك الجبين بضربة حسام). ولكن موتته لم تكن هلكا، وخلافته لم تكن مقطوعة، فقد عاش على موته الملوك، وقامت باسمه الدول، وهو الذى لم تقم له دولة فى حياته.

وبين البداية والنهاية أو المقدمة والنتيجة عرض «العقاد» حياة الإمام بألوان عبقريتها فى الشجاعة والرأى والعلم والروح، فما فرغ من العرض إلا وفى كل ناحية من نواحى النفوس الإنسانية ملتقى بسيرة على بن أبى طالب ـ رضوان الله عليه ـ ملتقى بالعاطفة المشبوبة أو بإحساس الرحمة والإكبار.. ملتقى بالخيال حيث تحلق الشاعرية الإنسانية فى أجواء الذين ألحقوه بأبطال الأساطير.. أو ملتقى بالعقل يفصل بنفسه بين اختلاف المختلفين وتشيع المتشيعين(١٠).

على بن أبى طالب فى كتاب «العقاد»، الإمام العبقرى، والشهيد أبو الشهداء.

● وفى **عبقرية خالد** يقول «العقاد»:

(كثير من رؤساء الأمم يعرفون موضع الأكليل من رءوس القادة وهم منتصرون ظافرون، ولكنه موضع يخفى جد الخفاء على أنظار هؤلاء الكثيرين إذا لم يدلهم عليه ضياء النصر والظفر ويبقى للعين الملهمة وحدها أن تراه فى ظلال المحنة والبلاء)(١١).

ويعنى «العقاد» بهذا القول عين النبى الملهمة، فقد سمى خالدا سيف الله (قبل أن يهزم المرتدين، وقبل أن يهزم الفرس والروم، وقبل أن يصون للإسلام جزيرة العرب، ويضم إليها العراق والشام.. وهى الأعمال الجسام التى من أجلها يدعى اليوم سيف الإسلام)(١٢).

■■■

وبعد.. فقد كنا مع العقاد وطرفا من عبقرياته الإسلامية، فهل من سبيل لأمتنا وهى فى محنة أن تستمد من عيون تراثها وكنوزه الغنية بسير رجالها الشوامخ وبطولاتهم ومواقفهم الخالدة ما يعينها على أن تنهض من بعد كبوة وتنفض ما علق بها، وتستلهم من هؤلاء العباقرة أسوة حسنة للاقتداء، وعلامات مضيئة للاهتداء، لعلها ـ إن أخلصت النية وأحسنت العمل ـ تتجاوز عثرات الحاضر وهوانه، وتُقبل على تحديات المستقبل وطموحاته! وصدق سبحانه وتعالى إذ قال: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾.

الهوامش:

١ ـ القَصّاب: الجزار.
٢ ـ الكواكبى ص١٨١.
٣ ـ الكواكبى ص١٨٣.
٤ ـ د. نعمات أحمد فؤاد، فى أدب العقاد، سلسلة اقرأ، ١٩٧٦م.
٥ ـ د. أحمد عبدالرحيم، من مقال بعنوان: عباس العقاد مؤرخا، مجلة الهلال، عدد خاص عن العقاد، ١٩٦٧م.
٦ ـ عبقرية محمد ص٥٨.
٧ ـ المرجع نفسه ص٦٠.
٨ ـ عبقرية الصديق ص١١٣.
٩ ـ عبقرية عمر ص٢١٤.
١٠ ـ د. نعمات أحمد فؤاد، فى أدب العقاد، سلسلة اقرأ، ١٩٧٦م.
١١ ـ عبقرية خالد ص٤٢.
١٢ ـ المرجع نفسه ص٤٨..

مسجد الإمام البوصيرى

تزخر مدينة الإسكندرية بالعديد من المساجد الأثرية التى تتميز بنقوشها الإسلامية الرائعة التى تدل على مهارة الفنان العربى الذى استطاع أن يجسد روعة الفن الإسلامى ممثلا فى فن الفسيفساء والأرابيسك والزخارف الرائعة على القباب من الداخل، وقد أولت الدولة عناية كبيرة بترميمها، وهى تعتبر بحق دررا فى سماء الإسكندرية، وأطلقت الدولة على الميدان الذى تقع فيه المساجد بميدان المساجد لأنه يضم العديد منها وعلى رأسها مسجد أبى العباس المرسى وياقوت العرش، والبوصيرى.

مليونا جنيه.. تكلفة ترميم مسجد البوصيرى

محمد كامل شاهين

ويأتى ترميم المسجد فى إطار التعاون بين وزارتى الثقافة والأوقاف حفاظا على التراث التاريخى الشهير لهذا المسجد ومايحويه من نقوش إسلامية أهمها على الإطلاق قصيدة البردة الشهيرة.

نشأته:

يقول السيوطى فى «حسن المحاضرة» هو الإمام العالم شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى المنشأ، ولد بناحية دلاص بصعيد مصر سنة ثمان وستمائة وبرع فى النظم وتوفى سنة ست وتسعين وستمائة.

وقال الشهاب بن حجر: كان البوصيرى - رحمه الله تعالى - من عجائب الله فى النظم والنثر، وإن لم يكن له إلا قصيدته المشهورة بالبردة لكفاه فخرا، وكذلك قصيدته الهمزية البديعة، وقد ازدادت شهرة البردة إلى أن صار الناس يتدارسونها فى البيوت والمساجد. وتولى البوصيرى فى أول حياته العملية الكتابة على الجبايات «الضرائب» ببلدة بلبيس بمحافظة الشرقية ثم تركها وزهد الدنيا ولجأ إلى حياة التصوف والانقطاع للعبادة.

وترك بلبيس إلى الإسكندرية حيث صحب القطب أبا العباس المرسى رضي الله عنه.

ويقول على مبارك فى خططه: كان البوصيرى وابن عطاء الله السكندرى تلميذين لأبى العباس فخلع على البوصيرى لسان الشعر وعلى ابن عطاء الله صاحب الحكم لسان النثر.

وقد لازم البوصيرى أستاذه وأخذ عنه، ثم نهج بعد ذلك فى شعره منهجا آخر فصار متصوفا مادحا لحضرة رسول الله ﷺ وأخلص الحب لله ولرسوله وهام بذلك حتى صار لا يبارى.

ويقال إن السبب فى نظمه لقصيدته المشهورة بالبردة هو وقوع فالج ألم به أعيا الأطباء علاجه، ففكر البوصيرى فى عمل قصيدة يستشفع بها لعل الله تعالى أن يعافيه، فلما أتمها رأى الرسول ﷺ فى منامه فمسح بيده الكريمة عليه فعوفى لوقته.

وقد اشتهرت قصيدة البوصيرى فى مدح

في إطار التعاون بين الثقافة والأوقاف:

إحياء التراث التاريخي والحفاظ على المعالم الإسلامية للمساجد الأثرية

الرسول ﷺ باسم البردة والأولى أن يقال (البرأة) ذلك أن ناظمها برىء بها من مرض الفالج الذى أبطل نصفه وعدد أبيات البرأة ـ١٦٠ بيتا) وقد جمعت فى فصولها بين مدح الرسول ﷺ وجهاده والتوسل به ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد ألف كثير من الشعراء قصائد على وزن قصيدة البوصيرى منهم أمير الشعراء شوقى إذ ألف قصيدته نهج البردة.

ويقع مسجد الإمام البوصيرى بمدينة الإسكندرية فى مواجهة جامع سيدى أبى العباس المرسى أى أنه جاور أستاذه فى حياته وبعد مماته، وقد كان المسجد فى الأصل زاوية صغيرة توالت عليها يد الإصلاح والترميم والزيادة حتى وصلت إلى الشكل الحالى والمسجد الموجود اليوم يرجع إلى سنة ١٢٧٤هـ.

وصف المسجد:

يتكون المسجد من مربعين منفصلين، الأول يشمل صحن المسجد وتتوسطه نافورة وتحيط به الأروقة من جميع الجهات، والمربع الثانى وهو إيوان القبلة مرتفع عن مستوى صحن المسجد إذ يصعد إليه بثلاث درجات، ويتقدم الإيوان دهليز مغطى بمظلة تؤدى إلى ضريح الإمام البوصيرى أولا ثم إلى إيوان القبلة ثانيا. أما الضريح فعبارة عن غرفة مربعة مغطاة بقبة تقوم على مقرنصات فى الأركان والقبة من الصاج وليست من الخشب ويتوسط إيوان القبلة ستة أعمدة تقوم عليها قبلة مرتفعة من الصاج كذلك، وبه دور ثان مخصص للسيدات، وبهذا الإيوان يوجد مدخلان رئيسيان أحدهما فى الجهة الشرقية والآخر فى الجهة الجنوبية، كما يوجد مدخل ثالث رئيسى فى الجهة الغربية من صحن الجامع، وخلف الرواق الشرقى للمسجد توجد ثلاث غرف مغطاة بثلاث قباب كانت فى الأصل عبارة عن زاوية ملحقة بالمسجد، وتحتوى على صف من الدعائم تفصلها إلى رواقين ثم جددت الزاوية سنة ١٣٠٨هـ. وفى الركن الشمالى الشرقى لإيوان القبلة توجد مئذنة المسجد وهى على شكل مسلة، والمسجد وكذا المئذنة يمثلان الطراز التركى فى القرن التاسع عشر أحسن تمثيل(١).

يقول الأثرى محمد عبدالعزيز ـ مدير عام غرب الدلتا للآثار الإسلامية والقبطية ـ إن المشروع شمل الحفاظ على جميع العناصر القديمة والأثرية بالمسجد ومنها البلاطات الرخامية ألتى حفر عليها قصيدة البردة الأصلية والتى كتبها الإمام البوصيرى وأمر الخديوى سعيد بتسجيلها على جدران المسجد بالكامل. كما تم ترميم الميضأة الألباستر النادرة والتى تشبه ميضأة مسجد صلاح الدين وكذلك قبة المسجد الحديدية والمزولة التى تبين مواقيت الصلاة.

والمسجد كما يقول محمد عبدالعزيز يرجع تاريخ إنشائه إلى القرن ١٦ وأعيد بناؤه فى عهد الخديوى سعيد فى القرن ١٩ وعقب وفاة الإمام البوصيرى بالإسكندرية دفن فى زاوية صغيرة قام الأهالى بإصلاحها وتطويرها ولكن ظلت الزاوية على حالها حتى أمر والى مصر محمد سعيد باشا بإنشاء المسجد الحالى فوق الضريح.

قال الله تعالى: ﴿**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر**﴾ التوبة: آية ١٨.

الهامش:

١ ـ مساجد مصر وأولياؤها الصالحون د. سعاد ماهر الجزء الثالث ص٩٢ ـ ٩٥.

الجلسة الافتتاحية للندوة

دعوة لاستنهاض الأمة.. من خلال ندوة دولية حول:

مدرسة المنار ودورها فى الإصلاح الإسلامى الحديث

تبوأت مدرسة المنار موقعا متفردا بارزا فى مسيرة الحركات الدعوية الإصلاحية التى تهدف إلى بعث الحياة فى أمة طال بها الزمن فى معاقل الجهل وظلمات التخلف؛ فنهجت نهجا فكريا استلهمت أصوله من القيم الإسلامية كمحتوى وقدوة، وشقت طريقها فى أرض الواقع لتخرج ثمرات يانعة طيبة تبقى حلاوتها فى النفوس جيلا بعد جيل.

هذه المدرسة التى أشرقت بقيمها الرفيعة على ربوع الأمة فأضاءت أمامها طريق الهداية وأيقظتها من سباتها العميق. استقت اسمها من جريدة المنار التى أسسها الشيخ رشيد رضا بتوجيه من الإمام محمد عبده، وانسحب مدلولها إلى الأصل الفكرى لمنهجها، وهو منهج الشيخ جمال الدين الأفغانى باعث النهضة الإصلاحية الحديثة، وليشمل أيضا الشيخ حسن البنا الذى أحيا جريدة المنار بعد وفاة الشيخ رشيد رضا.

د. مصطفى الزباخ:

مسيرة المدرسة الإصلاحية تؤكد على قدرة هذا الدين فى تحقيق الريادة الحضارية

متابعة وإعداد
مصطفى إبراهيم خيان

يحسب لمدرسة المنار أنها تركت بصمتها غائرة على شتى المدارس والتوجهات الفكرية فى عالمنا الإسلامى، وأنجبت جيلا فذا حمل راية الدعوة والإصلاح فى شتى أقطار الأرض وربوعها.

حول مدرسة المنار ودورها كانت الندوة الدولية التى عقدتها بالقاهرة المنظمة الإسلامية للعلوم والتربية والثقافة (إيسيسكو) واللجنة الوطنية المصرية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ومنظمة الدعوة الإسلامية، والتى ضمت نخبة من رجال الدين والفكر والثقافة فى العالم العربى والإسلامى ليقدموا عصارة فكرهم حول إحدى قلاع الفكر المستنير فى عالمنا الإسلامى.

ميرفت عمر:

الدور الرائد للعقل المسلم يؤكد على أن الفضل الأول فى بناء الحضارة يعود للمسلمين

ترسيخ المفاهيم الإسلامية

استهلت وقائع الندوة السيدة - ميرفت عمر - الأمين العام للجنة الوطنية المصرية للتربية والعلوم والثقافة - بكلمة أشارت فيها إلى أن موعد عقد الندوة يتزامن مع ما يشهده العالم الإسلامى من مخاطر وأهوال تحيط به من جميع الجهات من خلال خضم هائل من التحديات داخليا وإقليميا ودوليا..

تحديات التنمية والاستقرار، والسلام والحفاظ على الأمن الوطنى، وتحديات العولمة والتكتلات الاقتصادية وغيرها.

وأكدت على أن المهام الجسام التى تؤديها المؤسسات الإسلامية العريقة التى تنتشر فى ربوع العالم الإسلامى هى مهام أساسية فى ترسيخ المفاهيم والتراث الإسلامى العريق الذى نفخر به ونعتز والذى يؤكد هويتنا الثقافية الأصيلة التى تحكمها قيم التسامح والعفو والاعتزاز بالانتساب إلى هذا الدين الحنيف.

وأضافت الأمين العام للجنة الوطنية: إن اجتياز تلك التحديات يتوقف على توافر وعى عميق تدعمه استراتيجية متكاملة تتحدد فيها الأهداف، وتتدرج الخطط مع دعم القاعدة العلمية والثقافية التى تؤهل هذه الأمة للصمود فى مواجهة المخاطر والتحديات الدولية وإن الدور الرائد للعقل المسلم يؤكد أن الأثر العظيم والفضل الأول فى بناء الحضارة بوجه عام يعود إلى المسلمين فى شتى أنحاء الأرض وماقاموا به من نهضة علمية وثقافية عبر العصور.

الدور الإصلاحى لمجلة المنار

وتناول الدكتور مصطفى الزباخ - ممثل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - دور مجلة المنار التى أسسها الشيخ محمد رشيد رضا كواحدة من المدارس الفكرية التى ساهمت بدور بارز فى بعث الحياة فى ربوع الأمة الإسلامية، وفى النهوض والارتقاء بالشعوب الإسلامية والتأكيد على هويتها الثقافية كما كان لمجلة المنار دورها الإصلاحى والإرشادى فى إيقاظ الهمم وتحريك العزائم، امتدادا لما كانت عليه مجلة العروة الوثقى التى كان لها المرجعية الأساسية فى التوعية واستنهاض الأمة من خلال فكر الشيخ جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده.

وأشار الدكتور الزباخ إلى ضرورة التعرف والاسترشاد بنهج هذه المدرسة الإصلاحية فى ظل التحديات والتحولات التى يشهدها عالم اليوم حتى يتأكد لنا ما يتمتع به هذاالدين من قدرة وأثر

عظيمين فى تحقيق الريادة الحضارية فى أى وقت وأى زمان.

إيقاظ الأمة

وطالب الدكتور إبراهيم الربو - ممثل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - بضرورة إعادة قراءة فكر مدرسة المنار للاسترشاد به فى كيفية إيقاظ الأمة وإعادة إحياء دورها واستعادة مكانتها اللائقة من خلال نشر آراء وأفكار مؤسسى مدرسة المنار وطرحها بشكل جديد لتكون مرشدا. موجها لعامة الناس ولا يقتصر نفعها على طائفة المفكرين والمثقفين فهذه المدرسة - كما أكد - كانت لها آثارها الإصلاحية البعيدة الأثر والتى ركزت على القضاء على الفساد الذى دب فى جسد الأمة حتى كاد يفتك بها.

عودة العقل المسلم

وحث الدكتور عبدالرحمن النقيب - ممثل المعهد العالمى للفكر الإسلامى - على ضرورة العودة لقراءة فكر مدرسة المنار الإصلاحية حتى يعود العقل المسلم لبدايته الأولى فى صدر الإسلام، عقلا يجمع بين الوحى والحس والعقل لتكون المصادر الرئيسية لجلب المعرفة، فإن ما أصاب الأمة اليوم من أزمات وما سيطر عليها من تخلف يعود بالدرجة الأولى إلى فصل الوحى عن معارف العصر وعلومه.

ودعا الدكتور النقيب إلى ضرورة تتبع خطوات هؤلاء الإصلاحيين من أمثال أعلام مدرسة المنار الثلاثة، الأفغانى، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، والسير على طريق أسلمة المعرفة باعتبارها البداية الأساسية والحقيقية للحفاظ على ذاتيتنا وهويتنا الثقافية فى ظل ما تتعرض له الأمة من غزو فكرى ثقافى يحول دون إصلاح حال الأمة ويمثل عائقا فى طريق نهضة الأمة وتقدمها.

منهج الوسطية

وأكد الدكتور على جمعة - أستاذ أصول الفقه والمستشار الأكاديمى لمركز الدراسات المعرفية - على أن منهج الوسطية والاعتدال الذى تمثله مدرسة المنار هو الذى يميز هذه الأمة عن غيرها من الأمم، فالفكر الإسلامى الصحيح لم يعرف التشدد أو الغلو أو الشطط فى شتى المسائل والأمور، وهذا هو ما سعى إليه مؤسس المنار الشيخ محمد رشيد رضا فأرسى مناهج اليسر والوسطية والاعتدال من خلال مواقفه التاريخية المشهورة التى سجلتها مجلة المنار ومن خلال معاملاته فى الأسواق والمساجد والأماكن العامة.

د. إبراهيم الربو:

قراءة فكر المدرسة يوقظ الأمة ويعيد لها دورها الحضارى

وأضاف أن الأمة لو انتهجت هذا المنهج فسوف تكون لها الريادة والسبق والتقدم فى شتى مجالات الحياة.

تمكين القرآن فى نفوس المسلمين

أكثر ما يجذب الانتباه ويلفت النظر تلك الأبحاث القيمة التى تميزت بعمق الأفكار والثراء الثقافى والتى عكست بحق دور مدرسة المنار الإصلاحى وآثارها فى استنهاض الأمة وشحذ عزيمتها.

عن منهج المنار فى تفسير القرآن قدم الدكتور محمد السيد جبريل - أستاذ التفسير بجامعة

د. عبدالرحمن النقيب:

ما أصاب الأمة اليوم يعود إلى فصل تعاليم الوحى عن معارف العصر

الأزهر - بحثا أشار فيه إلى توارث أجيال المسلمين عبر تاريخهم الممتد هذا الاهتمام بأمر القرآن الكريم، ولذلك حظى بالنصيب الأوفى من المؤلفات والدراسات التى تهدف إلى التمكين له فى قلوب المسلمين حفظا وتلاوة ومع الأيام تعددت التفاسير فى مناحيها ومناهجها رغم وحدة الموضوع، فمنها مايجنح للتاريخ يسوق حشدا هائلا من قصصه لا يسلم العقل بالكثير منها وليس لها سند صحيح، ومنها ما يميل لبحوث الكون ويأخذ فى تفسير الآيات تحت تأثير هذه البحوث ومضامينها، ومنها ما يقصد إلى الفروع لا يرى غيرها إلا تبعا لها.

تفسير المنار

ومن ثم ظهرت الحاجة ماسة إلى تناول هذه المؤلفات بالدراسة التحليلية والنقد والمقارنة بغية الوصول إلى أمثل السبل لاستجلاء هداية القرآن الكريم والاغتراف من فيض حكمته وموعظته، ومن ثم كان تفسير المنار الذى كان ثمرة غرس الإمام محمد عبده والشيخ رشيد رضا.

وقد حدد صاحب المنار معالم التفسير الذى يعمل على نشره فى قوله: «والتفسير الذى تطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم فى حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من المباحث تابع وأداة أو وسيلة لتحصيله».

ولم ينس صاحب المنار أن ينبه على حقيقة ينبغى أن يعيشها كل مسلم فضلا عن العلماء وطلاب العلم، ألا وهى أهمية اللغة العربية لتحقيق ما سبق من حفظ القرآن وتفسيره، فيقول: «إن القرآن هو حجة الله البالغة على دينه الحق، فلا بقاء للإسلام إلا بفهم القرآن فهما صحيحا، ولا بقاء لفهمه إلا بحياة اللغة العربية.

ويقول: إننا نعتقد أن المسلمين ما ضعفوا وزال ما كان لهم من الملك الواسع إلا بإعراضهم عن هداية القرآن.

ويعلق الباحث بقوله: إن ما قاله الشيخ حق لا مرية فيه، لذلك نجد أعداء الإسلام الذين يجهدون أنفسهم فى الكيد له ولكتابه يوجهون سهامهم إلى اللغة العربية لتوهين عرى الاستمساك بها عند أهلها.

العطاء الفكرى للمدرسة

وعن التنشئة السياسية لدى مدرسة المنار، قدم الدكتور السيد عمر - أستاذ العلوم السياسية المساعد بجامعة حلوان - بحثا أوضح فيه: أنه على الرغم من وفرة الدراسات التى صدرت عن الأبعاد غير السياسية لفكر هذه المدرسة، فإن الدراسات السياسية المعنية بها بوجه عام وتلك المعنى بها المستندة على اقتراب إسلامى لاتزال فى غاية الندرة مما يجعل العطاء الفكرى السياسى لهذه المدرسة شبه بكر حتى الآن، ومن هنا تستمد هذه المدرسة أهميتها.

وحدد الباحث أهم السمات التى تتعلق بالتنشئة السياسية لدى مدرسة المنار فى:

سمات تاريخية ولا تاريخية التنشئة السياسية لمدرسة المنار، فما تقدمه المدرسة فى مجال التأسيس لمنظومة قيمة الحرية التوحيدية وما تساهم به على صعيد تفعيل هذه القيمة بعدان غير تاريخيين، كذلك الدعوة إلى العودة بالإسلام إلى بساطته الأولى ونقائه فى صدر الإسلام ينفى عنها صفة التاريخية.

د. على جمعة:

منهج الوسطية والاعتدال الذى انتجته المنار أهم ما يميز هذه الأمة عن غيرها

الغاية العليا للجامعة الإسلامية

انسانية الغاية: أكدت المدرسة على أن الإنسانية وكرامة الإنسان هى الغاية العليا للجامعة السياسية الإسلامية كنظام فهى الوحيدة التى لها ميزان من خارجها واضعه هو الله جل جلاله.

واقعية مدرسة المنار: حيث ترى هذه المدرسة أن حال الأمة هو المحدد الأعلى لأنسب طرق إصلاح أمرها والسمو بها على مدارج الأدب السياسى للأمم وهى بذلك ترسى مبدأ هاما وهو شرعية الاختلاف فى وسائل تحقيق الهدف الواحد، فالثورة كالريح الصرصر، والدعوة الهادئة بالحجج الناهضة أولج فى المسامع وأجول فى المجامع.

ويرتفع صوت الشيخ رشيد رضا قويا فإنما ثباته بالتوكؤ على الحق كالنظام ومراعاة سنن الله فى الخلق والأخلاق والسجايا الفاضلة كالصدق والأمانة فالحق ثابت فى نفسه والباطل ثابت به أو شبيه بالثابت، فلو تداعت أركان الحق عند هؤلاء لسقط الباطل بل لتبين زهوقه وبطلانه.

وما تراه من ضلال المسلمين واضمحلال سلطتهم مع أحقية دينهم فسببه عدم السير على مناهج دينهم وهذا كتابهم ينطق بالحق **«إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»**.

الإسلام طريق نهضة الأمة

وحول المنهج العلمى وتطبيقاته لدى مدرسة المنار جاء بحث الدكتور عمارة نجيب ـ رئيس قسم الدعوة بكلية أصول الدين بالمنصورة ـ والذى فند فى البداية ادعاء البعض أن الإسلام هو سبب التخلف والقهر والضياع الذى يعانيه المسلمون ـ متسائلا: كيف صدق هؤلاء هذه الدعوى مع أن عدونا يدرك أكثر منا أن الإسلام يقوى هذه الأمة ويقفز بها إلى المقدمة فى أقصر وقت وأقل جهد، ولو علموا أن الإسلام يؤخرنا لجعلوه طعاما لنا وشرابا لأن عدوك لا يريد لك إلا التخلف والفقر. يقول الله تعالى: **﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾**.

منهج المدرسة العلمى

وأشار الدكتور عمارة نجيب إلى أن مجلة المنار التى أنشأها الشيخ رشيد رضا فى عام ١٣١٥هـ قد اتخذت منهجا علميا دقيقا فى كتاباتها وحدد صاحبها الغرض من إنشائها بإصلاح الحياة والسلوك الدينى والاجتماعى لأمتنا الإسلامية، ومن يعيش معها، وتتصل مصالحه بمصالحها وبيان اتفاق الإسلام مع العلم والعقل وموافقته لمصالح البشر فى كل قطر وكل عصر.

وتضمن البحث نبذة عما جاء فى فاتحة العدد الأول من أعداد المنار جاء فيها: أما بعد، فهذا صوت صارخ بلسان عربى مبين، ونداء حق يقرع سمع الناطق بالضاد مسامع جميع الشرقيين، ينادى من مكان قريب يسمعه الشرقى والغربى، ويطير به البخار فيتناول التركى والفارسى يقول: أيها الشرقى المستغرق فى منامه المبتهج بلذيذ أحلامه حسبك حسبك، فقد تجاوزت بنومك حد الراحة، وكاد يكون إغماء أو موتا زؤاما.

ويكرر التنبيه وقرع الأجراس فيقول: حسبك حسبك هب من سباتك، واستيقظ من منامك، فقد ولت حنادس الجهالة وأشرقت شمس المعرفة، انظر وتأمل، ماذا يفعل أخوك المستيقظ.

لماذا أسلم هؤلاء؟

- أبناء مصر العظيمة، عظام لا يعرفون التعصب..!
- الزوجة: حبى لجارتى المسلمة جعلنى أقلدها فى الصلاة!
- الزوج: صُمت مع زوجتى كما يصوم المسلمون!
- السلوك الإسلامى، المثل الأعلى للدعوة الإسلامية!

زوجان يونانيان

صوم رمضان.. كان طريقنا إلى الإسلام

أحمد حامد

اكتسبنا عادات الأسرة المصرية وتقاليدها، والتى عرفنا فيها الأخوة والمودة، كما اكتسبنا التحدث باللغة العربية التى أصبحنا نجيدها، ونؤدى بها شعائر الدين الإسلامى العظيم الذى اعتنقناه بكل الحب بعد أن عرفنا فيه عدم التفرقة بين البشر حيث عشنا لنلمس ذلك فى حياتنا التى مازالت تسير بالحب والمودة والتآلف والتآخى الذى نادى ومازال ينادى بها الإسلام.

هكذا تحدث إلينا اليونانى محمد المهدى الذى مازال يعيش على أرض مصر العظيمة، وسط شعبها الطيب الذى لولاه لاندثر الإسلام وغاب.

فكيف اعتنق اليونانى مكاريدس إسفاروس، الدين الإسلامى الحنيف، ليصبح اسمه محمد المهدى.

يقول: بالإسكندرية عشت بداية شبابى، وتمكنت من أن أكون تاجرا، يتميز بالسمعة الطيبة بين إخوانه اليونانيين والمصريين، واكتسبت ثقة الجميع، وتزوجت إحدى اليونانيات المعتدلات، من إحدى الأسر التى تعيش بالإسكندرية.

ولأننا عشنا مع أبناء مصر بالإسكندرية، فقد اكتسبنا عادات وتقاليد المجتمع الذى فتح لنا قلبه وعقله وذراعيه، بكل الألفة والمحبة.

وكان جيرانى من المسلمين المتمسكين بتعاليم الإسلام نصا وروحا واقتربت زوجتى من هذه الأسر، وتوطدت علاقتها جيدا بها، وتعلمت عن طريق مخالطة الجيران باللغة العربية، حتى أصبحت تجيدها مثلى تماما. وكانت تعود لتحكى لى كيف تصلى جارتها، ومدى إعجابها بهذه الصلاة، حتى أنها كانت تقلدها وتقف بجوارها أثناء صلاتها، وما كنت أعلق فى ذهنى أى شىء، فأبناء مصر كما عرفتهم من مسلمين ومسيحيين لا يعرفون التعصب، إلا أنها جاءتنى ذات يوم،

وقالت: «سأصوم غدا»، ولما عرفت أن جارتها تصوم يومين فى الأسبوع قررت أن تشاركها الصيام بنفس الطريقة التى تصوم بها، ولم أصدق أن الحب بينها وبين جارتها يصل إلى هذا الحد، إلا أن هذه السيدة الفاضلة جارتنا كانت على خلق إسلامى رفيع، وحاولت أن أجعل زوجتى تفهم أن هذا الذى ستقوم به سيجعلها تشعر بالجوع والعطش فقط، فصيام المسلمين للمسلمين وما كنا بمسلمين، وأمام إصرارها على مشاركة جارتها الحبيبة لم أجد بدا من مشاركة زوجتى فى هذا الحب الذى تحمله لجارتها.

فى اليوم التالى طبعا كنت صائما مع زوجتى كما يصوم المسلمون تماما. واتفقت مع زوجتى أن آكل معها حينما يحين وقت الطعام بعد أذان المغرب كما يفعل المسلمون.

وعدت قبل المغرب بقليل لأجد زوجتى عند جارتها، وأنا مدعو معها لتناول الطعام مع الأسرة المسلمة الصائمة.

ورأيت الدموع تنساب من عين جارتنا وتترقرق فى عينى زوجها ونحن نتناول معهم الطعام فى ألفة ما عرفتها من قبل.

وتناولنا طعاما شهيا، لقد كان الطعام عاديا، لكنه أشهى ما أكلت فى حياتى حيث رأيت فى وجه الرجل وزوجته السماحة والقناعة والرضا.

وبعد أن صلى الرجل وزوجته وتابعتهما زوجتى وأنا أبتسم لهذا الحب وهذه المشاركة التى جعلتنى سعيدا، جلس الرجل إلينا فى هدوء ووقار ومحبة ليقول:

الحقيقة أننى وزوجتى وأسرتى جميعا سعداء اليوم بصيامكم ومشاركتكم لنا هذه السُنة، لكنها للمسلمين عبادة، ولا أرى لزوما لها عندكم إلا الجوع والعطش طيلة نهار من الفجر إلى المغرب، فهذه مشقة عليكم لا نريدها لكم، ونرجو ألا تتكرر، فنحن شعرنا بحبكم بهذا اليوم الذى أثبتم فيه هذا الحب.

وبكت زوجتى لكلمات الرجل الهادئة المتزنة، وطلبت منه أن تتعرف على الإسلام ربما تصبح مسلمة. ولم أرفض طلبها، وأكدت معها هذا المطلب، فأنا أيضا أريد أن أتعرف على الإسلام ربما أصبح مسلما.

وابتسم الرجل ابتسامة هادئة مليئة بالرضا، ودخلت زوجتى فى أحضان زوجته وبكت كل منهما على صدر الأخرى.

واتفق الرجل أن يجلس معنا بعد انتهائى من العمل مساء كل يوم ليشرح لنا الإسلام كما طلبنا منه.

ولأن جارى كان مدرسا فى اللغة العربية، كنا نتحلق حوله فى بيته، أنا وزوجتى وأسرته - زوجته وأولاده البنين والبنات - وهو يتحدث فى رصانة وهدوء واتزان وإيمان قوى، وراح يشرح لنا والكل فى صمت يستمع إلى أحسن القول من هذا الرجل الفاضل، الذى قدم لنا الإسلام من آيات الله البينات حيث ما فارقه المصحف وهو يحكى لنا تعاليم الإسلام البسيطة التى تعلو وترتفع بالإنسان إلى المرتبة التى أرادها الخالق له.

ومرت الأيام، ولم أتشاور أنا وزوجتى فى إعلان إسلامنا، لكن بعد شهور قليلة، وكنا نتحلق حول الرجل فى داره، وطلبنا منه النطق بالشهادتين وكنا لم نتفق على ذلك. ولما سألنا عن اتفاقنا، قلنا له لم نتفق على شىء فدمعت عينا الرجل وهو يقول: **«إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء»**.

ونطقنا بالشهادتين أنا وزوجتى.

وأسميت نفسى محمداً المهدى، وأسمت «ماريا» زوجتى نفسها فاطمة المهدى. وأشهرنا ذلك على الملأ.

وأصبحنا نمارس شعائر ديننا الإسلامى العظيم.

وكنت لم أنجب فرزقنى الله بعد أقل من عام من إشهار إسلامى بإسماعيل، سعدنا به سعادة لا حدود لها واحتفلت أسرة المدرس معنا بمقدمه، وكانت زوجتى أثناء مولده تحت رعاية هذه الأسرة التى تآخينا معها فى ظل الإسلام.

وفتح الله على فى تجارتى، فكثرت وتوسعت، بالأمانة والصدق والإخلاص.

وبعد عامين حملت زوجتى، وسعدت بحملها وتمنت وطلبت من الله أن يرزقها ابنة تؤاخى بها إسماعيل، وتصبح عونا لها.

ودمعت عينا محمد المهدى عند هذا الكلام، وصمت واحترمت دموعه التى انسابت فى هدوء، وقلت فى نفسى لعل الله فعل خيرا، إلا أنه جفف عينيه وكسر صمته وراح فى صمت حزين يقول:

كانت ولادتها متعسرة جدا، وحاول الأطباء إنقاذ حياتها لكنها كانت على موعد مع الخالق الذى آمنت به، ولكن الله لبى دعاءها فى البنت التى أرادت، وولدت البنت ولقيت ربها موحدة به مؤمنة برسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

ودفنتها فى مقابر جارى المدرس الذى حزن عليها حزنا شديدا، وعاشت ابنتى التى أسميتها فاطمة أيضا، مع أسرة المدرس، أراها كل يوم فى أى وقت أشاء.

عامان، ثلاثة أعوام، وابنتى تكبر وتترعرع فى ظل هذه الأسرة الكريمة حتى أصبحت قطعة من هذه الأسرة.

وذات يوم عرض على أخى المدرس، أن أفكر فى الزواج، فأنا مازلت شابا وحالتى المادية ميسورة والحمد لله، وترحب بى أى مسلمة زوجة لى وأما لأولادى.

ولم تدركنى لحظة شك واحدة فى نوايا الرجل الذى وجه نظرى للزواج فابنى وابنتى تحت رعايتهما لم يبد أى فرد فى الأسرة امتعاضا منهما على الإطلاق.

وجلست أفكر طويلا فى أمر زواجى هذا الذى ما كان يخطر على بالى بعد رحيل زوجتى الحبيبة التى هدانى الله بها إلى الإسلام.

ونمت ذات ليلة لا أفكر فى شىء على الإطلاق، ورأيت زوجتى فى منامى تحثنى على الزواج، وتطلب منى أن أسرع فيه، وأن أجعل المدرس يختار لى الزوجة المناسبة الصالحة التى ترضى بوضعى لتربية أولادى.

والتقيت مع أخى المدرس عند صلاة الفجر، وحكيت له ما رأيت فى منامى وما طلبته منى زوجتى.

وابتسم الرجل فى هدوء وهو يسجل ويحوقل ويقول سبحان الله، أنا لم أحدثك فى أمر الزواج إلا بعد أن رأت زوجتى نفس المنام فطلبت منى أقول لك ما قالته زوجتك المرحومة لها فى منامها.

إذن استبشر خيرا ياأخى، فسأبحث لك عن المسلمة المناسبة ويفعل الله ما يشاء.

وتزوجت على يدى جارى المدرس، سيدة فاضلة من أسرة طيبة وكريمة، ومن أول يوم لها فى بيتى وإسماعيل وفاطمة معنا، لا يفارقان البيت، وأنجبت منها ثلاثة، تخرجوا جميعا من الجامعات المصرية وتزوجوا وأنجبوا وأصبحت جدا لأولادى الخمسة، حيث بارك الله لى فيهم وفى تجارتى التى مازالت قائمة تتسع وتزيد وتربح بفضل الله والأمانة والصدق والإخلاص، والعمل بها على طريق الإسلام الذى عرفناه من أسرة جارنا بعد صيام يوم واحد.

ويبتسم محمد المهدى ليقول: مازلت وأسرتى وأحفادى نصوم يومين فى الأسبوع أسوة بسيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ.

ولا أملك إلا أن أقول: إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء، وقد شاء الله لنا الهداية.

ولا أبوح لك بسر إن قلت لك إن لى أصدقاء يونانيين اعتنقوا الإسلام دينا بعد أن عرفوا أن الإسلام هو الطريق السوى إلى الحياة الآمنة المستقرة.

عظمة مصر

شعر: عمر موسى البرعى

يا قلعة العرب الأباة تقدمى … وتسلمى علم العروبة واسلمى

باسم العروبة فى المحافل فاجهرى … بل وازأرى بصلابة وتكلمى

واحمى العروبة من طغاة عربدوا … وعن العروبة للدفاع تقدمى

والعرب دوما بالكنانة قوة … تهديهم نحو الطريق الأقوم

لا نصر إلا بالكنانة دائما … من كان محتميا بها لم يندم

وهى التى سلما وحربا لم تزل … بالرأى يحلو كل ليل معتم

ولمصر جيش باسل يحمى الحمى … أعظم بجيش كالأسود عرمرم

يامصر يارمز الحضارة والفدا … يفديك أبناء العروبة بالدم

قودى العروبة نحو فجر مشرق … إن العروبة بالكنانة تحتمى

شُقى طريقك بالعزيمة والرجا … لا ترهبى هول الصعاب وحطمى

ياعرب شدوا أزرها بصلابة … فشتاتكم أمل العدو المجرم

وذروا التفرق إن فيه لعبرة … لكم وفى الأحداث خبر معلم

مصر القوية للعروبة مفزع … نُعمى من الله الكريم المنعم

هيا بلاد العرب شيدى قوة … ومن الكنانة دائما فتعلمى

لو ذى بركب للعروبة سائر … كيما تفوزى بالفلاح وتغنمى

إن الوفاء بمصر أعظم خلة … وشجية فى شعب مصر المسلم

والأزهر المعمور فيها قلعة … والله يكرم من إليه ينتمى

فيه علوم الدين يشرق فجرها … وبها الوضوح لكل أمر مبهم

طوبى لمصر فى عظائم مجدها … وتقدم طال السُّها كالأنجم

الدعوة والدعاة

- الزكاة فى الأموال المعاصرة
زكاة النقود والودائع المصرفية »
- الإسلام وطلب العلم وفضله
- هدى الرسول ﷺ فى الفطور والسحور

الزكاة فى الأموال المعاصرة (١)

زكاة النقود والودائع المصرفية

زكاة النقود

فرض الإسلام الزكاة فى النقدين وهما الذهب والفضة، عند توافر الشروط من مضى مدة السنة وخلو المال عن الدين والحوائج الأصلية، ومن كمال الأهلية ومن بلوغ النصاب، وهو عشرين دينارا من الذهب، ففيه نصف دينار، وبلوغه فى الفضة مائتى درهم، تجب فيها خمسة دراهم.

وإذا كان وجوب الزكاة فيهما واضحا لحديث: «فى كل مائتى درهم خمسة دراهم، وفى كل عشرين دينارا، نصف دينار»، فإن الزكاة وجبت فيهما لمعنى آخر، وهو أن كلا منهما مال نام بطبيعته، فالذهب والفضة أصل الأثمان ومقياس القيم، والمعيار الثابت لتقدير الأشياء من كل جنس ونوع.

أ. د/ محمد الشحات الجندى

وبتوالى العهود، وتغابر الأزمان، وتطور المعيار الذى يبنى عليه تقدير السلع والمنافع، فرضت السلطة المختصة النقود الورقية، وجعلتها رؤوس الأثمان، ومستودع القيمة، والوسيط فى التبادل، وهو ما ترتب عليه حلول هذه النقود الورقية، محل الذهب والفضة، والقيام بدورها فى التعامل، أثمانا لكل شىء فى المجتمع.

ولما كان الواجب إخراجه فى زكاة الذهب والفضة هو ربع العشر، وهو نصف مثقال عن عشرين مثقالا من الذهب، وخمسة دراهم من مائتى درهم من الفضة، والدليل عليه قوله ﷺ فى كتاب الصدقات: «فى الرقة ربع العشر»[١]، لما كان ذلك هو القدر الواجب فيهما، فإنه يجب فى نصاب النقود الورقية ربع العشر أيضا، قياسا عليهما، لتوفر العلة وهى الثمنية فى النقود الورقية، كالذهب والفضة.

والنصاب الشرعى - الحد الأدنى للمال النقدى، الذى تجب فيه الزكاة - بعد استيفاء باقى الشروط - هو ما يقابل قيمته بالنقود الحالية قيمة ٨٥ جراما من الذهب عيار (٢١) فإذا ملك المسلم هذا النصاب أو أكثر منه وجب فيه الزكاة ربع العشر أى ٢,٥[٢].

ويؤسس بعض المعاصرين وجوب الزكاة فى النقود الورقية (أوراق البنكنوت) على أن أوراق

البنكنوت يصدرها البنك الأهلى المصرى بضمانته مما يتعامل به الناس فى جميع معاملاتهم المالية فى شراء وبيع وسداد ديون، وغير ذلك من التصرفات، التى يتعاملون بها فى الذهب والفضة المضروبة، أى المسكوكة، فإنها تأخذ حكمها، وتعتبر نقودا، تجب فيها الزكاة، كما تجب فى الذهب والفضة والجزء الواجب إخراجه هو ربع عشرها، بشرط توفر شروط وجوب الزكاة(٣)، ويذهب البعض إلى تأسيس وجوب الزكاة فى النقود، على أنها مستندات ديون، وأن المعاملة بها من قبيل الحوالة، والحوالة فى الحكم كالبيع، فمن يقول بصحة البيع بالمعاطاة، فيقول بصحة المعاملة بهذه الأوراق، كما هو الجارى الآن بين الناس، وذلك هو مذهب السادة الحنفية، والسادة المالكية، والسادة الحنابلة، فإنهم يجيزون المعاملة بالمعاطاة من غير اشتراط صيغة الإيجاب والقبول.

وهناك قول وجيه فى مذهب السادة الشافعية يجيز المعاملة بالمعاطاة، ومتى علمت أن تلك الأوراق هى سندات ديون، فمذهب السادة الشافعية وجوب الزكاة فيها قولا واحدا، لأن ما بها من الدين يقدر على أخذه بغاية السهولة، قال فى (مختصر المزنى)، قال الشافعى: وإن كان له دين يقدر على أخذه فعليه تعجيل زكاته كالوديعة.. ومن ذلك يعلم وجوب الزكاة فى أوراق البنكنوت، متى بلغ قيمتها نصابا خاليا عن الحوائج الأصلية ومقدار الزكاة ربع العشر، فيكون الواجب فى الأوراق التى قيمتها ألف جنيه، ربع عشر قيمتها، وهو خمسة وعشرون جنيها(٤).

ونعتقد أن الرأى الأول القائل بأن النقود الورقية، يجب الزكاة فيها لصدورها بضمان البنك الأهلى، وهى السلطة المالية المختصة، ولجريان التعامل بها بين الناس، ومن ثم فقد حلت محل الذهب والفضة فى المبادلات وفى اعتبارها أثمانا فى المعاملات لذلك فإنها تأخذ حكمها وتجب الزكاة فيها.

ودائع العميل لدى البنك دين تجب فيها الزكاة بدءا من تاريخ الإيداع

زكاة الودائع المصرفية:

تتنوع الودائع المصرفية، فقد يقوم الشخص بشراء شهادات الاستثمار من البنك من المجموعة(أ) أو (ب) أو (ج)، وقد يودع الشخص مبلغا من المال لدى البنك عن طريق فتح حساب جارٍ، وقد يدفع الشخص مبلغا من المال للبنك فى الاعتماد المستندى، لتغطية السلعة التى يريد استيرادها وقد يودع الشخص مبلغا من المال فى وديعة استثمارية، أو فى دفتر التوفير ويكون له أن يستردها عند طلبه، أو بعد مضى فترة زمنية معينة.

وهذه الأشكال من الإيداعات المصرفية، تقيد فى حساب العميل كدائن فى جانب الأصول، وهى دين على البنك، فهو مدين بها للعميل، فهى

بالنسبة للبنك فى جانب الخصوم وهذه المبالغ المالية، تمثل قرضا من العميل للبنك، ويعتبر العميل مالكا لهذه الأموال عند استرداده لها من البنك، فيزكيها عن المدة الماضية، التى كانت فيها تحت يد البنك، متى بلغت نصابا، وكانت خالية عن الدين، وعن الحوائج الأصلية، لأن هذا المال نامٍ بطبيعته، فإن صاحبه بإيداعه فى البنك، يريد استثماره، وهو يحصل على عائد فى مقابل هذا الإيداع، هذا إذا كان وديعة استثمارية.

فإذا كان الشخص قد أودع المال فى صندوق التوفير، فإنه يأخذ حكم الوديعة أيضا، لأنه مال نام بالفعل، وصاحبه إن لم يتقاض عائدا عنه إلا أنه يعتبر فى حكم المال الموضوع تحت يده، إذ أنه يسترد مثله وقت طلبه، فتجب زكاته متى توفرت فيه شرائط الزكاة.

وبالنسبة لشهادات الاستثمار، فإن البنك يتعهد بدفع قيمة الشهادة للعميل، بعد أجل معين، وفقا لطبيعة الشهادة، وهو ما يعنى أن البنك مدين بقيمة الشهادة للعميل، ومن ثم يجب على العميل إخراج الزكاة عن المدة الزمنية التى احتفظ فيها البنك بقيمة الشهادة، خاصة وأن العميل يحصل على ريع عن شهادات المجموعة (أ)، و(ب)، وقد يأخذ جائزة عن المجموعة (ج).

وفيما يتعلق بالمال المودع فى الحساب الجارى، والذى يكون فيه العميل دائنا للبنك، فإن المعاملة المتشابكة بين العميل والبنك فى الأخذ والإعطاء، توجب على العميل أن يحسب مقدار المال الموجود فى حسابه بعد إجراء المقاصة بين ماله وماعليه فى تعامله مع البنك فإذا كان المتبقى فى الحساب لصالحه يبلغ نصابا، وتوفرت باقى الشروط فيجب عليه إخراج الزكاة عن هذا المال.

أما المبلغ المغطى به الاعتماد المستندى، فإنه دين للعميل على البنك متى لم يقم البنك بدفعه فى شراء السلعة التى يستوردها لحساب العميل وعليه فإن الزكاة تجب فيه، إذا كان نصابا حال عليه الحول، خاليا عن الدين وعن الحوائج الأصلية(٥). ومثل ذلك يقال بالنسبة لخطاب الضمان المغطى بمبلغ الضمان من جانب العميل.

الذهب فى الخزائن مثل المال الزائد عن الحاجة وفى حكم الكنز فتؤدى زكاته

وتجدر الإشارة إلى أن النصاب فى هذه الودائع يقوم منسوبا إلى الذهب أو الفضة لأنها نقود، فيكون نصابها بما يعادل (٨٥) جراما من الذهب، أو ما يعادلها من الفضة، ويرجع فى تقدير قيمة النصاب إلى المختصين بتحديد قيمة الذهب والفضة، لتغير القيمة تبعا لقوة العملة ومركزها المالى والاقتصادى.

وتعتبر هذه الودائع من قبيل الديون التى للعميل على الغير وهو البنك وأساس ذلك ما نص عليه الحنفية، فيما ذهب إليه ابن عابدين فإن الديون

عند الإمام أبى حنيفة ثلاثة أقسام: دين قوى، ودين متوسط، ودين ضعيف، فتجب زكاتها، إذا تم الدين نصابا، وحال عليه الحول ولو قبل القبض فى القوى والمتوسط، وبعد القبض فى الضعيف، ويعتبر القرض من قبيل الدين القوى عنده، فيجب عليه كلما قبض أربعين درهما، وكلما قبض أربعين أخرى يلزمه درهم، وما زاد فحسابه بواقع كل أربعين درهما درهم إلى أن يبلغ مائتين، ففيها خمسة دراهم، ومن الدين القوى بدل التجارة ذلك أن الدين الذى هو عن مال قسمين: إما أن يكون ذلك المال لو بقى فى يده تجب زكاته، أو لا يكون فبدل القسم الأول هو الدين القوى، ويدخل فيه ثمن السائمة، لأنها لو بقيت يجب زكاتها. وكذا قوله فى (المحيط) الدين القوى، ما يملكه بدلا عن مال الزكاة.

والدين المتوسط كثمن سائمة وعبيد خدمة ونحوهما مما هو مشغول بحوائجه الأصلية، كطعام وشراب وأملاك، ويعتبر ما مضى من الحول، أى فى الدين المتوسط، لأن الخلاف فيه، أما القوى فلا خلاف فيه، لما فى (المحيط) من أنه تجب الزكاة فيه بحول الأصل، لكن لا يلزمه الأداء حتى يقبض منه أربعين درهما. أما المتوسط ففيه روايتان: فى رواية الأصل تجب الزكاة فيه، ولا يلزمه الأداء، حتى يقبض مائتى درهم فيزكيها، وفى رواية ابن سماعة عن أبى حنيفة: لا زكاة حتى يقبض ويحول عليه الحول؛ لأنه صار مال الزكاة الآن، فصار كالحادث ابتداء ووجه ظاهر الرواية: إنه بالإقدام على البيع صيره للتجارة، فصار مال الزكاة قبيل البيع، ويعتبر ما مضى من الحول قبل القبض فى الأصح. والدين الضعيف هو بدل غير مال كمهر ودية وبدل كتابة وخلع، وتجب فيه الزكاة بعد القبض، إلا إذا كان عنده ما يضم إلى الدين الضعيف، استثناء من شرط حولان الحول بعد القبض، والحاصل أنه إذا قبض منه شيئا وعنده نصاب يضم المقبوض إلى النصاب ويزكيه بحوله. ولايشترط له حول بعد القبض.

وعند الصاحبين: الديون كلها سواء تجب زكاتها، ويؤدى متى قبض شيئا إلا دين الكتابة والسعاية والدية(٦).

ومن ذلك نعلم أن ديون العميل لدى البنك، من قبيل الديون القوية التى تجب فيها الزكاة، ولو قبل القبض، ومن ثم تحتسب عليه زكاة عن الأعوام التى أودعت خلالها هذه الأموال فى البنك، كما لو كانت هذه الأموال تحت يده.

والاعتبار فى إيجاب الزكاة فى هذه الأموال، كونها نقودا يجرى التعامل بها، بدل الذهب والفضة، فتأخذ حكمها، ويشترط فيها بلوغ نصاب الذهب أو الفضة، والقدر الواجب إخراجه فيها هو ربع العشر أى ٥ ,٢٪.

وكيفية حساب النصاب، رأى يذهب إلى أن الأصل والربح يخضعان للزكاة فإن وجد ربح غير مشروع، خضع مع أصله للزكاة، لأنه لا يعقل أن تكون المعاصى سببا فى الإعفاء من أداء الواجبات(٧) فلا يستفيد المخطئ من خطئه.

ويذهب البعض إلى أن الودائع المصرفية ذات الفائدة، لا يخضع للزكاة فيها إلا رأس المال، وما زاد على رأس المال فإنه خبيث لايزكى لأن الزكاة لا تطهر المال الحرام، ولا تطهر صاحب المال الحرام، بل إن المال الحرام من أخذه لا يملكه(٨)، ونعتقد أن الرأى الأول، هو الأولى بالرجحان، لأننا مادمنا قلنا أن الزكاة تجب فى المال النامى، وكان قصد المودع

إلى هذا العائد أو الزيادة فإنها تضم إلى رأس المال، وتكون ملحقا به، إذ الربح ناتج عن الأصل فيخضع لحكم الأصل، فتجب فيه الزكاة إذا لزوائد تلحق بالأصل وتتبعه فى الحكم الذى يثبت له.

وبالنسبة لما يحتفظ به العميل من مجوهرات ونقود ذهبية، فى الخزائن الحديدية المؤجرة من البنك، إذ أن الزكاة تجب فى النقود الذهبية بالنص إذا بلغت نصابا، كما تجب فى المجوهرات من الذهب والفضة، لأنه لا فرق فى إيجاب الزكاة بين الذهب أو الفضة المضروب نقودا، وبين الذهب أو الفضة غير المضروب كالسبائك والمشغولات الذهبية والفضية، والمتخذ منهما، وهو ما يطلق عليه التبر، وكذلك الحلى الموجود فى هذه الخزائن. ذلك أن الزكاة تجب فى تبر الذهب والفضة وحليهما وأوانيهما بلا فرق، لأن السبب فى الوجوب قد وجد وهو النماء ولما كان الحكم يرتبط بالسبب فتجب فيها الزكاة، لأنها من المال النامى، ودليل النماء موجود، وهو الإعداد للتجارة خلقة، والدليل هو المعتبر(٩)، وهو الاحتفاظ به فى هذه الخزائن، والقدر الواجب إخراجه هو ربع العشر، ولأن هذا المال زائد عن الحاجة وفى حكم الكنز فتؤدى زكاته.

الهوامش:

١ ـ الشيرازى، المهذب. جـ١ ص٢١٤.

٢ ـ من فتوى الشيخ جاد الحق على جاد الحق، ٢٩ جمادى الأولى ١٤٠٠هـ ـ ١٥ أبريل ١٩٨٠م. الفتاوى الإسلامية فى القضايا الاقتصادية، الجزء الثانى. ص٢١.

٣ ـ فتوى الشيخ حسن مأمون، ١٥ جمادى الأولى، ١٣٧٧هـ ـ ٧ ديسمبر ١٩٥٧م المرجع السابق. الجزء الأول ص٣١، ٣٢.

٤ ـ فتوى الشيخ محمد بخيت، شوال ١٣٣٣هـ.الفتاوى الإسلامية فى القضايا الاقتصادية، الجزء الأول، ص٦.

٥ ـ أما إذا اشترى البنك السلعة ودفع الاعتماد ثمنا للسلعة، فإن الزكاة تجب فى السلعة، باعتبار قيمتها، وأساس الوجوب كونها من عروض التجارة، وليس باعتبارها نقودا.

٦ ـ حاشية رد المحتار على الدر المختار، جـ٢، ص٣٠٥، ٣٠٦.

٧ ـ الأستاذ الدكتور يوسف قاسم، خلاصة أحكام زكاة التجارة والصناعة، ص٩٧.

٨ ـ د. على السالوس، المعاملات المالية المعاصرة، ص٣٤١، ٣٤٢.

٩ ـ المرغينانى، الهداية، جـ١، ص١٠٤.

وقد ذهب الشيخ حسن مأمون إلى ذلك، فى فتوى له، حيث قال: إن المنصوص عليه فى مذهب الحنفية، أن الزكاة تجب فى الذهب مضروبا كان كالنقود، أو غير مضروب كالتبر، كما تجب فى آنيته وحليه سواء نوى بها التجارة أو التجميل أو النفقة، أو لم ينو شيئا وسواء كانت للنساء أولا، قدر الحاجة أو فوقها، لأنه من الأثمان خلقة، فتجب الزكاة فيه كيفما كان، وما غلب ذهبه حكمه حكم الذهب الخالص، والمعتبر فيه الوزن وجوبا وأداء، ونصاب الذهب الذى تجب فيه الزكاة عشرون مثقالا وفيها ربع العشر متى حال عليها الحول، وكانت فارغة عن حوائج مالكها الأصلية وعن الدين الذى له مطالب من جهة العباد. ويساوى نصاب الذهب من العملة المصرية.. والواجب فيها هو ربع العشر من قيمتها أى ١/٤٠ منها فإذا كانت قيمة هذه المصنوعات أكثر من قيمة النصاب السابقة ينظر، فإن بلغ الزائد عن النصاب خمس النصاب، وجب فيه ربع العشر عند الإمام، وفيما زاد عن الخمس فبحسابه، وإن كان الزائد أقل من الخمس، ولم تجب فيه الزكاة عنده، وعند الصاحبين تجب الزكاة فى الزائد عن النصاب بالغا ما بلغ وفيه ربع العشر. الفتوى الصادرة فى ١٧ جمادى الآخرة ١٣٧٧هـ ـ ٧ يناير ١٩٥٨م.

الإسلام وطلب العلم وفضله (٤)

احترام وتعظيم العلماء العاملين بعلمهم الحافظين لأمانة العلم واجب، والحرص على مجالستهم والاستماع إليهم والانتفاع بعلمهم فيه خير عميم، وطاعتهم فيما يأمرون به أو ينهون عنه من أحكام الدين وتعاليمه واجبة، فقد فضلهم الله سبحانه وتعالى على من سواهم من غير العلماء، ورفع من شأنهم وقدرهم، يقول الله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ المجادلة: آية ١١.

الشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف

ويكفى العلماء شرفا وفخرا أنهم ورثة الأنبياء، فقد ورد فى حديث رسول الله ﷺ: «.. **إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**».

وللعلماء منزلة سامية ومكانة عالية، ويكفيهم تبجيلا وتعظيما وقدرا أن من فى السموات ومن فى الأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحيتان فى الماء يستغفرون لهم، وأنهم يشفعون يوم القيامة مع الأنبياء والشهداء.

ركب زيد بن ثابت فأخذ عبدالله بن عباس بركابه، فقال زيد: لا تفعل يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال عبدالله: هكذا أُمِرْنا أن نفعل بعلمائنا، قال زيد: أرنى يَدَك. فلما أخرج عبدالله يده قبَّلها زيد وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بابن عم نبينا.

وقالوا: خدمة العالم عبادة.

وقال على بن أبى طالب ـ رضوان الله عليه ـ مِنْ حقِّ العالِم عليكم إذا أتيته أن تسلم عليه خاصة وعلى القوم عامة، وتجلس قُدَّامه، ولا تشر بيدك، ولا تغمز بعينك، ولا تقل: قال فلان خلاف قولك، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه فى السؤال، فإنما هو بمنزلة النخلة المرطبة التى لايزال يسقط عليك منها شىء.

وقالوا: إذا جلست إلى العالم فسلْ تفقها ولا تسل تعنتا.

وتحتم أمانة العلم على العلماء أن يتثبتوا من صحة علمهم قبل تعليمه، ونشره، وأن يتحروا الدقة فى الإجابة عن الفتوى فلا يتعجلوا بالرد عليها، بل يجب عليهم أن يتريثوا فى الإجابة على

الفتوى فى حالة عدم التأكد من الإجابة الصحيحة، فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**من أفْتَى** بغير علم كان إثمه على مَنْ أفتاه، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرُّشْد فى غيره فقد خانه».

وعن عبدالله بن عمر عن النبى ﷺ قال: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**».

قيل لمحمد بن عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - ما هذا العلم الذى بنْت «تفوقت» به عن العالم؟ قال: كنت إذا أخذت كتابا جعلته مدرعة «وقاية».

وسأل شعبة أيوب السختيانى عن حديث فقال: أشك فيه، فقال: شكك أحب إلى من يقينى.

وقال الحكماء: عَلِّم علمك مَنْ يجهل، وتَعلَّم ممن يعلم، فإذا فعلت ذلك حفظت ما علمت، وعلمت ما جهلت.

وسأل إبراهيم النخعى عامر الشعبى عن مسألة، فقال: لا أدرى. فقال: هذا والله العالم، سُئل عما لا يدرى فقال لا أدرى.

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: مَنْ سُئل عما لا يدرى، فقال: لا أدرى، فقد أحرز نصف العلم.

وقالوا: العلم ثلاثة حديث مسند، وآية محكمة، ولا أدرى، فجعلوا «لا أدرى» من العلم، إذا كان صوابا من القول.

وقال أنس رضي الله عنه إنه ليمنعنى أن أحدثكم كثيرا أن النبى ﷺ قال: «**من تعمد علىّ كذبا فليتبوأ مقعده من النار**».

وقالوا: ما قُرن شىء إلى شىء، أفضل من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة.

وقالوا: مِنْ تمام آلة العالم أن يكون شديد الهيبة، رزين المجلس، وقورا صموتا، بطىء الالتفات، قليل الإشارات، ساكن الحركات، لا يَصْخب ولا يغضب، ولا يبهر فى كلامه «ينقطع نفسه ويتعب»، ولا يمسح عثونه «اللحية» عند كلامه فى كل حين، فإن هذه كلها من آفات العى.

ودخل رجل على عبدالملك بن مروان، وكان لا يسأله عن شىء إلا وجد عنده منه علما، فقال له: أنَّى لك هذا؟ فقال: لم أمنع قط ياأمير المؤمنين علما أفيده، ولم أحتقر علما أستفيده، وكنت إذا لقيت الرجل أخذت منه وأعطيته.

وقالوا: لو أنّ أهل العلم صانوا علمهم لسادوا أهل الدنيا، لكن وضعوه غير موضعه فقصر فى حقهم أهل الدنيا.

وقال مالك بن دينار: العالم إذا لم يعمل بعلمه زَلَّت موعظته عن القلب، كما يزل الماء عن الصفا.

وروى زياد عن مالك قال: كُن عالما، أو متعلما، أو مستمعا، وإياك والرابعة فإنها مهلكة، ولا تكون عالما حتى تكون عاملا، ولا تكون مؤمنا حتى تكون تقيا.

كما يتعين على العلماء تدوين العلم وكتابته للحفاظ عليه خشية الضياع، ولضمان نقله ونشره صحيحا خشية التحريف فى حالة النقل والنشر بالسماع والمشافهة، وقد حث النبى ﷺ على تبليغ العلم، وعلى الأمانة فى التبليغ، ودعا - عليه الصلاة والسلام - بالخير لمن يفعل ذلك، فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**نَضَّر الله امرأ سمع منّا شيئا فبلّغه كما سمع فرب مبلغ أوعى من سامع**»، وفى رواية: «**نضَّر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يُبلغه فرب حامل فقه إلى من**

هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه».

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: ما من أصحاب النبى ﷺ أحد أكثر حديثا عنه منِّى إلا ما كان من عبدالله بن عمر فإنه كان يكتب ولا أكتب.

عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ أكتب كل شىء أسمعه من النبى ﷺ أريد حفظه، فنهتنى قريش. وقالوا: تكتب كلَّ شىء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم فى الغضب والرضا!! فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بإصبعه إلى فيه فقال: **«اكتب فوالذى نفسى بيده ما يخرج منى إلا حق».**

وعلى ذلك فإن ضبط العلم والتثبت فيه وتدوينه مطلوب، فالعلم أمانة استودعها الله فى صدور العلماء، وهم مسئولون عنها أمام الله، ومسئوليتها جسيمة، وتحمل تبعات أقوالهم وأفعالهم ليس بالأمر الهين اليسير عليهم، فعن جرير بن عبدالله عن النبى ﷺ قال: **«من سن فى الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كُتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شىء، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعُمل بها بعده كُتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شىء».**

وعن عوف المزنى أن النبى ﷺ قال لبلال بن الحارث: «اعلم، قال: ما أعلم يارسول الله؟ قال: اعلم يابلال، قال: ما أعلم يارسول الله؟ قال: إنه من أحيا سنة من سنتى قد أميتت بعدى فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضى الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا».

ومن فضل الله ونعمه على العلماء أن جعل ثواب علمهم موصولا لهم لا ينقطع بموتهم، بل يستمر فضل عطائهم وثوابهم بعد مماتهم، فعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ قال: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».**

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره، وولدا صالحا تركه، أو مصحفا ورّثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته».**

وورد فى أحاديث أخرى زيادة على هذا، وعدّها بعضهم فبلغت عشرا ونظمها فى قوله:

إذا مات ابن آدم ليس يجرى
عليه من فعال غير عشر
علوم بثها ودعاء نجل
وغرس النخل والصدقات تجرى
ووراثة مصحف ورباط ثغر
وحفر البئر أو إجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوى
إليه أو بناء محل ذكر
وتعليم لقرآن كريم
فخذها من أحاديث بحصر

رحم الله علماءنا الكرام، الذين أحسنوا إلينا بعلمهم،، وأدبونا بأدبهم، وأحاطونا برعايتهم وشملونا بعنايتهم، ولم يبخلوا علينا بنصائحهم، ووجهونا إلى تحصيل العلم النافع بعد أن عرفونا قدره ومنزلته، فجزاهم الله خير الجزاء على ما بذلوه من عطاء، وما قدموه من فضل وخير لتلامذتهم، وكتبه الله امتدادا لعلمهم الحسن الذى لا ينقطع بموتهم، وجعل ثوابه فى ميزان حسناتهم، ووفقنا الله إلى أن نكون أبناء بررة بهم.

الاحتفال بالاحتلال أم بالاستقلال (٢) ؟!

إذا كانت مهمة هذه الصفحات ليست حكاية وقائع الاحتلال العسكرى الفرنسى لأرض مصر.. والذى قام الفرنسيون ـ لتحقيقه ـ بقتل ثلث مليون مصرى ـ فى وقت كان تعداد مصر لايتجاوز ٢،٤٦٠،٠٠٠ نسمة.. ـ أى أنهم قد ضربوا رقما قياسيا فى «الإبادة» عندما قتلوا ١/٧ الشعب المصرى، فى مدة لم تتجاوز السنوات الثلاث!!

وهدموا وأحرقوا الكثير من القرى ـ التى ثارت جميعها ضد جيش الاحتلال ـ والعديد من أحياء المدن التى تنافست فى المقاومة للغزاة.. حتى لقد كان للعميان ـ فى الأزهر الشريف ـ ثورتهم الخاصة، والتى قدموا فيها وفى أعقابها العديد من الشهداء!.. الأمر الذى جعل بونابرت ـ وهو الذى دوخ أوروبا ـ يهرب من مصر بليل.. وجعل خليفته الجنرال «كليبر» (١٧٥٣ ـ ١٨٠٠م) يلقى مصرعه بمصر.. أما ثالثهم ـ الذى خلف «كليبر» ـ وهو الجنرال «منو» (١٧٥٠ ـ ١٨١٠م) ـ فلقد اضطر للاحتماء بالإسلام، فأعلن إسلامة وسمى نفسه «عبدالله» وتزوج مصرية من مدينة «رشيد»!.. لتضطر هذه الحملة ـ التى جاءت لتحقق أحلام الإسكندر الأكبر (٣٥٦ ـ ٣٢٣ق.م) والقديس لويس التاسع.. ولويس الرابع عشر.. وباباوات فرنسا.. «والأمة العيسوية» الغربية.. تضطر إلى الرحيل عن مصر (١٢١٦ هـ ـ ١٨٠١م).

أ.د. محمد عمارة

ليست مهمة هذه الصفحات حكاية الوقائع التى اشتهرت فى كتب التاريخ.. بقدر ما تطمح إلى لفت الأنظار إلى الجوانب الفكرية والحضارية التى قصدت إليها هذه الحملة، ليعرف من لا يعرف أن جوانب الفكر فى هذه الحملة الاستعمارية كانت فى خدمة المدفع والبارود.. بل ربما كانت أخطر من المدفع والبارود!..

● إننا نشكو اليوم ـ على النطاق العربى والإسلامى ـ من اختراق الغرب لأمننا الوطنى والقومى والحضارى من خلال ثغرات الأقليات ـ الدينية والقومية ـ ومحاولاته تحويل هذه الأقليات إلى أوراق ضغط على الحكومات الوطنية، وإلى عقبات أمام مشاريع التغيير والنهوض ـ القومية منها والإسلامية ـ بل والوطنية أحيانا ـ.. ولقد كانت لنابليون وحملته الفرنسية الريادة فى هذا الاختراق!

لقد أعلن بونابرت ـ وهو فى طريقه إلى غزو مصر ـ عن نيته تجنيد عشرين ألفا من أبناء الأقليات فى الشرق، للاستعانة بهم كقبضة ضاربة، وقفاز محلى، ومواطئ أقدام لحملته الاستعمارية وحلمه الامبراطورى.. وبعد احتلاله لمصر، بدأ التنفيذ لهذا المخطط الخطير والكريه.. فأعزى نفرا من «أراذل النصارى» ـ من الأقباط والطوائف الأخرى.. وخاصة أتباع المذاهب النصرانية الغربية ـ بالخروج على إجماع الأمة ـ المسلمين منها والنصارى ـ فكونوا «فيلقا قبطيا» التحق بجيش

الحملة الفرنسية، وحارب الشعب المصرى مع قوات الاحتلال - وقاد هذا الفيلق «المعلم يعقوب حنا» (١١٥٨ - ١٢١٦هـ - ١٧٤٥ - ١٨٠١م) - وهو الذى سماه الجبرتى (١١٦٧ - ١٢٣٧هـ - ١٧٥٤ - ١٨٢٢م) «يعقوب اللعين»!.. و«فيلقا» ثانيا من النصارى الأروام، قاده «برطلمين ينى الرومى» - الذى اشتهر لدى العامة بـ«فرط الرمان»!

وكما يقول الجبرتى - مؤرخ العصر وحجته -: فإن فيلق المعلم يعقوب قد ضم من شباب القبط بالصعيد نحو الألفين.. وشارك هذا الفيلق مع الجيش الفرنسى - الذى قاده «ديزيه» - فى «فتح صعيد مصر»!.. وتدرج المعلم يعقوب فى مراتب الجيش الفرنسى، فمنحه «كليبر» رتبة «كولونيل»، وأنعم عليه «منو» برتبة «جنرال» فى مارس سنة ١٨٠١م[١].

فكان هذا أول اختراق استعمارى غربى لصفوف الوحدة الوطنية المصرية!.. ولقد تم على يد حملة نابليون..

● وفى «ديوان المشورة» - الذى أقامه «بونابرت» - جعل لهذه الأقليات غير المسلمة - والتى لا تتعدى نسبتها العددية لمجموع السكان ٥٪ - نصف عضوية الديوان العام والخاص - خمسة من علماء الأزهر، واثنان من التجار المسلمين، وسبعة من الأقليات النصراينة - وعندما يضاف إليهم الأعضاء الفرنسيون يصبح المسلمون أقلية ضئيلة العدد والتأثير فى هذا الديوان[٢]!.. فالهدف لم يكن تدريب الشعب على حكم نفسه - كما يزيف المتغربون - وإنما كان إذلال الأمة بتحكم الأقلية الخائنة فى مصائرها!..

● أما الجهاز المالى والإدارى - أى الحكومة والسلطة التنفيذية - فلقد اختص بها الفرنسيون هذه الأقليات التى أصبحت سياطا يلهب بها الفرنسيون ظهور المصريين!

● ولم يقف الأمر عند حدود توظيف هذا الاختراق لخدمة المقاصد السياسية والمالية والإدارية، وإنما تعداه إلى توظيف هذه الشريحة - من «أراذل القبط» - كما سماهم الجبرتى - لاستفزاز عقيدة الأمة، والعدوان على إسلامها!..

فعلى النقيض من محاولات خديعة المسلمين بادعاء «إسلام بونابرت» ومجىء جيشه لنصرة سلطان المسلمين ضد المماليك!.. رأينا الجنرال «كليبر» - كما يقول الجبرتى - يعهد إلى المعلم يعقوب حنا «بأن يفعل بالمسلمين ما يشاء»[٣]. حتى «تطاولت النصارى - من القبط ونصارى الشوام - على المسلمين بالسب والضرب، ونالوا منهم أغراضهم، وأظهروا حقدهم، ولم يبقوا للصلح مكانا!؟ وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين[٤]»!!.. فشق الوحدة الوطنية بلغت به الحملة الفرنسية من استفزاز وتهديد حتى عقيدة الإسلام فى مصر.

● بل إن هذا الاختراق الذى أحدثته الحملة الفرنسية للوحدة الوطنية المصرية، لم تنقض آثاره بهزيمة هذه الحملة، وجلاء جيشها عن مصر (١٢١٦هـ - ١٨٠١م) وتسريح «الفيلق القبطى».. ذلك أن هذه الشريحة - من «أراذل القبط» - كانت بمثابة طليعة تيار «التغريب»، والاستلاب الحضارى، والانفصال - الذى سموه «الاستقلال» - عن ماضى مصر وتراثها وهويتها الإسلامية وعن محيطها العربى والإسلامى.

«الاستقلال» عن الذات الحضارية، والالتحاق والتبعية للنموذج الغربى الذى جاء به الفرنسيون الغزاة.

وإذا كان المعلم يعقوب اللعين، قد غادر مصر - هو وأعوانه - فى ركاب الحملة الفرنسية المنهزمة، وعلى ذات السفن التى أقلت جنود هذه الحملة.. فإن خيبة هذه الحملة البونابرتية، لم تجعل آمال المعلم يعقوب تخيب فى أوروبا! فتوجه «بوصيته» - التى كتبها فى مرض موته، على ظهر السفينة التى

أقلته من مصر - توجه إلى إنجلترا، لتحل محل فرنسا، ولتسعى للسيطرة على مصر، وإلحاقها بأوروبا - بدلا من الامبراطورية العثمانية - فكتب فى وصيته عن هذا المشروع يقول:

«توشك الامبراطورية العثمانية على الانهيار. ولذا فيُهمّ الإنجليز، قبل أن تقع الواقعة، أن يلتمسوا لأنفسهم من الوسائل المؤكدة ما يكفل لهم الإفادة من ذلك الحدث عند وقوعه، فيحققوا مصالحهم السياسية.

وإذا كان من المستحيل عليهم أن يستعمروا مصر - كما استحال ذلك من قبل على فرنسا - فيكفى أن تخضع مصر المستقلة لنفوذ بريطانيا، صاحبة التفوق فى البحار المحيطة بها.. إن بريطانيا لها من سيادتها البحرية ما يجعلها تستأثر بتجارة مصر الخارجية، ويضمن لها بالتالى أن يكون لها ما تريد من نفوذ فيها.. إن مصر المستقلة لن تكون إلا موالية لبريطانيا.. ومن ثم فعلى بريطانيا أن تعمل على استقلال مصر.. وهذا الاستقلال لن يكون نتيجة وعى الأمة، ولكنه سيكون نتيجة تغيير جبرى تفرضه القوة القاهرة على قوم مسالمين جهلاء!.. وللدفاع عن هذا الاستقلال.. فإن المصريين يمكنهم أن يعتمدوا على قوات أجنبية تعمل لحسابهم، يتراوح عددها بين ١٢,٠٠٠ و١٥,٠٠٠ جندى، يكفون تماما لصد الترك عن الصحراء، ولسحق المماليك داخل مصر.. «إن أى حكومة فى العالم أفضل من الاستبداد التركى»(٥)!

فالوصية اليعقوبية، هى باستقلال مصر عن ذاتها الحضارية، وماضيها وحاضرها الإسلامى، ومحيطها القومى والحضارى، وإخضاعها لنفوذ إنجلترا، لتكون موالية لبريطانيا، التى تستأثر بتجارتها الخارجية.. هذا «الاستقلال» الذى تفرضه القوات الأجنبية على المصريين «المسالمين الجهلاء»!.. كما قال المعلم يعقوب اللعين!

هكذا تخلقت - على يد الحملة الفرنسية - بواكير الخيانة والاختراق للأمن الوطنى والقومى والحضارى، من خلال ثغرة «الأقليات».. ولانزال نعانى من هذا «الإنجاز» الفرنسى حتى الآن.. بل إن موكب الاحتفال الحالى بحملة بونابرت إنما يشى بالامتدادات السرطانية لتراث وأفكار يعقوب اللعين!!..

● وإذا كنا نشكو من اختراق القانون الغربى لمناطق سيادة الشريعة الإسلامية.. منذ تسلل هذا القانون - فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر - إلى «المحاكم القنصلية».. ثم «المحاكم المختلطة» (١٢٩٢هـ - ١٨٧٥م).. ثم عموم بلواه فى القضاء الأهلى على يد الاستعمار الإنجليزى - وفى ظل سلطان اللورد «كرومر» (١٨٤١ - ١٩١٧م) منذ (١٣٠٠هـ - ١٨٨٣م).. فإن بواكير هذا الاختراق، الذى زاحم شريعتنا الإسلامية وفقهنا الوطنى، حتى أجلاهما عن أغلب ميادين التشريع والقضاء ببلادنا الإسلامية.. إن بواكير هذا الاختراق قد كانت من آثار الحملة الفرنسية على مصر.

فبعد هزيمة جيش الحملة، وجلائه عن مصر.. وبعد موت المعلم يعقوب اللعين - على ظهر السفينة التى أقلته مع جيش الحملة الفرنسية إلى مارسيليا - توجه رفقاء المعلم يعقوب - بقيادة «نمر أفندى» - باسم «الوفد المصرى»! - توجهوا إلى مارسيليا.. وكتبوا إلى بونابرت، يعرضون عليه العمل على إحلال القانون الفرنسى محل الشريعة الإسلامية فى مصر.. فبعد حديثهم عن «الولاء لبونابرت» تعهدوا «بالتشريع لمصر التشريعات التى ترضى عنها فرنسا..»!! معلنين بذلك ولادة التوجه الفكرى - الذى نراه الآن - الداعى إلى إلحاق مصر بأوروبا فى النظم والتشريعات.. فقالوا لبونابرت: «إن الوفد المصرى الذى فوضه المصريون الباقون على ولائهم لك، سيشرع لمصر ما ترضاه لها من نظم عندما يعود إليها من فرنسا..»(٦)!

● وإذا كنا نشكو اليوم من الاختراق الدينى، الذى تقوم به الكنائس الغربية، العاملة فى خدمة

المخططات الاستعمارية، فى قلب أفريقيا.. ومن استغلالها المشكلات الاجتماعية، والمنازعات القبلية، والكوارث الطبيعية - بل وضعها لكل ذلك - حتى تفقد الناس توازنهم، فيتم تحويلهم عن دياناتهم ومذاهبهم إلى النصرانية الغربية.. إذا كنا نشكو اليوم من هذا الاختراق النصرانى الغربى للقارة الأفريقية - حتى لقد رفعوا شعارا يقول: أفريقيا نصرانية سنة ٢٠٠٠م! - فإن بواكير هذا الاختراق هى صناعة فرنسية أيضا!..

فلقد كان إلحاق الكنيسة الأثيوبية - وهى أرثوذكسية - بالكنيسة الرومانية - الكاثوليكية - أحد أحلام لويس الرابع عشر (١٦٣٨ - ١٧١٥م) - أراد تحقيقه بواسطة بعض الأقباط المصريين - أى عن طريق اختراق الكنيسة المصرية - فلما فشل فى تحقيقه.. رأينا أتباع المعلم يعقوب اللعين يكتبون إلى وزير الخارجية الفرنسى «تاليران» (١٧٥٤ - ١٨٣٨م يتعهدون بالعمل على تحقيق مالم يستطع تحقيقه لويس الرابع عشر!.. فيقولون: «لقد كان لويس الرابع عشر يعمل فى الظاهر على ضم كنيسة أثيوبيا إلى الكنيسة الرومانية (الكاثوليكية). ولكنه كان يسعى فى الحقيقة لمد نفوذه السياسى نحو أقاليم وسط أفريقيا الجذابة الغامضة.. ومن ثم بذل عدة جهود - لم يقدر لها النجاح - لكى يتعلم فى فرنسا عدد من شباب القبط المصريين، لأن بطريرك الأقباط هو نفسه رأس الكنيسة الأثيوبية. وإذا كان الملك قد أخفق فى مسعاه، فإن الجمهورية الفرنسية اليوم - إذا أرادت - يمكنها عن طريق الأمة المصرية، التى ستكون موالية لها، مد نفوذها نحو أواسط أفريقيا.. وبذلك تحقق ما عجزت عن تحقيقه الملكية»(٧)!!

فهل بهذه الاختراقات، التى صنعها بونابرت وحملته الفرنسية، يحتفل الفرانكفونيون؟!..

وإذا قالوا: إنهم يحتفلون «بالفكر.. والثقافة»، لا «بالمدفع والبارود».. فى أى خانة نضع اختراق الوحدة الوطنية.. وبلورة تيار الإلحاق الحضارى لبلادنا بأوروبا.. واستبدال التشريع الفرنسى - قانون نابليون - بالشريعة الإسلامية.. وتحويل هوية الأمة - مسلميها ونصاراها - نحو الغرب والتغريب.. واختراق الكنيسة المصرية، للوصول عبرها إلى قلب أفريقيا.. فى أى خانة نضع هذه «الإنجازات» البونابرتية، إذا لم نضعها فى خانات «الفكر.. والثقافة»؟!.

لقد انكشفت الوجوه.. بل وشاهت هذه الوجوه!..

***

● ويزيد الطين بلة.. أن سجل العار لحملة بونابرت الفرنسية لم يقف عند هذا الذى صنعته بمصر - والذى اكتفينا فى الحديث عنه بإشارات إلى المناطق والميادين غير المطروقة وغير المشهورة، والتى قد يجادل فيها عبيد الفرنكفونية، الذين يحتفلون - فى ذكرى الاحتلال - بما يرونه «إنجازات إيجابية» لحملة نابليون.. لم يقف سجل هذا العار - الذى به يحتفلون - عند الاختراق لأمن مصر الوطنى والدينى والفكرى والثقافى.. وإنما تعداه إلى اختراق الأمن القومى العربى أيضا. ولهذا حديث قادم إن شاء الله.

الهوامش:

١ - (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار جـ٥ ص١٤٨، ١٤٩. تحقيق: حسن محمد جوهر، عمر الدسوقى، السيد إبراهيم سالم. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م.

٢ - المصدر السابق. جـ٥ ص٤.

٣ - المصدر السابق. جـ٥ ص١٣٤.

٤ - المصدر السابق. جـ٥ ص١٣٦.

٥ - د. أحمد حسين الصاوى (المعلم يعقوب بين الحقيقة والأسطورة) ص١٢٣ - ١٢٥ - ملحق رقم ٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٨٦م.

٦ - المصدر السابق. ص ١٢٩، ١٣٠ - ملحق رقم ٧.

٧ - المصدر السابق/. ص١٣١، ١٣٢ - ملحق رقم ٨ - وتاريخ هذه المذكرة ٢٣ - سبتمبر ١٨٠١م - ١٥ جمادى الأولى ١٢١٦هـ.

هدى الرسول ﷺ فى الفطور والسحور

على الطعام مدار الطب الباطنى فإذا طاب للإنسان أكله وأحسن تناوله بمقادير متناسبة وفي مواعيد محددة أمكنه أن يحفظ باطنه من العلل ويضمن له السلامة من الأوصاب. لأن المعدة بيت الداء والإسلام الحنيف عنى بصحة الأنفس والأبدان عنايته بصحة العقائد «والأديان» إذا أنه بقوة الأجسام وسلامة العقول يكون المسلم صالحا للاستخلاف فى الأرض وعمارتها. والقيام بفرائض الله وشرائعه ومن هنا فسوف نسلط الضوء على هدى رسول الله ﷺ فى الإفطار والسحور لنرى ماذا كان يفعل عند فطره؟ وماذا كان يأكل؟ ولماذا كان يعجل الفطر ويؤخر السحور؟ وما الهدف الذى كان يرمى إليه ﷺ من وراء هذا كله؟!!

صلاح حسين محمد شهاب الدين

هدى الرسول ﷺ فى الفطور:

الناظر فى هدى الرسول ﷺ عند فطره يجد عدة أمور:

أولاً: تعجيل الفطر:

فلقد كان ﷺ يعجل الفطر عقب تحقق غروب الشمس وهذا من باب شفقته ورحمته بأمته ﷺ. (لأن الإنسان بعد أداء صيام اليوم قد يعتريه فتور لايتناسب معه أداء صلاة المغرب على المخمصة، وأيضا فإن استشعار المسلم بأداء الصوم يقتضى أن يعلم انتهاء الوقت المحدد وأن يخرج من الصوم لكى يفرح بتوفيق الله له. وهذا الخروج من الصوم لا يتحقق إلا بتناول الطعام الذى كان محظورا عليه.

وورد عن رسول الله ﷺ فى فضل تعجيل الفطر العديد من الأحاديث الصحيحة منها: عن سهل بن سعد رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لايزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**». متفق عليه.

وعن ابن عطية قال: « دخلت أنا ومسروق على عائشة رضى الله عنها فقال لها مسروق: رجلان من أصحاب محمد ﷺ كلاهما لايألو عن الخير، أحدهما يعجل بالمغرب والإفطار والآخر يؤخر المغرب

والإفطار فقالت: «من يعجل المغرب والإفطار؟ قال: عبد الله - يعنى ابن مسعود - فقالت: هكذا كان رسول الله ﷺ يصنع». رواه مسلم

وعن أبى سلمة عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - **«قال الله عز وجل: أحب عبادى إلىّ أعجلهم فطراً»**. رواه أحمد

ففى هذه النصوص السابقة نرى واضحا حرص رسول الله على تعجيل الفطر حرصا على مصلحة البدن بعد طول صيام وخشية أن يؤدى التأخير فى الفطر طلبا لمزيد من الثواب أن يتطرف الناس فى التأخير شيئا بعد شئ فينتهى بهم الأمر إلى ما يشبه الوصال ويضر البدن، وهكذا تبدو عناية الإسلام واضحة بالصحة البدنية.

كما أن التعجيل مخالفة لأهل الكتاب فإنهم كانوا يؤخرون الفطر إلى اشتباك النجوم أى اختلاطها (بعد غروب الشمس). فعن أبى هريرة رضى الله عنه: أن النبى ﷺ قال: **«لايزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر لأن اليهود والنصارى يؤخرون»** (الترغيب والترهيب).

ثانيا: طعام الرسول ﷺ عند فطره:

كان طعام رسول الله ﷺ عند فطره بسيطا جدا فلقد كان فطوره ﷺ - على رطبات قليلة هذا إن وجد، وإن لم يجد فتمرات، فإن لم يجد حسا حسوات من ماء وهكذا ما سجله الحديث الشريف الذى رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى عن أنس رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلى فإن لم تكن رطبات فتمرات فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء».

وقد حث ﷺ أمته على الفطر على التمر فإن لم يكن فماء وهذا ما جاء عن سليمان بن عامر الضبى الصحابى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإن لم يجد فليفطر على ماء فإنه طهور»**. رواه الترمذى

ثالثاً: حكمة الفطر على التمر:

يقول الإمام الشوكانى فى كتابه نيل الأوطار: «وإنما شرع الإفطار بالتمر لأنه حلو وكل حلو يقوى البصر الذى يضعف بالصوم، ومن هذا يؤخذ أن أفضل الإفطار ما كان على رطب أو تمر أو غيرهما من الحلوى فإن لم يوجد ذلك فحساوات من الماء يفطر علها الصائم.

لأنه لما كانت المعدة فى حالة شبه سكون أثناء الصيام طوال النهار فإنه من الخطأ أن نملأها مرة واحدة بأنواع الأطعمة المختلفة فهذا حتما سيؤدى إلى ارتباك الهضم؛ لذلك كان من الأنسب أن نمدها بجزء قليل من المواد السكرية حتى تبدأ عملها وتنظم افرازاتها ثم بعد ذلك يقدم لها الإفطار المعتاد. كما أن التمر يحد كثيرا من نهم الصائم فلا يقبل على الطعام بعجلة ودون مضغ مما يسهل مهمة الجهاز الهضمى.

ولو أخذ الصائمون بهذه السنة النبوية عند فطرهم ما وجدنا من لا يقدر على القيام إلى الصلاة وما وجدنا فى مجتمعنا أصحاب البطون العالية الذين تمتلأ بطونهم بأنواع الأطعمة المختلفة مما يؤدى إلى ضيق التنفس وسرعة ضربات القلب بالإضافة إلى عسر الهضم وارتباك الجهاز الهضمى بل كل أجهزة الجسم بصورة عامة.

رابعا: الدعاء عند الإفطار:

فلقد ثبت أن رسول ﷺ كان يقول: **«اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت»**.

وثبت أنه ﷺ كان يقول: «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى». رواه أبو داود والنسائى عن ابن عمر.

فعلى الصائم أن يقتدى برسول الله ﷺ ففى ذلك كل الخير.

هدى الرسول ﷺ فى السحور

إذا كان رسول الله ﷺ قد عجل الفطر وحث على ذلك لما فيه من الخير والمنفعة للصائم فإنه كذلك قد حث على تأخير السحور لما فيه الخير والمنفعة والبركة للصائم.

وقد وردت فى السحور أحاديث كثيرة تشير إلى بركته وتأخيره، وأنه الفصل بيننا وبين أهل الكتاب، فعن العرباض بن سارية قال: «دعانى رسول الله ﷺ إلى السحور فى رمضان فقال: «**هلم إلى الغذاء المبارك**» رواه أبو داود. وعن عمرو بن العاص: عن رسول الله ﷺ - قال: «**فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور**» وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تسحروا فإن فى السحور بركة**». رواه البخارى، وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**السحور أكله بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة ماء فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين**». رواه أحمد.

حكمة تأخير السحور

الحكمة فى تأخير السحور أن النهار يقبل وفى المعدة من الغذاء ما يتقوى به الصائم على الطاعة بحيث لايجهده الصوم فيقعد عن فعلها ولأجل ذلك ورد في الحديث المتقدم ذكره «هلموا إلى الغذاء المبارك» فسماه غذاء لمعنيين: أحدهما لكونه يعمل ما يعمل الغذاء من التقوية للبدن. وثانيهما لقربه من محل الغذاء الذى هو النهار. وما قارب الشئ أو صاحب أوله أو لابس جزءاً منه أو سد مسده جاز أن يجرى عليه حكمه، وقد ورد أنه كان بين سحور رسول الله ﷺ وصلاته مقدار خمسين آية. أخرجه البخارى

وهكذا كله من أجل الرفقة بأمته لأنه لو لم يتسحر لاتبعوه فيشق على بعضهم، ولو تسحر فى جوف الليل لشق أيضا على بعضهم ممن يغلب عليهم النوم فقد يفضى ذلك إلى ترك صلاة الصبح أو يحتاج إلى المجاهدة بالسهر. أيضا إعطاء المعدة فرصة لهضم ما بداخلها من طعام عند الإفطار. وفيه أيضا كما تقدم تقويته على الصيام بعموم الاحتياج إلى الطعام ولو ترك لشق على بعضهم ولا سيما من كان صفراويا فقد يغشى عليه فيفضى إلى الإفطار فى رمضان.

ومن هذا كله علمنا هدى الرسول الكريم ﷺ فى فطره وفى سحوره ورأينا البساطة كل البساطة فى طعامه ﷺ سواء فى فطره أو فى سحوره الأمر الذى يدعونا إلى الاقتداء به ﷺ بدلا من التقاليد والعادات السيئة التى شاعت فى العصور المتأخرة ولا سيما فى هذا العصر الذى كثرت فيه الموائد الفاخرة والتى يوضع عليها أكثر من عشرين صنفاً من الأطعمة فيأكل الصائم ويظل يأكل حتى يؤذن المؤذن لصلاة الفجر ثم ينام طوال النهار حتى يؤذن المؤذن لصلاة المغرب ثم بعد رمضان تظهر عليه الأمراض المختلفة من ضيق التنفس والنقرس وارتفاع ضربات القلب وضغط الدم وغيرها كثير بسبب التخمة الناتجة عن كثرة الأكل فى رمضان مخالفا بذلك قول الله تعالى ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾. سورة الأعراف آية ٣١

ومخالفا قول رسول الله ﷺ «**بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه**»

حوار الأديان

خدعة أم وسيلة للتعايش السلمى

أ. د. محمد شامة

إن الحوار فى حد ذاته مطلب حيوى وضرورة قصوى، والحوار لا يكون إلا مع الأنداد، مع الأطراف التى تجمعها الرغبة المشتركة فى إجراء حوار تهدف من ورائه إلى تحقيق أهداف معلومة متفق عليها، ولايكون الحوار حوارا إذا افتقر إلى هذه الشروط، وسيصبح ضربا من العبث، أو فى أحسن الأحوال إملاء للرأى وفرضا له من طرف على طرف آخر إن لم تتوفر له هذه العناصر، وفى هذه الحالة يكون مزيفا، فاقدا للشرعية مفرغا من أية دلالة أو مضمون، اللهم إلا معنى الهيمنة والغطرسة وفرض الأمر الواقع.

فما الأسباب التى دعت الغرب، وبالأخص الكنيسة الغربية إلى طلب إجراء حوار مع المسلمين الذين يطلقون عليه اليوم: «حوار الأديان»؟

إن هذا غير واضح مطلقا، مما يثير تساؤلا عن دوافع هذا المطلب والإلحاح عليه، إن أول ما يلاحظ فى هذا الصدد أن فكرة الحوار مع الغرب انطلقت من الكنيسة (فى العقد السابع من القرن العشرين، مما جعل الحوار يصبغ بالصبغة الدينية فكان ما يعرف اليوم - ومنذ نحو نصف قرن تقريبا - بـ«الحوار الإسلامى - المسيحى»، ونتيجة لذلك أصبح كلما ذكر الحوار مع الغرب، تبادر إلى الذهن «الحوار الإسلامى - المسيحى» حتى صار عنوانا على حوار المسلمين مع الغرب.

احتل الحديث عن هذا الحوار مساحة كبيرة فى دوائر الفكر الإسلامى بعد ظهور فكرة صراع الحضارات على خريطة اهتمامات الفكر العالمى بكل أنواعه من الكلمة المكتوبة إلى الصوت المسموع إلى الصورة المرئية، وذلك بعد اتهام المسلمين بأنهم أعداء الحضارة الحديثة، مما أثار جدلا واسعا حول أطراف الصراع القادم، وتحديد الإسلام بالذات كطرف رئيسى فيه فى مواجهة الغرب!!! وتحت هذا الضغط الإعلامى - والسياسى أيضا - اندفع الفكر الإسلامى فى هذا التيار، معلنا استعداده للحوار بالشروط التى يراها الغربيون ملبية لهواهم، محاولا إقناعهم بأن الإسلام ليس من طبيعته الصدام مع الحضارات، وبالتالى فليس فى نية المسلمين الدخول فى مواجهة مع الغرب، ولذلك فهم مستعدون للحوار.. وبدأ الحوار، فعقدت العشرات من الندوات والمؤتمرات فى أماكن شتى فى أرجاء المعمورة، دون أن يعرف أحد من المسلمين المتحاورين ماهية الموضوعات التى يقوم عليها الحوار، ولا طبيعة الأهداف التى يريدون الوصول إليها، لقد عقدت حتى الآن أكثر من أربعين جولة من الحوار الإسلامى - المسيحى فى عواصم متعددة اتخذت شكل مؤتمرات، وندوات، وحلقات دراسية، ولقاءات مشتركة، وعولجت فيها قضايا هامة كان الجانب المسيحى هو الذى يختارها. ولكن لم يصل المشاركون فيها إلى نتائج ملموسة، فهى لا تعدو أن تكون اجتماعات للكلام وتبادل التحيات الرسمية.

لا يكون الحوار متكافئا إلا إذا كان بين قوتين متعادلتين، أو على الأقل بين طرفين يعترف كل

منهما بالآخر، كما لا يكون الحوار هادفا إلا إذا كان موقف كل طرف قابلا للتعديل إذا تبين لأصحابه ضرورة ذلك. فهل الحوار بين الإسلام وأهل الأديان الأخرى، أو بتعبير أدق، بين المسلمين والغرب متكافئ؟ .. لا أظن ذلك؛ لأنه حوار لصالح من بيده تحريك العالم لصالحه، وهم الغربيون، ولن يكون لصالح المسلمين؛ لأن من يدير الحوار من المسلمين لا خبرة لهم - فى الغالب الأعم - بالخلفيات الفكرية للغربيين، فليس لديهم من الخبرة والمعرفة فى هذا المجال ما يمكنهم من إدارة دفة الحوار لصالح المسلمين، ومن هنا أصبحت جلسات الحوار عبارة عن اجتماعات شكلية، وتوصيات ونتائج لا تتعدى كونها كلمات سطرت على ورق، وبالتالى فهى لقاءات فاشلة، لا فائدة فيها، اللهم إلا تعطيل المسلمين، وتضييع الوقت فى مباريات كلامية، وخطب جوفاء لا مدلول لها. هذا فيما يتعلق بالشرط الأول، وهو التكافؤ بين الطرفين. أما الشرط الثانى وهو التنازل عن بعض مسلماته، فذلك مرفوض رفضا باتا من الجانب الإسلامى، لأن الأديان بالنسبة لأصحابها حقائق مطلقة، لا يجوز تعديلها، أو التنازل عنها، فالانتقاص من الإيمان، ولو قيد شعرة أو أكثر، يخل به، ويفقده حقيقته، وبالتالى لا يكون إيمانا، فهل عند الغربيين استعداد للتحاور بالندية والمساواة لا أظن ذلك، بل العكس هو الصحيح؛ إذ هم ينتظرون من المسلمين أن يتنازلوا عن بعض مسلماتهم، كما حدث واضحا فى إحدى ندوات الحوار التى عقدت بالقاهرة؛ إذ اعترض المشاركون فى الندوة على تركيز المسلمين على موضوع القدس، وهو من المقدسات الإسلامية، كما أنكر بعضهم وصف الإسلام بالربانية، وأصروا على موقفهم إزاء الإسلام، من ناحية أن محمدا ﷺ ليس نبيا، ولا كتابه كتاب إلهى فكيف يقوم حوار دينى مع هؤلاء؟ إن أقل ما يوصف به مثل هذا العمل - وهو الحوار بين الأديان - هو أنه عبث، وعمل ينخدع به البسطاء.

قد يكون من المحتم علينا - وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م - أن نتصل بغير المسلمين لنشرح لهم تعاليم الإسلام، فذلك واجب فرضه الإسلام علينا، وهو تبليغ الدعوة إلى الله لغير المسلمين بأسلوب حسن كما قال تعالى: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾** النحل: آية ١٢٥، فهل يوجد لدى الغربيين استعداد لفتح آذانهم لما نقول، والتفكير فيه؟، أو هل نجد رغبة عندهم لمناقشة ما يدعو إليه الإسلام من ضرورة الإلتزام بالحق، ومساندة الضعفاء، والوقوف صفا واحد ضد المعتدين والمفسدين فى الأرض؟، يقول الله تعالى: **﴿قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله﴾** ، فإن أبوا وتمادوا فى إنكارهم فلا تجبروهم على ذلك، بل وجهوا لهم هذا القول: **﴿فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾** آل عمران: آية ٦٤، ثم ادعوهم إلى مبادئ الحق العامة، وهى إحقاق الحق والإلتزام بما يحقق الأمن والسلام للمجتمع الإنسانى، يقول الله تعالى: **﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون* ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾** الأنعام: الآيتان ١٥١، ١٥٢.

فليس هناك إجبار لأحد على الدخول في الإسلام، ولا ترويع لمن لم يؤمن بالإسلام مادام ملتزما بقواعد الأمن والسلام لمن يعيشون معه فى المجتمع الإقليمى أو في المجتمع الإنسانى، بل إن الإسلام يأمر المسلمين باحترام العقائد الأخرى، ويتركون كلا على دينه، وإن اختلف فى أسسه وتعاليمه مع الإسلام، يقول تعالى: **﴿لكم دينكم ولى**

دين﴾ الكافرون: آية ٦، فهذه الآية تدل على أن المسلمين يطلقون على العقائد الأخرى - حتى وإن كانت كفرا أو شركا - دينا، فهل يعترف الغرب بالإسلام دينا؟

إن أول مبادئ الحوار مع هؤلاء في العصر الحاضر أن يعترفوا بالإسلام دينا، وإن لم يؤمنوا به، كما يسمى المسلمون العقائد الأخرى أديانا، فإذا تعذر ذلك الأمر وأرادوا إجراء حوار لمنع المواجهة المسلحة بينهم وبين المسلمين، ولإرساء قواعد ومبادئ للتعايش السلمى بين الناس جميعا، فالإسلام يرحب بذلك، بل إنه دعا المسلمين فى كتابه العزيز إلي مخاطبة الناس بالحسنى، يقول الله تعالى: **﴿وقولوا للناس حسنا﴾** البقرة: آية ٨٣، ولكن لا يكون الحوار مجرد لقاءات عامة، يراد بها خداع المسلمين، ومناقشات جوفاء لا طائل من ورائها، وبيانات رنانة تعيش فى أوهامها الجماهير، فلابد من وضع قواعد يلتزم بها المتحاورون، ويعلنون إيمانهم بها علي جماهيرهم، ومن أهم هذه القواعد.

١ - الاعتراف بالأصل الواحد للخليقة كلها، كما قال تعالى: **﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾** النساء: آية ١، فلا يتعالي جنس على آخر، ولا يفضل شعب على شعب بسبب اللون، أو الجنس، أو العقيدة، أو بسبب قدراته العسكرية، أو الاقتصادية، أو العلمية والثقافية.

٢ - الإيمان بأن الله كرم الإنسان، يقول تعالي: **﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾** الإسراء: آية ٧٠، فلا ينبغى أن يهان إنسان، أو يذل مهما كان موطنه، ولابد أن تكف وسائل الإعلام عن الاستهزاء بثقافة أى شعب، وأن يمتنع الساسة والمفكرون عن التلميح، - أو التصريح - بدونية ثقافة غيرهم، أو باستعلاء ثقافتهم على غيرها من ثقافات الأمم.

٣ - احترام خصوصية كل شعب، يقول الله تعالى: **﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا..﴾** الحجرات: آية ١٣، فالاتصال الثقافى يجب أن يقوم على أساس تبادل المعلومات والخبرات، لا بقصد هيمنة ثقافة على أخرى، أو فرض تقاليد شعب علي آخر.

٤ - الاعتراف بالآخر، يقول الله تعالى: **﴿لكم دينكم ولى دين﴾** الكافرون: آية ٦، فكما يعترف الإسلام بالعقائد الأخرى كدين، وإن لم تكن سماوية، وتختلف مع الإسلام اختلافا جذريا في العقائد والأحكام، فينبغى علي الآخرين أن يعترفوا بالإسلام كدين، وإن لم يؤمنوا به، لأن الاعتراف بالآخر يشعره بأنه متكافئ في الحوار مع من يحاوره.

٥ - حرية العقيدة، يقول تعالى: **﴿لا إكراه فى الدين﴾** البقرة: آية ٢٥٦، فلا يجوز لأحد أن يفرض عقيدته على الآخرين بالقوة، بل يترك الأمر للناس، يعتنقون ما يرونه صحيحا، دون ضغط من أى نوع.

٦ - العدل، يقول تعالى: **﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾** المائدة: آية ٨، ومن مقتضيات العدل حق كل شعب فى أن يعيش فى وطنه دون اعتداء عليه من أى نوع، أو محاولة للسيطرة على مقاليد أموره.

٧ - حرية التعبير، لأن التقييد فى هذا المجال يزيد الأمور غموضا، فلا يعرف ما يكنه البعض للآخر، وبذلك تنمو الدسائس والفتن.

٨ - المساواة، فلا فضل لأحد على آخر، وذلك يقتضى الاعتراف بحق كل شعب فى الموارد الطبيعية فى أرضه، فلا استغلال، ولا احتكار، وإنما تعاون بين الناس على تنمية الموارد، بحيث ينال كل ما يضمن له حياة كريمة، تليق بالإنسان الذى كرمه الله.

هذه هى أهم القواعد الأساسية التى يجب على المتحاورين الاعتراف بها، وإعلان هذا الاعتراف على الملأ ثم يبدأ الحوار بين الأطراف للوصول إلى صياغتها فى مبادئ عامة يلتزم بها الجميع بتطبيقها بكل الوسائل حتى وإن اقتضى الأمر إنشاء تحالف دولى لفرضها بالقوة على من يرفضها.

وبغير ذلك يكون حوار الأديان خدعة للمسلمين، وتبديدا لجهودهم، ومضيعة لوقتهم.

فى ندوة حول «حوار الحضارات»

أطروحة صدام الحضارات كونت صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين فى مخيلة العقل الغربى

فى رحاب جامعة القاهرة وفى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ذلك المعهد العلمى الذى أخذ من عمر الزمان أربعين عاما من العطاء الفياض، ومازال يواصل عطاءه العلمى المتدفق، عقدت ندوة حول حوار الحضارات، وهو موضوع شديد الأهمية بالغ الحيوية يفرض نفسه على ساحة الفكر والواقع، وتتجلى آثاره فى شتى مناحى الحياة حولنا: الاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والعلاقات الدولية.

وقد كان من شأن هذا الموضوع أن تتعدد حوله الاجتهادات وتختلف الرؤى، وهذا أمر طبيعى نظرا لطبيعة الموضوع ذاته.

تابع الندوة:
حسن أحمد خليل

فعلى مدار يومى ٢٣ ـ ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٢م عقدت الكلية ندوة حول حوار الحضارات، فمن خلال خمس جلسات عمل وحلقة ختامية نقاشية تمت مناقشة عدة محاور شارك فيها ما يقرب من عشرين متحدثا من أساتذة الكلية وغيرهم من المفكرين والمشتغلين بالسلك الدبلوماسى، وقد دارت وقائع الندوة على النحو التالى:

جلسة الافتتاح:

افتتح أعمال الندوة الأستاذ الدكتور مصطفى علوى ـ وكيل الكلية والمشرف على الندوة ـ حيث أوضح سيادته أن هذه الندوة تنطلق من اقتناع الكلية بضرورة الحوار بين الحضارات وأهميته، وهو جزء من موقف أعم بأن ثمة حضارة إنسانية عامة لها روافد واحدة تصب فيها، وتخدمها فى كل وقت وآن.

وفلسفة الندوة هى خطورة الاعتقاد بفكرة صدام الحضارات وهذه الخطورة ربما تزداد فى ضوء الأحداث وآخرها أحداث ١١ سبتمبر.

ثم تحدث الأستاذ الدكتور/ كمال المنوفى عميد الكلية موضحا أن الحوار بين بنى الإنسان من مقتضيات الفطرة السليمة، فالإنسان لم يخلق للدعة والراحة، بل لعمران الأرض، وهذا يستلزم المعيشة بين جماعات ولابد من حوار مع هذه الجماعات، وفى خضم التفاعل الحضارى بين الإسلام والغرب تبلور ـ وللأسف ـ تيار استشراقى معاد للإسلام والمسلمين قدم صورة سيئة للإسلام والمسلمين فى مخيلة العقل الغربى، ووصف العرب أنهم إرهابيون وهمج من منطلق أنهم مسلمون، وتمثل ذلك بوضوح فى الصورة السلبية التى قدمتها أطروحة هنتنجتون حول صدام الحضارات، وقد خفتت هذه الأطروحة بإعلان الرئيس خاتمى لحوار الحضارات، وتبنى الأمم المتحدة لقضية حوار الحضارات، ولكن أحداث الحادى عشر من سبتمبر أعادت أطروحة صراع الحضارات من جديد، ثم تحدث سيادته عن بعض الإشكاليات ومنها: مفهوم الحوار ـ أهداف الحوار وشروطه ـ وقضايا الحوار.

وقد ألقى المحاضرة الرئيسية للندوة الأستاذ

مكتبة الإسكندرية صورة من صور التواصل الثقافى والحضارى بين الحضارات

د. محمود حمدى زقزوق:

الدكتور/ محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية حيث أوضح أن موضوع حوار الحضارات من الموضوعات الملحة والمهمة والمطروحة على الساحة العالمية، وذلك جنبا إلى جنب مع دعوة صموئيل هنتنجتون حول صدام الحضارات، وما تحقق لها من دعاية إعلامية، ولعل ما نسمعه من طبول الحرب الآن هو ترجمة حقيقية لنظرية صدام الحضارات، ومعها نظرية نهاية التاريخ لفوكوياما، وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، لقد أصبحت النظرة للإسلام على أنه العدو البديل أو العدو الأخضر بعد سقوط الاتحاد السوفييتى، فالصورة قد تبدو قاتمة ممثلة فى التبلد العالمى تجاه ما يحدث فى كثير من بلدان العالم الإسلامى.

ثم ذكر سيادته أن الحضارة فى جوهرها هى تعبير عن أرقى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان، فهى فى حد ذاتها تعلم التسامح وقبول الآخر ورفض الاستعلاء عليه، وتؤكد على المعنى الإنسانى وتضعه فى أولى اهتماماتها، ومن ثم فلا مكان لما يسمى بالصراع أو الصدام بين الحضارات، فالصراع ليس بالضرورة أن يكون بين حضارتين بل قد يقع بين أبناء الحضارة الواحدة، وأوضح الأمثلة على ذلك ما حدث فى الحضارة الغربية من حربين عالميتين أزهقت فيهما أرواح خمسين مليونا، وذلك يهدم نظرية صراع الحضارات، فالذين سقطوا فى الحروب التى دارت بين الشرق والغرب أقل بكثير عن هذا العدد.

وأوضح سيادته أن المسلمين كانوا منفتحين على الحضارة الغربية فنجد ابن رشد فى كتابه فصل المقال يقول: «.. فقد يجب علينا إن ألفينا لمن تقدم من الأمم السالفة نظرا فى الموجودات واعتبارا لها، بحسب ما اقتضته شرائط البرهان، أن ننظر فى الذى قالوه من ذلك، وما أثبتوه فى كتبهم، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه، وحذرنا منه، وعذرناهم، فقد تبين من هذا أن النظر فى كتب القدماء واجب بالشرع إذ كان مغزاهم فى كتبهم ومقصدهم هو المقصد الذى حثنا الشرع عليه».

فالغرب أول ما عرف الفلسفة اليونانية عرفها عن طريق الفلسفة الإسلامية التى حفظت الفلسفة اليونانية وصانتها من الضياع وترجمتها إلى العربية ومنها ترجمها الغرب إلى اللاتينية، فقد عاشت الحضارة الإسلامية فى أوروبا فى الأندلس قرابة ثمانية قرون، قدمت فيها لأوروبا خدمات جليلة ساهمت فى نهضتها الحديثة، فالصدام أو الصراع لم يكن هو القاعدة بين الغرب والإسلام، فالتواصل الثقافى كان قائما ومازال متواصلا، ولعل فى افتتاح مكتبة الإسكندرية ـ وهى بمثابة نافذة لمصر على العالم، ونافذة للعالم على الثقافة العربية الإسلامية وعلى مصر بصفة خاصة ـ فهى صورة من صور التواصل الثقافى الحضارى بين الحضارة الإسلامية والغربية، وعن العقبات التى تقف فى سبيل الحوار بين الحضارة الإسلامية والغربية قال سيادته: إن منها الصور المشوهة لكل من الحضارتين فى عقل وفكر الآخر، ومنها فكر العولمة والهيمنة ومحاولة فرض ذلك على الآخر؛ لأن لكل حضارة بصمتها الخاصة بها، ولا توجد حضارة عريقة نمت بدون أن تستفيد من الحضارات الأخرى، وفى أوروبا الآن أصوات وجهود ترفض ما يسمى بصدام الحضارات، ولكن للأسف صوت القائلين بالصدام أعلى من غيرهم بفضل الدعاية الإعلامية التى تقف

وتدفع القائلين بصدام الحضارات كصموئيل هنتنجتون؛ وليتم الحوار بين الحضارات ومنها الإسلامية والغربية، لابد من البحث عن القواسم المشتركة بين الحضارتين لا عن قواسم النزاع، فبينهما قاسم مشترك وهو أن دين كل منهما (المسيحية والإسلام) دين سماوى يؤكد على الرحمة والسماحة والسمو بالإنسان، فعالم صدام الحضارات عالم لا مستقبل له، فالصدام الذى يراه هنتنجتون هو صدام صنعه المتطرفون وروجوا له، ولا مستقبل له؛ لأنه أشبه بالتقرير الأمنى لا بالعمل العلمى.

فالحوار بين الحضارات ضرورة ملحة، فلا بديل عنه إلا الحرب وكوارث على البشرية لا نهاية لها.

فيجب علينا أن نفكر فى مستقبل الأجيال القادمة، فلا ذنب لها حتى تولد فى عالم ملىء بالصراع والصدام.

فى الجلسة الأولى والتى رأسها الدكتور حسن حنفى - أستاذ الفلسفة بآداب القاهرة - وكان محور هذه الجلسة هو «مفهوم حوار الحضارات».

تحدث فى هذه الجلسة الأستاذ محمد سيد أحمد الكاتب بالأهرام والأستاذة الدكتورة نادية مصطفى - الأستاذة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - وعقب على الجلسة أ. د. على ليلة - أستاذ الاجتماع بجامعة عين شمس - فقد قدم المتحدث أ. محمد سيد أحمد قراءة غربية لمفهوم حوار الحضارات حيث أوضح سيادته أنه ليس هناك فى العالم الغربى شىء قائم وقابل للتعريف بـ«حوار الحضارات»، بل هناك شىء آخر هو ما أسماه هنتنجتون بـ«صدام الحضارات»، وأثار ما قاله فى هذا الصدد ضجة عالمية.. ذلك أنه قد تحدث، منذ أكثر من عقد من الزمان عن حتمية وقوع صدام بين الحضارة الغربية وحضارات أخرى.. وربما بالذات الحضارة الإسلامية.. وهاهى شواهد كثيرة توحى بأن الصدام واقع فعلا، وكان لهذا الذى بدا نبوءة ردود أفعال حادة، منها أطروحات تقول إن الحضارات لا تتصادم، أو ليس محكوما عليها حتما أن تتصادم، وإنما من الممكن أن تتواصل وتتحاور، وهكذا طرحت فى العالمين العربى والإسلامى وربما بالذات فى الدوائر القريبة من خاتمى فى إيران فكرة حوار الحضارات كرد فعل لأطروحة «صدام الحضارات» التى تقدم بها هنتنجتون كان لفكرة صدام الحضارات دوى هائل فى الغرب.. وفكرة حوار الحضارات من وجهة نظر الغرب مطروحة فقط بصفتها رد فعل غربى على رد الفعل العربى والإسلامى للفكرة التى راجت فى الغرب عن صدام الحضارات.

> **أ. محمد سيد أحمد:**
>
> **الإسلام يؤكد أن الحضارات لا تتصادم بل تتفاعل وتتواصل**

ثم تحدثت فى نفس الجلسة الدكتورة نادية مصطفى حيث قدمت قراءة عربية لمفهوم الحوار موضحة أن مفهوم الحضارات بات يمثل غموضا فى دائرة الأدبيات العربية، فتشخيص حالة مفهوم الحضارات فى الدائرة العربية يتمثل فى نقطتين: هل العلاقات الحضارية على مستوى وزن العلاقات الاستراتيجية الاقتصادية الأخرى؛ وهل هى حالة صراع أم حوار؟ والثانية قضايا الحوار ومن يحاور من؟

فالحديث عن حوار الحضارات منذ العقد الماضى وحتى الآن وُلد فى محاولة للتصدى لمقولة الصراع أو الصدام بين الحضارات، والجدال حول هل هناك حوار أولا جاء على حساب الأجندة التى تعد لحوار الحضارات فرؤيتى لحوار الحضارات أو صراعها هو مجال أساسى للعلاقات الدولية لأسباب من أهمها أنه بعد هيمنة الغرب عسكريا وعلميا وتكنولوجيا

واقتصاديا، أصبح الاهتمام بالهيمنة الحضارية الثقافية، فنظرية هينتنجتون هى تطور فى التعبير فى الرؤى، فهو تعبير عن آلية هجومية.

وقد عقب الأستاذ الدكتور على ليلة موضحا مفهوم الحضارة ومفهوم الحوار وفرضياته وشروط الحوار السوى، مبينا الفرق بين الحضارة والثقافة وأن الحوار هو إطار شامل ينطلق منه الأسلوب الجمعى، ومن شروطه أن يكون شاملا لكل المجالات لكى توجد حالة من الانفتاح الحضارى وأن يؤكد التعددية وقبول الآخر والتأكيد على التداول الحضارى وتجنب سلوك الإقصاء الحضارى والاستعلاء وأن يمتاز بالتسامح والتخلى عن أية أحكام مسبقة وأن يكون لدى المتحاورين رغبة فى التحاور من أجل الوصول إلى حوار حضارى يأتى بثماره المرجوة.

د. نادية مصطفى:

مفهوم حوار الحضارات بات غامضا فى دائرة الأدبيات العربية

أما الجلسة الثانية: فكانت تحت عنوان الإرهاب كبعد من الأبعاد السياسية لحوار الحضارات، ورأس هذه الجلسة أ. د. حسن نافعة ـ الأستاذ بكلية الاقتصاد ـ.

وتحدث فيها اللواء دكتور أحمد عبدالحليم حيث قدم رؤية غربية للإرهاب موضحا أن الإرهاب وفقا لمبادئ العدالة والقانون الدولى هو فعل جرمى غير مشروع سواء كانت الجهة التى تمارسه دولة أو تنظيم أو جماعة، وبالتالى فإن العمل الإرهابى لا تنتفى عنه صفة الإرهاب عندما تمارسه دولة أو جهاز من أجهزتها غير أن البعض يفرض مفهوما مغايرا فى هذا الشأن، فعندما يتعلق الأمر بعمل من أعمال المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلى للأراضى الفلسطينية يكون العمل إرهابيا والجهة التى نفذته مجموعة إرهابية وإذا دعمت إحدى الدول حركات التحرر والمقاومة تكون هذه الدولة داعمة أو راعية للإرهاب.

وقد عرض سيادته صورا لأشكال الإرهاب.

ثم تحدث الأستاذ الدكتور مصطفى علوى مقدما الرؤية العربية لظاهرة الإرهاب موضحا أن اتهام الإسلام بالإرهاب يضر بالمصالح العربية وبالقضية الفلسطينية ويؤدى إلى تأثيرات سلبية فى العلاقات العربية الغربية، فخلط الإرهاب بحق تقرير المصير وحق المقاومة المشروعة ضد قوات الاحتلال أضر بالكفاح الوطنى الفلسطينى، وكذلك إدراج منظمات المقاومة الفلسطينية واللبنانية على لائحة المنظمات الإرهابية، بالرغم من الرفض الفلسطينى والعربى القاطع لوصف منظمات المقاومة بالإرهابية، بعد أن اتجهت السلطة الفلسطينية والدول العربية إلى إدانة أعمال العنف التى يرتكبها فلسطينيون ضد مدنيين إسرائيليين داخل إسرائيل واعتبارها أعمالا إرهابية غير مشروعة فمازال هناك افتراء ضد المسلمين، وفى مقابل اعتبار العنف الإسرائيلى ضد الفلسطينيين فى غزة والضفة الغربية إرهابا غير مشروع أيضا، وكان من المنتظر والمتوقع عربيا أن يحدث التغير فى الموقف العربى والمتمثل فى إدانة أعمال الإرهاب ضد المدنيين على الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى رد فعل إيجابى لدى الغرب وإسرائيل، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث، بل استمرت أعمال القتل والاغتيال من جانب قوات الاحتلال الإسرائيلى ليس فقط لنشطاء الانتفاضة بل لمدنيين فلسطينيين عزل غير مسلحين بما فيهم أطفال رضع ونساء، كما استمرت أعمال القمع والحصار وحظر التجوال وتدمير المنازل وتجريف الأراضى وتدمير البنية التحتية وتقويض السلطة الوطنية الفلسطينية.

وراء الأخبار

منير بيومى

نشاط مكثف للدعوة الإسلامية خلال شهر رمضان

العلماء والمفكرون يلتقون بالجماهير في ملتقى الفكر الإسلامى

يحفل شهر رمضان المبارك بالعديد من الملتقيات الدينية والفكرية من خلال ملتقى الفكر الإسلامى الذى تنظمه وزارة الأوقاف بالسرادق المقام بساحة الإمام الحسين والمساجد الكبرى بالقاهرة والمحافظات.

يفتتح أعمال الملتقى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر.

صرح بذلك الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وأكد أن الملتقى هذا العام سيحاضر فيه كبار العلماء والمسئولون والمفكرون على مدار ٢٣ يوما تبدأ من اليوم الثانى من الشهر المبارك وتنتهى فى الرابع والعشرين منه وسيناقشون مع جموع المواطنين استفساراتهم حول القضايا والمشكلات الاجتماعية والفقهية والدينية.

وأضاف وزير الأوقاف أن من العلماء الذين سيلتقون بالجماهير فضيلة الدكتور أحمد الطيب - مفتى الجمهورية - والدكتور أحمد عمر هاشم - رئيس جامعة الأزهر - والشيخ محمود عاشور - وكيل الأزهر - والدكتور محمد عمارة، والدكتور علىّ الدين هلال - وزير الشباب - والدكتور أسامة الباز - المستشار السياسى لرئيس الجمهورية - والدكتور عبدالرحيم شحاتة - محافظ القاهرة - والمستشار عدلى حسين - محافظ القليوبية - والدكتور مفيد شهاب - وزير التعليم العالى - والدكتور أحمد كمال أبو المجد - وزير الإعلام الأسبق - كما يشهد الملتقى الاحتفالات بغزوة بدر، وفتح مكة والعاشر من رمضان.

وأضاف وزير الأوقاف أن الملتقيات تمتد إلى المساجد الحيوية فى المحافظات حيث تم اختيار عشرة مساجد كبرى فى محافظة القاهرة وأربعة مساجد فى مديرية أوقاف الجيزة وتسعة مساجد بمحافظات الوجه البحرى وسبعة مساجد فى محافظات الوجه القبلى.

كما اعتمد وزير الأوقاف المساجد التى تقام فيها صلاة التراويح بجزء كامل من القرآن الكريم، وأعلن أن النشاط فى الملتقيات سيبدأ بعد صلاة التراويح كل ليلة ويبدأ بتلاوة القرآن الكريم من أحد مشاهير القراء وندوة دينية لاثنين من كبار المفكرين ورؤساء الجامعات والخبراء وعلماء الأزهر الشريف.

وأشار الوزير أن المساجد الرئيسية الخالية من الملتقيات الفكرية ستنظم بها ندوات كل ليلة بعد صلاة التراويح يحاضر فيها كبار المفكرين ورجال الدعوة من الأزهر الشريف.

وأضاف الوزير أن الخطة تشمل تنظيم محاضرات متميزة بعد صلاة العصر من الدعاة

المتازين بالمساجد المهمة بالمدن الكبرى كل أسبوع وتنظيم محاضرات دينية بعد صلاة التراويح بمراكز الشباب بواقع محاضرة أسبوعيا تتناول مشكلات وقضايا الشباب وتصحيح المفاهيم عن الإسلام، كما تتضمن الخطة تنظيم محاضرات دينية بجمعيات الشبان المسلمين بالمحافظات أسبوعيا تتناول التعريف بحقائق الإسلام وسماحته وتبصير الشباب بما لهم وما عليهم تجاه دينهم ووطنهم فى إطار مبادئ وسماحة الإسلام.

كما يتم تنظيم ندوات للضباط والجنود والمدنيين بفرق الأمن بعاصمة المحافظات أسبوعيا، إضافة إلى تنظيم ندوات للمسجونين تهتم بمعالجة القضايا المتصلة بظروفهم النفسية والسلوكية بهدف التقويم والإصلاح بواقع محاضرة كل أسبوع، وبالنسبة لدور الرعاية الاجتماعية تنظم محاضرة أسبوعية لمعالجة قضايا النزلاء المتصلة بظروفهم النفسية والسلوكية لتقويمهم وإصلاحهم، وبالنسبة للشركات والمصانع الكبرى تعقد ندوة شهرية فى كل موقع.

دروس يومية بالمساجد ومراكز الشباب وفرق الأمن والشركات

كما وافق وزير الأوقاف على أداء الدروس اليومية فى جميع المساجد بعد صلاة العصر بدلا من أدائها بعد المغرب على أن يستمر لقاء الإثنين بعد صلاة العصر، وأن تعقد دروس للسيدات فى المساجد التى يرتدنه على أن تختار المديريات الوقت المناسب لأدائها.

تحت رعاية الرئيس مبارك

المسابقة العالمية العاشرة فى حفظ القرآن وتجويده

تفضل الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية بوضع المسابقة العالمية العاشرة لحفظ القرآن الكريم وتجويده والتى ستبدأ أعمالها يوم السبت ١٨ رمضان ١٤٢٣ الموافق ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٢م تحت رعاية سيادته.

المسابقة تنظمها وزارة الأوقاف بالتنسيق مع الأزهر الشريف سنويا، وتضم المسابقة خمسة فروع هى:

الفرع الأول: حفظ كامل للقرآن الكريم مع التجويد والترتيل، وتفسير الجزء الرابع والعشرين منه (من أول سورة الزمر إلى نهاية سورة فصلت).

والفرع الثانى: حفظ كامل للقرآن الكريم مع التجويد والترتيل.

والفرع الثالث: حفظ نصف القرآن الكريم مع التجويد والترتيل.

والفرع الرابع: حفظ ربع القرآن الكريم مع التجويد والترتيل وحسن الصوت.

والفرع الخامس: حفظ ستة أجزاء من القرآن الكريم هى الجزء ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠ فى الدول الناطقة بغير اللغة العربية ومن غير الدارسين بالأزهر الشريف.

مجمع البحوث الإسلامية يوافق على كتاب استشراقى يطالب الغرب بفهم حقائق الإسلام ويرفض كتابا ينفى فرضية الجهاد

وافق مجمع البحوث الإسلامية على تداول كتاب استشراقى انجليزى يطالب الغرب بفهم الإسلام ويدعو أوروبا المسيحية إلى إعطاء الإسلام الاعتبار الذى هو جدير به كدين يلبى حاجات المجتمع.

وقال الشيخ سيدوف أبو عجوز الأمين العام للمجمع أن تقرير المجمع أوضح أن الكتاب يدعو إلى عدم الانغلاق وضرورة خروج المسيحية الأوروبية من فكرة أنها الدين الوحيد الجدير بالاعتبار. كما يؤكد أن القرآن وحى صادر عن الله وليس نتاج تفكير محمد ﷺ بينما معنى الوحى فى العهد القديم والعهد الجديد هو اعتقاد الذين كتبوه بأن مايكتبونه إنما هو كلام الله.

ويدافع الكتاب - كما جاء فى التقرير - عن عالمية الإسلام وعن وجود عقلية إسلامية عامة تسود الشعوب المختلفة التى اعتنقت الإسلام، ويرى أن هذه العقلية الإسلامية العامة هى من آثار القرآن الذى مثل المحور والمركز فى الحياة والثقافة الإسلامية.

ومن ناحية أخرى رفض مجمع البحوث الإسلامية تداول كتاب لادعائه بعدم فرضية الجهاد وأن السلام الذى وصفت به الأمة الإسلامية يقتضى منه عدم الخوض فى الجهاد والاستسلام للواقع وكذلك لدعوته بضرورة تغيير التوجيه الدينى. وأضاف تقرير المجمع أن الكتاب فى بدايته يدافع عن الإسلام ويؤكد أن أحداث ١١ سبتمبر أوجدت خلطا خاطئا فى الغرب حول العقيدة الإسلامية والحكم عليها بتصرفات بعض المنتسبين إليها وأن العالم بحاجة الآن إلى استعادة توازنه الذهنى من خلال ما يزخر به الإسلام من كنوز الحكمة فى التعامل.

وعلى الرغم من قيام المؤلف بالدفاع عن الإسلام إلا أنه أهدر قيما وتعاليم إسلامية بل وأنكر معلوما من الدين بالضرورة حتى تحدث عن الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر بطريقة تهدر قيمة الجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس، وأكد أن على المسلمين عدم الخوض فى دعاوى الجهاد والاستشهاد كما جعل الكاتب الأحكام الشرعية فى الإسلام أمرا لا ينبغى على الدولة تطبيقها وأنه لا داعى لوجود المحاكم الشرعية، وأنه لايوجد داع أو حاجة لأن يشغل الفقهاء أنفسهم بقضايا الدفاع عن الإسلام الذى لا يحتاج دفاعا من أحد.

برامج حول الإسلام والحج فى قناة تليفزيونية بريطانية

القناة الرابعة إحدى القنوات التليفزيونية البريطانية تستعد لإعداد مجموعة من الأفلام والبرامج حول الإسلام، وستكون تغطية فعاليات وشعائر الحج أهم جزء فى هذه البرامج التصويرية هذا العام من حيث المراحل المختلفة لمناسك الحج وسيتم بثها ليلا، كما ستركز هذه الأفلام على نقل تجارب مجموعات من الحجاج وعرض آرائهم خلال المناسك، وذكرت صحيفة «مسلم نيوز» البريطانية التى ستشارك فى إنتاج هذه الأفلام: أن الهدف من هذه الأفلام هو إلقاء الضوء على مناسك الحج كتجربة شخصية فى مستوييها البشرى والروحى كذا محاولة اكتشاف الدوافع التى تقف وراء تأدية هذه الفريضة والأهم من ذلك كيف يؤثر الحج فى تغيير حياة الكثير من الناس.

انتهى من إعدادها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مكتبة إسلامية بمختلف اللغات على شبكة الإنترنت

انتهى مركز الدراسات والموسوعات الإسلامية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية من إعداد برامج المكتبة الإلكترونية لوضعها على الموقع الخاص بالمجلس على شبكة الإنترنت وبثها على المشتركين فى الشبكة من كل أنحاء العالم.

صرح بذلك د. محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

وأوضح د. السيد الشاهد ـ المشرف على مركز الدراسات بأن المركز مهمته التعريف بالإسلام بلغات متعددة والرد على ما ينشر عبر الإنترنت من شبهات حول الإسلام ويتم البث من خلال الموقع على تسعة محاور رئيسية هى التعريف بالإسلام، أركان الإسلام، شعائر الإسلام، التاريخ الإسلامى، الموسوعة، العقيدة، التشريع الإسلامى، قصص الأنبياء.

وقال إنه يوجد داخل وحدة الإنترنت الخاصة بالمجلس قسمان للبحث أحدهما جغرافى، والآخر موضوعى علاوة على جانب آخر لترجمة الكتب الإسلامية وعرضها من خلال الموقع بما يشكل مكتبة ثقافية وقد تم بالفعل وضع عدة كتب لكبار مؤلفى الإسلام على هذا الموقع

وزارة الحج السعودية تعلن الشروط والضوابط الجديدة للموسم هذا العام

حددت وزارة الحج السعودية التعليمات والضوابط التى يجب أن يتبعها الحجاج وبعثات الحج والخدمات التى يحصلون عليها فى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة والمدينة المنورة وفى منافذ الدخول الجوية والبحرية والبرية، كما حددت مواعيد السفر والعودة بعد أداء مناسك الحج وأجور الخدمات والنقل فى مختلف مناطق الحج، مؤكدة على ضرورة توعية الدول للحجاج وإرشادهم بكيفية أداء المناسك بأسلوب صحيح وأن يدركوا واجبهم نحو الديار المقدسة، وقد أشارت تلك التعليمات إلى ما أكدته وزارة الداخلية السعودية بحظر استغلال شعائر الحج بحمل صور ومنشورات ذات هدف سياسى أو دعائى، ومن يخالف ذلك سيتعرض للجزاءات الرادعة وستتم إعادته لبلاده.

وتبلغ الأجور التى يدفعها كل حاج مقابل خدمات مؤسسات الطوافة ومكتب الوكلاء الموحد ومكتب الزمامة ٢٩٤ ريالا بينما تبلغ أجور سكن الخيمة بمنى وعرفات ٣٠٠ ريال، ويدفع الحاج الذى يرغب فى زيارة المدينة المنورة ٥٩٤ ريالا، بينما يدفع ٣٤٥ ريالا أجورا للنقل من جدة إلى المدينة المنورة ثم إلى مكة المكرمة، ومنها إلى المشاعر المقدسة ثم إلى مكة ومن مكة إلى جدة، بينما يدفع الحاج الذى يرغب فى أداء العمرة ثم الذهاب لزيارة المدينة المنورة والعودة بعدها إلى مكة ومنها إلى المشاعر المقدسة ثم العودة إلى مكة ومنها إلى جدة ٤٩٥ ريالا.

أما الحاج الذى يرغب فى زيارة المدينة المنورة قبل الحج بالطائرة والعودة إلى مكة بالحافلة يدفع ٣٤٧,٥ ريال فقط فى حين يدفع الحاج القادم إلى جدة ويرغب النقل إلى مكة المكرمة ومنها إلى المشاعر المقدسة دون زيارة المدينة المنورة ٢٤٠ ريالا، أما الحجاج القادمون عن طريق مطار المدينة المنورة فمكة المكرمة والمشاعر المقدسة ثم مكة المكرمة ومنها إلى جدة.

قطوف

شهر الهدى والفرقان

﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾ البقرة: آية ١٨٥.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به والصيام جنة (أى وقاية من النار والمعاصى) فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إنى صائم. والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربه فرح بصومه» متفق عليه.

خضرة رشاد

قصة آية

قال الله تعالى: **﴿لله مافى السموات ومافى الأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير﴾** البقرة: آية ٢٨٤.

لما نزلت هذه الآية أقبل أصحاب رسول الله ﷺ إليه جثوا على الركب وقالوا: يارسول الله كلفنا بالصلاة وبالصيام والصدقة فأطقنا، أما هذه فالتى لا نطيق. فقال لهم رسول الله ﷺ: **«لا تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا».**

فلما قالوها وزلت بها ألسنتهم - أنزل الله تعالى **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾** البقرة: آية ٢٨٥.

إذ نسخ الله الآية السابقة وجعل الحساب على الفعل إذ أخرج إلى حيز الوجود لكن إذا كان حديثا للنفس فلا حساب ولاعقاب، ثم أنزل الله تعالى **﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾** البقرة: آية ٢٨٦، الآيات من سورة البقرة التى قال عنها رسول الله ﷺ إنى أعطيتها من كنز تحت العرش.

صيام الجوارح

ما من جارحة فى بدن الإنسان إلا ويلزمها الصوم فى رمضان وفى غير رمضان، فصوم اللسان ترك الكلام إلا فى ذكر الله تعالى، وصوم السمع ترك الإصغاء إلى الباطل وإلى مالا يحل سماعه، وصيام العينين ترك النظر إلى محارم الله تعالى لأن النبى ﷺ قال: **«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»** رواه البخارى.

حكاية الأنصارى

جاء رجل من الأنصار يكنَّى أبا قيس واسمه صرمة بن قيس من بنى النجار فصلى مع رسول الله ﷺ صلاة المغرب والعشاء، ثم أتى منزله فقالت امرأته: على رسلك (أى على مهلك) حتى أسخن طعاما صنعته، فذهب ثم عادت إليه وقد نام من تعبه فقالت له: الخيبة الخيبة حرم عليك والله الطعام والشراب فبات طاويا (من الطوى

وهو الجوع)، وأصبح صائما وعمل فى أرضه فأصابه من التعب ما جعله يغشى عليه فرآه رسول الله ﷺ يهادى بين رجلين فقال له: مالى أراك أبا قيس طليحا؟ والطليح هو الضعيف وفى لغة أخرى هو المتمايل، فأخبره بخبره فرق له رسول الله ﷺ حتى دمعت عيناه» رواه البخارى.

رجل من أهل الجنة

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن أعرابيا أتى النبى ﷺ فقال: يارسول الله دُلّنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال ﷺ: **«تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»**، قال: والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا. فلما ولّى، قال النبى ﷺ: **«من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»** متفق عليه.

صيام الدهر

روى عن النبى ﷺ أنه قال: **«من صام رمضان فأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر كله»** رواه البخارى.

وفى رواية مسلم عن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال كان كصيام الدهر»**.

فضل رمضان

روى عنه ﷺ أنه قال: «إن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال أين الصائمون؟ فيقومون فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد» متفق عليه.

وروى عن أبى هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ **«إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين ونادى منادى: ياباغى الخير هلم، وياباغى الشر أقصر»** متفق عليه.

روى عن النبى ﷺ أنه قال: **«أتاكم شهر رمضان شهر خير وبركة يغشيكم الله فيه بالرحمة ويغفر فيه الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء وينظر فيه إلى تنافسكم، ويباهى بكم الملائكة، فأروا الله فيه من أنفسكم خيرا فإن الشقى كل الشقى من حرم رحمة الله تعالى»** أو كما قال ﷺ.

من أقوال الصالحين:

روى أن الحسن البصرى مر بقوم يضحكون فوقف عليهم وقال إن الله تعالى قد جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه، يستبقون فيه بطاعته، فسبق أقوام ففازوا، وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه المسارعون، وخاب فيه الباطلون، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه، والمسىء بإساءته، فالله الله عباد الله اجتهدوا أن تكونوا من السابقين، ولا تكونوا من الخائبين، فى شهر شرفه رب العالمين، اصرفوا ضيفكم رمضان بالكرامة واحرصوا فيه على طلب الاستقامة، إلى أن يقضى بكم إلى دار الكرامة والخلد والمقامة سرمد الفردوس والكرامة فينجيكم من هول يوم القيامة.

المصادر:

١ - القرآن الكريم.
٢ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج٤.
٣ - صحيح مسلم بشرح النووى المجلد الرابع - الجزء الثامن.
٤ - رياض الصالحين.
٥ - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.
٦ - بستان الواعظين ورياض السامعين.
٧ - فقه السنة للشيخ السيد سابق - الجزء الأول.
٨ - العقد الفريد لابن عبدربه.

أنت تسأل والفقيه يجيب

فضيلة الشيخ
عطية صقر

الخطأ والنسيان فى الصيام

السؤال من القارئة نادية عبد العال سليمان، من محافظة القاهرة، تقول:
يسأل كثير من الناس عن حكم من أكل أو شرب ناسيا فى صوم التطوع، هل يبطل صومه ويلزم القضاء؟

الجواب: روى الجماعة أن النبى ﷺ قال: **«من نسى فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه»، وروى ابن ماجه والطبرانى أن النبى ﷺ قال: «إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».**

هذا الحكم وهو عدم البطلان يستوى فيه صوم رمضان والصوم فى غيره من نذر أو قضاء أو تطوع. وبه قال جمهور الفقهاء، ويؤيده ما أخرجه أحمد عن أم إسحاق أنها كانت عند النبى ﷺ فأُتِىَ بقصعة من ثريد، فأكلت معه ثم تذكرت أنها صائمة. فلما تذكرت قال لها ذو اليدين: الآن بعدما شبعت؟ فقال لها النبى ﷺ **«أتمى صومك فإنما هو رزق ساقه الله إليك».**

والإمام مالك يوجب الإمساك عند الفطر ناسيا فى الصوم النفل، لأنه لا يجب عليه القضاء، أما عند تعمد الإفطار فى النفل فلا يجب الإمساك، لوجوب القضاء عليه بالفطر عمدا، وقد تحدث العلماء عن سند قول مالك فى ذلك فوجدوه ضعيفا.

وقت الإفطار

السؤال من القارئ محمود السيد عبيد، من محافظة الشرقية، يقول:
إذا بدأ المؤذن فى أذان المغرب هل يجوز للصائم أن يفطر، أو ينتظر حتى ينتهى من الأذان وماذا يقول عند الإفطار؟

الجواب: إن إطلاق المدفع إيذانا بأن الشمس غربت وجاء الليل، وحلَّ إفطار الصائم، والأذان إذا كان بعد إطلاق المدفع أو قبل إطلاقه اعتمادا على التقاويم الفلكية هو علامة دخول الليل وحِلّ الفطر، فلو أفطر الصائم عند سماع المدفع أو عند بدء الأذان صح صومه، وإن كان الأفضل أن ينتظر قليلا حتى يزداد التأكيد بغروب الشمس، ومقدار الانتظار يكون بانتهاء المؤذن.

ويسن للصائم أن يقول عند إفطاره «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»، كما كان يقول النبى ﷺ ورواه أبو داود، وروى أبو داود أيضا أنه كان إذا أفطر قال: **«اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت»**، وفى كتاب ابن السنى زيادة على ذلك **«فتقبل منى إنك أنت السميع العليم»**، والدعاء مستجاب من الصائم عند الفطر.

بلع البلغم فى الصيام

السؤال من القارئ س. ع. أ. من محافظة الشرقية، يقول:
هل يفطر الصائم إذا بلع البلغم، وماذا يفعل لو تعذر بصقه، وهو فى الصلاة؟

الجواب: الريق العادى الخالى من مواد غريبة يجوز بلعه فى نهار رمضان، وذلك لمشقة الاحتراز عنه، وليس من الواجب بصقه كلما تجمع، فإن بصقه يزيد من الإحساس بالعطش وجفاف الحلق، إلى جانب أن ابتلاعه لا يُعَدُّ أكلا ولا شربا. أما البلغم الخارج من الصدر ومثله النخامة النازلة من الرأس فإن وصل إلى الفم ثم بلعه الصائم بطل صومه، على ما رآه الشافعية، إذ يصدق عليه أنه شىء دخل إلى الجوف من منفذ مفتوح. وقال بعض العلماء: إن بلعه فى هذه الحالة لا يضر، مادام لم يجاوز الفم ولم يخرج من الشفتين. بل قاسه آخرون على الريق العادى فقالوا: إن بلعه لا يبطل الصوم مطلقا. وهذا القول فيه تيسير على المصابين بحالة يكثر فيها البلغم. أما غير هؤلاء فيتبعون أحد القولين الأولين.

وعلى القول بأن بلعه يبطل ويجب بصقه حتى لو كان فى الصلاة، على ألا يطرحه فى المسجد، فإن تلويثه ممنوع، بل يكون ذلك فى نحو منديل بحركة خفيفة لا تبطل الصلاة.

الذكر بين التراويح

السؤال من القارئ، أحمد السيد شاهين، من محافظة كفر الشيخ، يقول:
للناس عادات مختلفة أثناء صلاة التراويح في الفصل بين كل ركعتين أو عدد من الركعات، وذلك بذكر أو دعاء أو قراءة بعض القرآن، فهل كان النبى وصحابته يفعلون ذلك، وهل يسمى بدعة؟

الجواب: ليس هناك نص يمنع من الذكر بين كل ركعتين من التراويح أو كل أربع منها مثلا، وهو داخل تحت الأمر العام به فى كل حال، وكون السلف الذين يؤخذ عنهم التشريع لم يفعلوه لا يدل على منعه، إلى جانب أن النقل عنهم فى منع الذكر المذكور غير موثوق به.

وهذا الفاصل يشبه ما كان يفعله أهل مكة من قيامهم بالطواف حول الكعبة سَبْعا بين كل ترويحتين، الأمر الذى جعل أهل المدينة يزيدون عدد التراويح على العشرين تعويضا عن هذا الطواف، وهو أسلوب تنظيمى يعرفون به عدد ما صلَّوه، إلى جانب ما فيه من تنشيط للمصلين، فلا مانع منه مطلقا، وبهذا لا يدخل تحت اسم البدعة المذمومة، فالنصوص العامة تشهد له، فضلا عن عدم معارضته لها، ولئن سمى بدعة فهو على نسق قول عمر رضي الله عنه، نعمت البدعة هذه عندما رأى تجمع المسلمين لصلاة التراويح خلف أبى بن كعب.

الاعتكاف

السؤال من القارئ، سيد عبدالعال محمود، من محافظة الجيزة، يقول بمناسبة فضل الاعتكاف فى شهر رمضان، هل يجوز للرجل المريض أن يعتكف فى بيته لأنه لا يستطيع الاعتكاف فى المسجد، لحاجته إلى الخدمة؟

الجواب: الاعتكاف سُنة وليس فرضا اقتداء بالنبى ﷺ حيث كان يعتكف فى كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذى قبض فيه اعتكف عشرين يوما كما رواه البخارى. وقد اشترط العلماء أن يكون الاعتكاف فى مسجد، أيا كان هذا المسجد، صغيرا أو كبيرا، كما ذهب إليه الشافعى ومالك، وإن كان أبو حنيفة وأحمد اشترطا أن يكون المسجد جامعا، أى تصلى فيه الصلوات الخمس وتقام فيه الجماعة، والمسجد الذى تصلى فيه الجمعة، مقدم على جميع المساجد حتى لا تفوته.

وقال جمهور الفقهاء: لا يصح الاعتكاف فى المنزل، لا للرجل ولا للمرأة، حتى لو كان فى مكان مخصص للصلاة، لأنه لا يطلق عليه اسم المسجد عرفا، حيث يجوز بيعه مثلا، والحنفية أجازوا للمرأة بوجه خاص أن تعتكف فى المنزل فى المكان الذى خصصته للصلاة، وفيه قول قديم للشافعى. وجاء فى وجه للمالكية صحته للرجال والنساء، ولا بأس بالأخذ بهذا الرأى عند الحاجة «نيل الأوطار للشوكانى ج٤ ص٢٨٣».

الحقن والبخاخة وأقراص تحت اللسان

السؤال من القارئ، مدحت سليمان السيد، من بنها - محافظة القليوبية، يقول: هل المحاليل التى تؤخذ عن طريق الوريد، أو الحبوب التى توضع أسفل اللسان لمريض القلب، أو البخاخة التى يستخدمها مرضى الصدر تفطر الصائم؟

الجواب: الحقن التى تؤخذ عن طريق الوريد أو تحت الجلد أو فى العضل إن كانت للدواء فلا يبطل بها الصيام كما قرره الفقهاء، لأنها لم تدخل الجوف من منفذ مفتوح بطبيعته - وهو الفم والأنف والأذنان والقبل والدبر - أما إن كانت الحقن للتغذية كالجلوكوز، فالرأى المتفق مع حكمة تشريع الصيام أنها تبطل الصيام، لأنه يمكن الاستغناء بها عن الغذاء عن طريق الفم، ولايحصل بها مقصود الصيام وهو الإمساك عن المغذيات لضبط الشهوات وترويضها والإحساس بالجوع لشكر النعمة والبر بالفقراء.

والحبوب التى توضع تحت اللسان لمريض القلب يتحلل ما فيها ويصل إلى الجوف فيبطل بها الصيام باتفاق، وكذلك البخاخة التى يستخدمها مرضى الصدر يصل ما فيها إلى الجوف فيبطل الصيام.

والذين لا يستغنون عن هذه الحبوب ولا عن البخاخة لهم العذر فى الإفطار لأنهم مرضى، فإن كان مرضهم يرجى شفاؤه كان عليهم القضاء عند القدرة عليه، وإن كان مزمنا وأقر المختصون أنه لا علاج له كان عليهم إخراج فدية عن كل يوم طعام مسكين أو قيمته بما يكفى إفطارا وسحورا، ولا صيام ولا قضاء عليهم ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ البقرة: آية ١٨٥.

تقييد الشياطين فى رمضان

السؤال من القارئ، محمد السيد عبدالرحمن، من محافظة الجيزة، يقول: هل صحيح ما يقال: إن الشياطين تقيد فى رمضان، وماذا نقول فى الحروب والمعاصى التى تقع فى هذا الشهر الكريم؟

الجواب: لقد ورد فى أحاديث كثيرة أن الشياطين تُصَفَّد - أى تقيد - بالأغلال فى شهر رمضان، كما رواه البخارى وغيره، فهل معنى ذلك أنه لا توجد معاصى ومخالفات فى هذا الشهر، لأن الذين يساعدون عليها هم الشياطين وقد قيدهم الله وشَلَّ حركتهم؟ إن الواقع يشهد بأن المعاصى ماتزال ترتكب فى رمضان وغير رمضان، والأفراد والجماعات والدول فى ذلك سواء، ولهذا لابد من فهم الحديث فهما لا يصطدم بالواقع الذى جرت عليه سنة الله فى وجود الطائعين والعاصين من بنى آدم مادامت هناك حياة، ولا بالواقع الذى نراه فى المخالفات التى تقع فى رمضان من المسلمين حتى من بعض الصائمين منهم.

قال شراح الأحاديث فى معنى تقييد الشياطين: إن المراد عدم تسلطها على من يصومون صوما صحيحا كاملا روعيت فيه كل الآداب التى منها عفة اللسان والنظر والجوارح كلها عن المعصية، استجابة لحديث البخارى **«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»** أو المراد أن الشياطين المغلولة هى المردة والجبابرة، وأما غيرهم فلا يقيدون، ولذلك تقع من الناس بعض المعاصى وأكثرها غير خطير. وهذا ما نصت عليه رواية الترمذى «صفدت الشياطين مردة الجن» أو المراد أن الشياطين كلها تُغَلُّ بمعنى يضعف نشاطها ولا تكون بالقوة التى عليها بدون أغلال وقيود. أو المراد أن المعاصى التى تكون بسبب الشياطين تمنع، ولكن تقع المعاصى التى يكون سببها النفوس الخبيثة - أو العادات القبيحة أو شياطين الإنس. ومن هنا نرى أن الحديث لايصطدم مع الواقع عند فهمه فهما صحيحا. وذلك ما نحب أن نلفت الأنظار إليه من فهم نصوص الدين حتى لا يكون هناك انحراف فى الفكر أو السلوك.

صوم الحائض

السؤال من القارئة، شادية عبدالرحمن، من محافظة القاهرة، تقول:
تحرص بعض السيدات على الصيام فى أيام الدورة الشهرية حتى لا تحرم من الثواب، فهل صومهن صحيح؟

الجواب: أجمع الفقهاء على أمرين بالنسبة للمرأة إذا كانت حائضا أو نفساء، وهما: عدم وجوب الصوم عليها، وعدم صحته إذا صامت، بل على حرمة صومها. يقول الخطيب الشافعى فى كتابه «الإقناع جـ١ ص٢٠٥» قال الإمام - أى الشافعى - وكون الصوم لا يصح منها لايدرك معناه، لأن الطهارة ليست مشروطة فيه، وهل وجب عليها ثم سقط، أو لم يجب أصلا، وإنما يجب القضاء بأمر جديد؟ وجهان أصحهما الثانى. قال فى البسيط: وليس لهذا الخلاف فائدة فقهية، وقال فى المجموع: يظهر هذا وشبهه فى الأيمان والتعاليق، بأن يقول: متى وجب عليك صوم فأنت طالق. انتهى كلام الخطيب.

ليس هناك دليل قولى من القرآن والسنة يحرم الصيام على المرأة عند وجود الدم، فالإجماع فقط هو الدليل، وحاول بعض العلماء أن يأخذ عليه دليلا من حديث الصحيحين عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة. فقال: الأمر بقضاء الصوم يستلزم بطلانه لو حدث منها فى رمضان، لكن ليس ذلك مطردا، فإن القرآن أوجب القضاء على المريض والمسافر، ومع ذلك يجوز أن يصوم كل منهما ويقع الصوم صحيحا.

فلعل عدم وجوب الصوم على المرأة مع وجود الدم تشريع سابق متعارف عليه، وأقره النبى ﷺ. والحكمة فى ذلك ليست وجود الجنابة. فالجنابة بغير الدم لا تمنع الصوم ولا تبطله، فلو حدثت جنابة باتصال جنسى قبل الفجر، أو باحتلام ليلا أو نهارا، ثم استمر من عليه الحدث طول النهار بدون غسل فإن صومه صحيح، وإن كانت هناك حرمة لترك الصلوات التى تحتاج إلى طهارة. وقد ثبت فى الصحيحين عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبى ﷺ كان يصبح جنبا وهو صائم ثم يغتسل. كما أن الحكمة ليست المرض الذى يسببه نزول الدم، فإن المرض لا يمنع من الصيام ويجزئ، لأن الفطر رخصة لا عزيمة، وفطر صاحبة الدم عزيمة لا رخصة.

والخلاصة أن دليل بطلان الصوم ممن عليها الدم هو الإجماع، والحكمة غير متيقنة، والمتيقن هو وجوب الإعادة عليها كما فى الصحيحين من دلالة خبرهما على العلم اليقينى فى أحكام الفروع.

صلاة المرأة على الجنازة

السؤال من القارئ محمد سلامة السيد، كفر الشيخ، يقول:
هل يجوز للمرأة أن تصلى على الجنازة؟

الجواب: نعم يجوز، حيث لايوجد دليل بمنعها، بل أقرها الصحابة، حيث صلت النساء على الرسول ﷺ، بعد أن صلى الرجال عليه، والروايات ضعيفة، ولكن لم يثبت أن النساء مُنِعْنَ من الصلاة عليه، وقد أمرت عائشة - رضى الله عنها - أن يؤتى بسعد بن أبى وقاص لتصلى عليه، وذكر ابن الأثير فى (أسد الغابة فى ترجمته أن أزواج النبى ﷺ صلين عليه.

وقال النووى: ينبغى أن تُسَنَّ لهن الجماعة فى غيرها، وبه قال الحسن ابن صالح وسفيان الثورى وأحمد والأحناف. وقال مالك: يصلين فرادى. فالمهم أنه لا مانع من صلاة المرأة على الجنازة، وذلك باتفاق الأئمة.

قضاء الصيام وصيام ست من شوال

السؤال من القارئ، عبد العال محمود السيد، من كفر شكر، يقول:

أنا أحرص على صيام الستة البيض، فإذا كان على قضاء من رمضان، هل أصوم القضاء أولا، أو أصوم الستة البيض أولا، وهل يشترط التتابع فى القضاء؟

الجواب: قضاء رمضان ينبغى التعجيل به شأن قضاء أى دين من الديون لله أو للناس، ولو تأخر فى القضاء فلا عقاب عليه، فقد روى مسلم عن عائشة - رضى الله عنها - أنها كانت تقضى ما عليها من رمضان فى شعبان، لكن لو تأخر القضاء حتى دخل رمضان الثانى، كان عليها القضاء بعد رمضان ولم يسقط عنها، ولا تجب عليها فدية للتأخير عند أبى حنيفة، سواء أكان التأخير بعذر أم بغير عذر، وأوجب مالك والشافعى وأحمدعليها فدية مع القضاء إن كان التأخير بغير عذر، كمرض أو حمل أو رضاع، أما إن كان هناك عذر فليس عليها إلا القضاء.

والقضاء لا يشترط أن يكون متتابعا، فقد روى الدراقطنى عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال - فى قضاء رمضان - «إن شاء فرّق، وإن شاء تابع».

أما الستة من شوال فصومها مندوب لمن عليه قضاء ولمن ليس عليه قضاء، والحديث الذى رواه مسلم يقول «من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر». أى صيام السنة كلها، وجاء توضيح ذلك فى روايات أخرى بأن الحسنة بعشر أمثالها، فشهر رمضان بعشرة أشهر، والستة من شوال بستين يوما أى شهرين، فتكون الجملة اثنى عشر شهرا.

ولا يشترط فى صيام الستة التتابع، بل يجوز التفريق، ولا يشترط اتصالها مباشرة بيوم العيد، بل يجوز أن يكون بعده بأيام، وإن كانت المباشرة والتتابع أفضل، كما قال الأحناف والشافعية.

والذى يقضى ما عليه من رمضان هو حر فى تقديمه على صيام الستة أو تأخيره، وتخفيفا عليه يجوز أن يصوم القضاء مع نية الستة أيضا، تجمعهما فى نية واحدة، وصح قضاء ما عليه وأخذ ثواب الستة أيضا، كتحية المسجد، لو دخل الإنسان المسجد وصلى الفرض حصلت بذلك تحية المسجد حتى لو لم ينوها مع الفرض على رأى، ويرجى له ثوابها. وهذا كله إذا لم يكن صيام الستة من شوال نذرا، فإن كان نذرا فلا يتداخل مع قضاء رمضان والشافعية هم الذين أجازوا هذه الصورة من التخفيف.

هذا والأيام البيض هى ثلاثة أيام من كل شهر، ويسن صيامها (أيام ١٣، ١٤، ١٥).

وتسمية الأيام الستة من شوال بالبيض تسمية عرفية.

الصيام جنة

السؤال من القارئة، شيرين السيد عسل، من محافظة الشرقية، تقول:

ما معنى «الصيام جنة» وما معنى ما جاء فى الحديث «إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به»؟

الجواب: يقول الله تعالى فى حكمة مشروعية الصيام **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** البقرة: آية ١٨٣.

فالصوم وقاية من كل مكروه فى الدنيا والآخرة، والجُنَّة معناها الوقاية، فالصائم حين يقهر نفسه وشيطانه قد انتصر على عدوين خطيرين، ووقاه الله شر طاعتهما، فسلطان الشهوة وسلطان الشيطان لا يقهرهما إلا من أخلص عبادته لله، واتخذ منه وليا ونصيرا، وآثر رضاء الله على رضاء نفسه، ويوضح معنى الجنة قوله ﷺ: **«الصوم جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، وإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل: إنى صائم، إنى صائم»** رواه البخارى ومسلم.

ومعنى **«إلا الصوم فإنه لى»** الذى جاء فى حديث البخارى ومسلم **«كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف»**، قال الله تعالى: **«إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به، يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلى»**. المعنى أن تقدير جزاء الله على الصيام لايتقيد بالقاعدة العامة، وهى الحسنة بعشر أمثالها، بل ثوابه أكبر لا يعلمه إلا الله الذى يقدره لصاحبه، لأنه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل رضاء الله، حيث استجاب لأمره بالصيام الذى لا يتقرب به لأحد إلا لله سبحانه، فهو عبادة أساسها الإخلاص، والإخلاص سر القبول لكل عمل صالح.

الترفيه فى رمضان

السؤال من القارئ خالد السيد عبدالسميع، من قويسنا، محافظة المنوفية، يقول: ما حكم مشاهدة الأفلام وسماع الأغانى فى نهار رمضان؟

الجواب: الحكم العام على مشاهدة الأفلام والمسرحيات والمسلسلات، وسماع الأغانى، أنها إن كانت هذه المشاهدات والمسموعات تحمل كلاما باطلا أو تدعو إلى محرم، أو كانت تؤثر تأثيرا ضارا على فكر الإنسان وسلوكه، أو صرفته عن واجب، أو صاحبها محرم كشرب أو رقص أو اختلاط سافر كانت حراما. سواء أكان ذلك فى رمضان أم فى غير رمضان. فإن خلت من هذه المحاذير كان الإكثار منها مكروها، ولا بأس بالقليل منها للترويح.

وشهر رمضان له طابع خاص، فهو قائم على صيام النفس عن شهواتها والتدريب على سيطرة العقل على رغباتها، وليس ذلك بالامتناع فقط عن الأكل والشرب والشهوة الجنسية، فذلك هو الحد الأدنى للصيام، لا يكتفى به إلا العامة الذين يعملون لأجل النجاة من العقاب، مع القناعة بالقليل من الثواب، أما غيرهم فيحرصون على الكمال فى كل العبادات، فيمسكون عن كل شهوات النفس وبخاصة ما حرم الله، كالكذب والغيبة، ويسمو بعضهم فى الكمال فيصوم حتى عن الحلال، مقبلا على الطاعة فى هذا الشهر بالذات، ليخرج منه صافى النفس والسلوك من الرذائل، متحليا بالفضائل، فلا ينبغى أن نضيع فرصة هذا الشهر الذى يضاعف فيه ثواب الطاعة، بصيام نهاره وقيام ليله بالتراويح وقراءة القرآن.

وضياع جزء كبير من الوقت فى مشاهدة وسماع أنواع الترفيه خسارة للمؤمن العاقل، وعلى المسئولين جميعا أن يراعوا حرمة هذا الشهر، فيهيئوا الفرصة للصائمين والقائمين أن يتقربوا إلى الله بالطاعات بدل هذا اللهو الذى مللناه طول العام.

ومهما يكن من شىء فإن مشاهدة وسماع هذه الأشياء لا يبطل الصيام إلا إذا حدث أثر جنسى بسببها، ومع عدم البطلان فاتت فرص كثيرة لشغل الوقت بالعبادة وقراءة القرآن وسماع البرامج الدينية. يقول النبى ﷺ فيما رواه الطبرانى **«أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء، ينظر إلى تنافسكم فيه ويباهى بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا، فإن الشقى من حُرم فيه رحمة الله عز وجل».** فليكن تنافسنا فى رمضان فى الخير لا فى اللهو ولا فى الإقبال على الملذات.

الوعد بالزواج وقراءة الفاتحة

السؤال من القارئة، هـ. و. ن، من المعادى، القاهرة، تقول: خطبنى شاب ووافق أبى عليه وقرأ الفاتحة معه، ثم تبين أنه ليس على ما كنا نظن فيه. فهل يجوز نقض الفاتحة وفسخ الخطبة، أم أن ذلك حرام؟

الجواب: الوعد بالزواج لا يلزم الوفاء به، وبخاصة إذا ظهر ما يبرره. وفترة الخطبة فترة اختبار وامتحان واستطلاع، لا تترتب عليها حقوق، ويجوز لكل من الطرفين أن يعدل عن الوعد على الرغم من قراءة الفاتحة، فالفاتحة ليست عقدا، ولكن قراءتها من باب التبرك بها.

ومهما يكن من شىء فإن الوفاء بالوعد - كما يقول ابن حجر الهيتمى فى كتابه «الزواجر» ص١٠٩ من الجزء الأول - مندوب عند الشافعية وليس بواجب ومخالفة المندوب جائزة ليست محرمة ولا عقوبة عليها، والنصوص الواردة بالأمر بالوفاء هى فى العهود والعقود، والفرق بينهما وبين الوعود يرجع فيه إلى الكتاب المذكور.

فطر رمضان من أجل الحمل والإرضاع

السؤال من القارئة نادية السيد عمر، من بنها، تقول: تعترينى فى أيام الحمل آلام شديدة، فهل يجوز لى الإفطار فى شهر رمضان، من أجل صحتى وصحة الجنين، وماهو الواجب علىّ فى هذه الحالة؟ وهل يصح لى الفطر أيضا فى فترة الارضاع؟

الجواب: إن المرض الذى يشق الصيام معه يبيح للمريض الفطر، بمقتضى قوله تعالى: **﴿ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾** البقرة: آية ١٨٥، والحامل والمرضع إذا كان الصوم يشق عليهما يرخص لهما فى الفطر برخصة المرض المنصوص عليها فى الآية، والحديث **«إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحبلى والمرضع الصوم»** رواه أحمد وأصحاب السنن.

لكن المريض إذا كان لا يرجى شفاؤه يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا ولا قضاء عليه لعجزه عنه، وإذا كان يرجى شفاؤه يفطر وعليه القضاء. وعلى الحالة الأولى حمل قوله تعالى: **﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾** البقرة: آية ١٨٤، على رأى ابن عباس، وعلى الحالة الثانية حملت الآية المذكورة من قبل.

أما الحامل والمرضع ففيما يجب عليهماعند الفطر خلاف بين العلماء روى أبو داود عن عكرمة أن ابن عباس، قال فى قوله تعالى: **﴿وعلى الذين يطيقونه﴾**، كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة، وهما لا يطيقان الصيام، أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم مسكينا، والحبلى والمرضع إذا خافتا - يعنى على أولادهما - أفطرتا وأطعمتا. ورواه البزار وزاد فى آخره: وكان ابن عباس يقول لأم ولد له حبلى: أنت بمنزلة الذى لايطيقه. فعليك الفداء ولا قضاء عليك، وصحح الدارقطنى إسناده. وعن نافع أن ابن عمر سئل عن المرأة الحامل إذا خافت على ولدها فقال: تفطر وتطعم مكان كل يوم مسكينا مُدًّا من حنطة، رواه مالك والبيهقى.

وخلاصة المذاهب الفقهية فى ذلك بعد الرأى السابق القائل بالإطعام فقط دون قضاء: أن الأحناف قالوا عليهما القضاء فقط، سواء أكان الخوف على النفس والولد معا، أو على النفس فقط أو على الولد فقط، والشافعية قالوا: عليهما القضاء، وتجب مع القضاء فدية إذا كان الخوف على ولدهما فقط، والمالكية قالوا: عليهما القضاء، ولا فدية على الحامل، بل على المرضع فقط.، والحنابلة قالوا مثل قول الشافعية.

ومادام الأمر خلافيا فلا مانع من اتباع أى رأى من هذه الآراء (الفقه على المذاهب الأربعة ص٤٥٧ وفقه السنة ج١ ص٤٤٠).

سجود التلاوة

السؤال من القارئ السيد عبد الجواد، من المنوفية، يقول: ما حكم سجود التلاوة وهل يلزمه الوضوء واستقبال القبلة؟

الجواب: سجود التلاوة سنة عند جمهور الفقهاء لا حرمة فى تركه، وهو يكون عند قراءة آية فيها سجدة أو سماعها، وأوجبه أبو حنيفة، فيكون تركه معصية عنده.

ويشترط لسجود التلاوة ما يشترط للصلاة، من الطهارة واستقبال القبلة وستر العورة، وذلك ما رآه جمهور الفقهاء، وكان ابن عمر - رضى الله عنهما - يسجد بدون وضوء كما رواه البخارى، ولم يوافقه عليه إلا الشعبى كما قال صاحب «الفتح». أما الطهارة من الجنابة فلازمة، لأن القراءة بدونها ممنوعة.

هذا، ومن لم يسجد للتلاوة يمكن عند الشافعية أن يقول «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم» أربع مرات فذلك يجزئه حتى لو كان متطهرا.

وعند أبى حنيفة إن لم يكن طاهرا عند سماع آية السجدة أو تلاوتها يجب عليه أن يسجد عندما يصل إلى مكان يسهل فيه التطهر والسجود، فإن وجوبها عنده موسَّع، والعمر كله فرصة لأدائه.

العطور والكحل والقطرة فى رمضـــان

السؤال من القارئ، سليمان محمد أحمد، من الجيزة، يقول:

هل يبطل الصـــوم بوضع العطور والكحل والقطرة وتعاطى الحقن، والكشف المهبلى؟

الجواب: شم الزهور فى حالتها الطبيعية لا يبطل الصيام، سواء أكان ذلك عن عمد أم عن غير عمد، أما العطور المحلولة فى مادة نفاذة مثل الكولونيا فقد قال بعض الفقهاء ببطلان الصوم إن تعمد الإنسان شمها، ولا يبطل عند عدم التعمد، وقال آخرون بعدم البطلان مطلقا، لكن الأفضل ترك ذلك فى نهار رمضان، إلا لحاجة كإزالة رائحة كريهة ونحوها، ومثل العطور أدوية الزكام والربو التى تستعمل عن طريق الأنف. فقد رأى العلماء أنها مادة نفاذة تدخل إلى الجوف فيبطل بها الصوم، وإن احتيج إليها كانت الرخصة فى الإفطار للمرض مع وجوب القضاء، ورأى بعض العلماء أنها لا ينطبق عليها مفهوم الأكل والشرب الذى ينافى حكمة الصيام فلم يحكم ببطلان الصوم بشمها، ومع ذلك فالأفضل تركها نهارا.

والكحل والقطرة لا يبطل بهما الصيام حتى لو وجدوا الطعم فى الحلق، لأن دخولهما إلى الجوف ليس من منفذ مفتوح - والمنافذ المفتوحة هى الأذنان والفم والأنف والقبل والدبر - وقال بعض العلماء ببطلان الصوم إن وجد طعم القطرة فى الحلق، فالأولى ترك ذلك إلا لحاجة أو ضرورة.

وتعاطى الحقن بالإبرة فى العرق أو العضل أو تحت الجلد لايبطل الصيام، لأن المنافذ غير طبيعية، والحذر من الحقن المغذية، فإنها تتنافى مع حكمة الصيام حتى لو كان دخول الغذاء من منفذ غير مفتوح، فتلك اصطلاحات للفقهاء لا ينبغى أن ننسى معها حكمة الصيام.

والكشف المهبلى بأنبوبة أو بأى جسم لايبطل به الصيام لعدم منافاته لحكمة الصيام، والحقنة الشرجية تبطل الصيام، إلا أن الإمام مالكا قال: لا تبطل إلا إذا وصلت المادة إلى المعدة، فالأولى البعد عنها إلا للضرورة.

والتزين بالمساحيق والكريمات والألوان، وإن كان لا يبطل الصيام، إلا أنه مكروه فى نهار رمضان، فهو إن كان لغير الزوج كان حراما، وإن كان من أجله ربما جره إلى الفطر، وهذا حرام، لأن كل ما يجر إلى الحرام حرام. وإن كان لمجرد الزينة فالأولى تركه فالصيام الكامل صيام عن كل ما تشتهيه النفس.

جواز الكذب

السؤال من القارئ عبد الرازق السيد فؤاد، من محافظة السويس، يقول:

ما حكم الكذب لإصلاح ذات البين؟

الجواب: الكذب لإصلاح ذات البين نص على جوازه فى حديث رواه البخارى ومسلم عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرا، أو يقول خيرا»**، وفى رواية زيادة هى: قالت: ولم أسمعه يرخص فى شىء مما يقول الناس إلا فى ثلاث. تعنى الحرب والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها. والمراد بالحديث بين الزوجين هو عن الحب الذى يساعد على دوام العشرة، والشواهد على ذلك كثيرة، وليس فى أمور أخرى تضر بالحياة الزوجية.

وموضوع الكذب مستوفى، وبخاصة ما يسمى بالكذب الأبيض، وكذبة أبريل فى المجلد الأول من كتاب «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام».

الصلاة والإسراء

السؤال من القارئ، محمد محمود العطار، من كفر الشيخ: يتساءل عن كيفية الصلاة قبل الإسراء والمعراج؟

الجواب: الصلاة كانت مفروضة فى الأديان السابقة، وكان العرب فى الجاهلية يصلون، قال تعالى **﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكاء وتصدية﴾** الأنفال: آية ٣٥، والمكاء هو الصفير والتصدية هى التصفيق، مع ملاحظة أن الصلاة قد تطلق على الدعاء كما تطلق على القراءة والتسبيح (تفصيل ذلك فى المجلد الثانى من «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام».

لقد حملت الصلاة على الدعاء أو القراءة فى حديث أحمد بسند صحيح أن النبى ﷺ صلى بمنى حين مالت الشمس وصلت خلفه خديجة وعلى، ذلك أن الثابت من حديث عائشة أن خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء، وكانت وفاتها على الصحيح فى السنة العاشرة من النبوة، ورأى جماعة أنه كانت هناك صلاة قبل الخمس التى فرضت ليلة الإسراء، وهى ركعتان بالعشى، وركعتان بالإبكار، على ما يدل عليه قوله سبحانه: **﴿وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار﴾** غافر: آية ٥٥، لكن ليس هناك دليل قوى على أن هذا التسبيح يراد به الصلاة ذات الركوع والسجود. فلم لا يكون تسبيحا باللسان فقط، ويدخل ضمن الدعاء الذى يطلق عليه اسم الصلاة.

وورد أن النبى ﷺ عقب عودته من الطائف بموضع يقال له (نخلة) صلى الفجر مع بعض أصحابه، وذلك كان قبل ليلة الإسراء، فما هذه الصلاة؟ قيل: إنها من المفروضة أول النهار وآخره، وتسميتها بالفجر لوقوعها فى حينه أو قريبا منه، أو كانت صلاة ليل وقعت حول هذا الوقت، وقد يراد بها الدعاء، فليس ذلك دليلا على أن الصلوات الخمس فرضت قبل ليلة الإسراء، وقد جاء فى بعض الروايات أن الرسول لما أسرى به أمره جبريل أن يصلى فى الطريق فى بعض الأماكن مثل يثرب وهى المدينة التى يهاجر إليها النبى ومثل شجرة موسى فى مدين التى استظل بها بعد أن سقى الغنم للمرأتين، ومثل طور سيناء التى كلم الله بها موسى، ومثل بيت لحم حيث ولد عيسى، فما هذه الصلاة؟ قد تكون ركعتين حيث كانت الصلاة مفروضة أول النهار وآخره، وقد تكون تطوعا لله، وكذلك الصلاة التى صلاها النبى بالأنبياء فى المسجد الأقصى، يقول الزرقانى على المواهب: اختلف فى هذه الصلاة، هل هى صلاة لغوية بمعنى الدعاء أو هى الصلاة الشرعية ذات الركوع والسجود، ورجح أنها الصلاة الشرعية. ثم قال: هل هى فرض أو نفل؟ وإذا كانت فرضا فقيل إنها العشاء وقيل إنها الصبح، ورجح أن تكون الصلاة نافلة تحية للمسجد، أو صلاة مفروضة مما فرض عليه قبل ليلة الإسراء، فقد قيل: كانت هناك صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها، كما قاله النعمانى. نرى من هذا أن صلاة النبى ﷺ ببيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج مختلف فيها، سواء أكانت هى الصلاة التى أمَّ فيها الأنبياء أم التى صلاها وحده.

الفرق فى الوقت بين أذانين

السؤال من القارئ، محمد أحمد الديب، من محافظة الإسكندرية، يقول: لماذا لا يكون الوقت بين أذان المغرب وأذان العشاء ساعة ونصف الساعة كما فى بعض الدول؟

الجواب: الإجابة باختصار أن وقت العشاء يدخل بمغيب الشفق الأحمر، وهو الضوء الذى يكون عقب غروب الشمس، كما ثبت فى الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى وحسَّنه، وقال البخارى: إنه أصح شىء فى المواقيت.

ومغيب الشفق ليس له وقت ثابت، فهو يختلف من بلد لآخر كما قرره العارفون المختصون، ولهذا كان هناك اختلاف فى دخول وقت العشاء، وقد قال بعض العلماء: إن الشفق يغيب بعد غروب الشمس بساعة وأربع دقائق، وفى هذا القول حث على التعجيل بصلاة المغرب فى أول وقتها.

إخــــوة فى الرضـــاع

السؤال من القارئ، ربيع فتحى عبدالباسط سيد، من محافظة بنى سويف، يقول:
ما صحة الحديثين الواردين فى النكاح من إخوة فى الرضاع؟
حديث السيدة عائشة - رضى الله عنها - كان فيما نزل عشر رضعات يحرمن حتى وصلت إلى خمس. والثانى حديث الرسول ﷺ «لا تحرم الإملاجة والإملاجتان».

الجواب: تحريم الرضاع للزواج أمر مقرر فى الشريعة الإسلامية، قال الله تعالى فى المحرمات: **﴿وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾** النساء: آية ٢٣.

وقد اختلف الفقهاء فى عدد المرات التى يثبت بها التحريم، ويتلخص ذلك فيما يلى:

١ - قليل الرضاع وكثيره سواء فى التحريم، أى بالمرة الواحدة والمرات الكثيرة، وبالقدر القليل فى الرضعة الواحدة والكثير منها، وهذا مذهب مالك وأبى حنيفة، وزعم الليث بن سعد أن المسلمين أجمعوا على أن قليل الرضاع وكثيره يحرم فى المهد ما يفطر به الصائم، وهذا القول رواية عن أحمد، وحجتهم أن الله علق التحريم باسم الرضاعة، فحيث وجد اسمها وجد كمها، ولأنه فعل يتعلق به التحريم فاستوى قليله وكثيره، وذلك للاحتياط فى الأبضاع بالذات، ولأن إنشاز العظم وإنبات اللحم يحصل بالقليل والكثير، ولأن القائلين بالعدد اختلفت أقوالهم فى الرضعة وحقيقتها، ولأن النبى ﷺ لما رفعت له قضية عقبة ابن الحارث الذى تزوج أم يحيى بنت أبى إهاب، وجاءت أمَةٌ سوداء فقالت: قد أرضعتهما، لم يسأل الرسول ﷺ عن عدد الرضعات. وهو فى الصحيحين عن عائشة.

٢ - لا يثبت التحريم بأقل من ثلاث رضعات، وهو رواية ثانية عن أحمد بن حنبل، ودليل هذا الرأى حديث «لا تحرم المصة ولا المصتان»، وفى رواية «لا تحرم الإملاجة والإملاجتان»، رواه مسلم عن عائشة، وأقل مرتبة فى التحريم بالعدد - بعد المرتين - هو الثلاثة.

٣ - لا يثبت التحريم بأقل من خمس رضعات، وهو مذهب الشافعى وأحمد فى ظاهر مذهبه، وقول ابن حزم الذى خالف داود الظاهرى فى هذه المسألة، وهو أحد الروايات الثلاثة عن عائشة، والرواية الثانية عنها أنه لا يحرم بأقل من سبع رضعات، والثالثة لا يحرم بأقل من عشر.

وحجة القائلين بالخمس حديث عائشة فى الصحيحين البخارى ومسلم، كان فيما نزل من القرآن «عشر رضعات يحرمن» ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفى رسول الله ﷺ، وهن فيما يقرأ من القرآن، وما رواه مسلم أن النبى ﷺ قال لسهلة بنت سهيل: «أرضعى سالما خمس رضعات تحرمى عليه»، قالوا: عائشة أعلم الأمة بحكم هذه المسألة هى ونساء النبى ﷺ، وكانت عائشة إذا أرادت أن تدخل عليها أحدا أمرت إحدى بنات إخوتها أو أخواتها أن ترضعه خمس رضعات.

وقالوا أيضا: نَفْىُ التحريم بالرضعة والرضعتين صريح فى عدم تعليق التحريم بالقليل والكثير، وهى ثلاثة أحاديث صحيحة وصريحة، والتعليق بالخمس لا يخالف نصا، وإنما هو تقييد للمطلق، فهو بيان للقرآن لا نسخ ولا تخصيص، ومن علق التحريم بالثلاث خالف أحاديث الخمس، واختار القضاء المصرى هذا الرأى وعليه الفتوى.

ثم إن القائلين بالرأيين الأولين، ردوا حديث عائشة، لأنها نقلته نقل قرآن، ولا يقبل فيه الآحاد، بل لابد فى قبوله من التواتر، وعلى هذا لا يثبت به حكم مادام غير قرآن.

ورد عليهم أصحاب الرأى الثالث بأن خبرها يقبل كحديث نبوى، لأنه لا يصح نسبته إليها كقول خاص بها، فإن هذا الأمر لا يقال فيه بالرأى، ولذلك عده رجال الحديث من السنة النبوية، والموضوع مبسوط فى كتاب «زاد المعاد لابن القيم»، ج٤ ص١٦٧ إلى ٢٨٢، وملخص فى الجزء الأول من موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام.

هذا، واشترط القائلون بالتحريم بتعدد الرضعات أن يكون متيقنا، ولو حدث شك فى ذلك لا يثبت التحريم، ومن هنا أنبه من تقوم بإرضاع غير طفلها أن تسجل ذلك أو تُعلم به عددا من الناس حتى يشتهر أمره، وحتى لا يتم فى المستقبل زواج بين أخوين من الرضاعة فى غيبة الأم أو نسيانها، وأرى أنه عند الشك - وإن كان لا يثبت به التحريم - ألا يتم الزواج، مالم تكن ضرورة أو حاجة مُلحَّة.

الرضاعة والزواج

السؤال من القارئ، ع. ب. م. من محافظة سوهاج يقول: هل يصح الزواج لى من فتاة قد رضعت مع أختى رضعتين؟

الجواب: إذا اجتمع ولد وبنت على الرضاع من ثدى امرأة صارا أخوين من الرضاع يحرم التزاوج بينهما، ويشترط أن يكون الرضع فى سنِّ الحولين، وأما عدد الرضعات المحرمات ففيه خلاف، والرأى المفتى به الآن هو ما ذهب إليه الشافعى من أنه خمس مرات معلومات وشرح ذلك مذكور فى السؤال السابق.

مع القراء ○ مع القراء ○ مع القراء ○ مع القراء ○ مع القراء ○ مع القراء □ أ. حسين السكرى □ مع القراء

أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار

للقارئ/ أحمد رشاد حسانين - بورسعيد.

يقول الله - سبحانه - مخاطبا أمة الإسلام: **﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾**، ومظاهر نعمته على الأمة لا تعد ولا تحصى **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾**، ومن نعمه عليها وتشريفه لها أنها كانت **﴿خير أمة أخرجت للناس﴾**، وجعلها الله بين الأمم **«أمة وسطا»**، وفرضية صيام شهر رمضان مظهر من مظاهر التكريم والتميز وعبادة تتكرر كل عام لتبدأ فيها فيوضات رحمة الله فهو من الشهور التعبدية الذى ضم مناقب عدة وفضائل شتى وادخرت أيامه ولياليه المباركة كثيرا من خيرى الدنيا والآخرة، يتجلى فيها المنهج التربوى الشامل والتدريب العملى على كل خصال الخير حيث يحاول المسلم جاهدا أن يتخلق بأخلاق الشهر الكريم ويكثر من فعال الخير لأنه على يقين بأن الثواب فيه عظيم والأجر فيه جزيل، فهو الشهر المبارك الذى أنزل فيه القرآن الكريم وفيه ليلة القدر وهى خير من ألف شهر، يقول الرسول ﷺ موضحا ببلاغته الجامعة فضائل هذا الشهر الكريم: **«أيها الناس قد أظلكم شهر كريم مبارك أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، جعل الله صيام نهاره فريضة وقيام ليله تطوعا، من أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، ومن تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن تقرب بفريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر جزاؤه الجنة».**

***

نعم الله لا تعد ولا تحصى وفضائله لاتدرك ولا تستقصى، وقد سعد من أدرك هذه النعم الكثيرة وتلك الفضائل الوفيرة، فالمسلم يحتاج إلى التكفير عن خطاياه فى كل لحظة وحين، ومهما قدم المسلم من الأعمال الصالحة والفضائل النافعة فهو لا يسلم من الهفوات ولا ينجو من الزلات، فعليه دائما أن يتحرى الصدق فى كل أعماله ويتجنب السقوط فى كل أقواله وأفعاله، عليه أن يكون حازما صلب الإرادة فيما يقدم عليه من أفعال الخير، فلا يتردد ولا يتقهقر ولا يتخلف ولا يتنصل ويجعل رائده الله دائما ورسوله ﷺ، وبهذا يصل إلى الجزاء الأوفى والثواب الأجزل.. وبالله التوفيق.

حاجتنا إلى التوبة

للقارئ/ محمد عباس محمد عرابى - باحث إسلامى واجتماعى.

يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون﴾** النور: آية ٣١، ويقول جل جلاله: **﴿ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير﴾** التحريم: آية ٨، نعم: إننا جميع البشر محتاجون إلى التوبة، فقلما ننجو فى حياتنا من العثار والتخبط، وما أكثر الذين يرديهم طيش الغرائز وضعف الرأى وقلة التجربة واضطراب اليقين، فعلى كل إنسان ساء فعله واضطربت حاله أن يسارع إلى ربه متعهدا نفسه بالرعاية والتأديب مقبلا على شأنه بالترتيب والتهذيب حتى يستطيع النجاة مما وقع فيه.

***

كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، والتوبة تعنى الرجوع إلى الله - سبحانه - وسلامة القلب وغسل الأدران والأوزار ومحاسبة النفس على ما قدمت من مساوئ وتعنيفها على ما فات، وهنا يقف منها موقف القاضى العادل الذى يقدم التعاليم العليا الإلهية التى لا تقبل الشك ولا المجاملة أو المحاباة فإذا فعل هذ اكان أمينا مع نفسه على نفسه، فلا ينخدع بما تزينه له أو تقدمه له من التبريرات والمعاذيرو بهذا ينتشلها من الهاوية ويخرج بها إلى بر النجاة والنجاح والأمان.

فوائد الصيام

للقارئ/ الشيخ خيرى محمد إبراهيم أبو الروس - شيخ مقرأة وإمام وخطيب - بيلا - كفر الشيخ.

لقد شرع الله تعالى - الصيام وجعله فريضة على عباده المؤمنين لإعداد النفوس وتهيئتها لتقوى الله - عز وجل - لأن الصيام هو سر بين العبد وربه - جل جلاله - لا يطلع عليه غيره - سبحانه وتعالى - ولذلك يقول المولى - جل جلاله -: **﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** البقرة: آية ١٨٣.

والمعنى العام للآية الكريمة أن الصوم يؤهلكم ويعدكم لتقوى الله - تقدست أسماؤه - وهذه التقوى توصل العبد المؤمن إلى الفوز بالجنة كما قال - سبحانه -: **﴿والآخرة عند ربك للمتقين﴾** الزخرف: آية ٣٥، ومن فوائد الصيام مراقبة الله - جل جلاله - وتربية ملكة الصبر فى نفس المؤمن وكذلك يقوى إرادة الإنسان لأنه يمنع نفسه عن الطعام والشراب وغير ذلك من المفطرات فضلا عن أن به فوائد صحية خصوصا لمن كان مريضا بمعدته أو جهازه الهضمى لأنه يريح المعدة والأمعاء، كما أن الصوم ينقى الدم، ولقد أصبح الصوم فى أوروبا علاجا لأمراض مستعصية وعللاً مزمنة وقد جاء فى الحديث الصحيح: **«صوموا تصحوا»** رواه الشيخان، ومن فوائد الصوم أيضا أنه يكسر حدة الشهوة فى الإنسان ويجعله ملائكيا، والصوم من الأسلحة القوية لمحاربة الشيطان، وقد قال رسول الله ﷺ: **«إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مسالكه بالجوع»** رواه الإمام البخارى ومسلم، والصوم تطهير وتزكية وتأديب روحى وحسى وتعليم ربانى يعالج الشر من منبعه، والصوم وسيلة الصابرين وروضة المخلصين وسبيل المحبين فاللهم تقبل صيامنا وقيامنا وركوعنا وسجودنا وسائر أعمالنا.

***

الصوم جنة ووقاية ورحمة من الله - سبحانه - وعناية، فيه من الفوائد العظيمة مالا يحصى من النعم الكثيرة حتى ولو ظن الناس أن به كثيرا من التجويع والتعذيب، فالبدن لا يستقيم ولا تصلح أحواله إلا إذا أمسكنا زمامه وأجرينا عليه الانضباط والتهذيب وكبحنا جماحه حتى يرعوى عن الشر والنزوات ويكف عن العبث والشهوات، ولهذا كان هذا التشريع المثالى الخالد آية من آيات السماء العديدة ومعجزة من المعجزات الفريدة.

واجبك فى رمضان

للقارئ/ محمود قايد محمد عسران - مدرس بمدرسة نجع حمادى الصناعية الميكانيكية.

إن الله - سبحانه - فرض علينا الصوم لنعبده به، ولكى يكون صومك مقبولا ومفيدا فاتبع ما يأتى: حافظ على الصلاة فى ميعادها، فكثير من الصائمين يهملون الصلاة وهى عماد الدين، كن حسن الأخلاق واحذر اللغو وسب الدين وسوء المعاملة مع الناس محتجا بصيامك، فالصوم يهذب النفوس ولا يفسد الأخلاق، لا تتكلم الكلام البذئ لائما أو مازحا فيضيع صومك، واهتدى بهدى رسول الله ﷺ فى قوله: **«إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم، إنى صائم»**. استفد من الصوم فى ترك الدخان المضر بالصحة وحاول أن تكون قوى الإرادة واتركه مساء كما تركته نهارا فتوفر صحتك ومالك، لا تسرف فى الطعام عند الإفطار فتضيع فائدة الصوم وتسىء إلى صحتك، لا تسهر كثيرا فتضيع السحور وصلاة الفجر وعليك بالعمل فى الصباح الباكر، قال ﷺ: **«اللهم بارك لأمتى فى بكورها»**، حافظ على صوم رمضان وعود أولادك الصوم متى أطاقوه واحذر الإفطار فيه دون عذر فمن أفطر يوما واحدا عمدا فعليه القضاء والتوبة **«إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب جهنم وسلسل الشياطين»، وفى رواية: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة»**، وفى رواية أخرى: **«فتحت أبواب الرحمة»** أخرجه البخارى ومسلم.

***

لماذا لا يحرص المسلم على هذا الخير الكثير والعطاء الوفير من قبل الله العلى الكبير - جلت قدرته وعظم عطاؤه - لا يصح أن يضيع الإنسان هذه المنح الغالية فى سبيل نزواته وملذاته مهما كانت قيمتها، فالعبادة والطاعة لا يعدلهما شىء فى هذا الشهر المبارك الكريم، ولا أظن أن هناك من يفرط فى تلك الهدايا العزيزة التى أشار الله إليها وحثنا الرسول الكريم ﷺ عليها.

شهر الذكريات

للقارئ/ عبدالكريم محمد مكى - العطوانى - إدفو - أسوان.

تطلعت القلوب إلى السماء وتعلقت الأفئدة تنظر بمزيد من الشوق واللهفة هادرا يرد الحياة إلى النفوس النائمة ويعيد النور إلى قلوب كاد الظلام يغشى عليها، وبزغ الهلال المرتقب وأطل على الأنام شهر رمضان فكبرت القلوب وسبحت بحمد الله ترحيبا بقدوم ضيف كريم، وإذا كان لكل شىء فى الحياة ذكريات؛ فشهر رمضان هو موسم القرب من الله - سبحانه - ومعه الذكريات الخالدة، وإذا كان لكل شىء فى الحياة ربيع فرمضان هو ربيع الأرواح، وكلما جاء شهر رمضان ثارت فى نفوس المؤمنين أحلى الذكريات لأيام مضت فى تاريخ الإسلام وحوادث وقعت فيه كان لها معان سامية فى نفوس المؤمنين، يذكرنا هذا الشهر الكريم المبارك بنزول القرآن الكريم النور الذى أطل على العقل الإنسانى فأزاح عنه غياهب الجهل والظلمة وفتح أمامه آفاق العلم والمعرفة، وهاهو الفاروق عمر رضي الله عنه وقد تبسم ذات مرة وهو فى مجلس رسول الله ﷺ فتعجب ﷺ وأصحابه - رضوان الله عليهم - فلما سأله النبى - عليه الصلاة والسلام - عن سبب ابتسامته؟ فقال عمر: العجب العجاب يارسول الله: لقد خرجت يوما لسفر واتخذت إلها من البلح يحرسنى ويرعانى فى سفرى وطال بى الطريق حتى وجدت نفسى فى قلب الصحراء وقد خلا الجو من حولى واشتد بى الجوع ولم أجد شيئا أمسك به الجوع غير ذلك الإله الذى لم يستطع أن يحمى نفسه منى حتى أكلته، فتبسم الرسول ﷺ وصحابته، وجاء القرآن الكريم فى شهر رمضان ليقضى على ذلك العهد بما فيه من جهل وظلم، وكثير من الحقائق المهمة العظيمة وقعت فى هذا الشهر العظيم.

***

شهر رمضان هذا هو شهر الخير والبركة والصبر والإيمان والنور والعرفان والفتوحات والانتصارات وهو قبل هذا كله شهر نزول القرآن الكريم وإذا ذهبنا نحصى أفضاله ونعدد مناقبه لضاق بنا الحصر فهو ملىء بكل ما تتوق إليه النفوس وترنو إليه القلوب من المباهج والمآثر والفضائل والانتصارات فى كل عهد وحين، وفى كل زمان ومكان على أرض المؤمنين بالله - جل جلاله - والذاكرين لسنة رسوله ﷺ والمقيمين لشعائر الدين الحنيف فمرحبا بهذا الشهر الميمون والتحية والسلام والتهنئة الخالصة بمقدم هذا الشهر الكريم لجميع المسلمين فى شتى البقاع.

البكاء من خشية الله

للقارئ/ أحمد محمد قاسم - الواسطى - الفتح - أسيوط.

البكاء من خشية الله - تعالى - يرقق القلوب ويجلو ما فيها من غفلة، ودمعة العاصى إذا بكى تائبا تطفئ غضب الرب، ومن تدفقت عيناه بالدمع من خشية الله له بكل قطرة من دموعه مثل جبل أحد فى ميزانه، ومن السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: **«رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»**، وقال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل النار أحد بكى من خشية الله»**، ويقول الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه -: **«إن فى أخيار أمتى قوما يضحكون علانية فى سعة رحمة الله ويبكون سرا خوفا من عذاب الله، أبدانهم فى الأرض وقلوبهم فى السماء، أرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة، يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة»**، وقد سألت السيدة عائشة - رضى الله عنها - رسول الله ﷺ: **«هل يدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب؟ قال: نعم، من ذكر ذنوبه فبكى»**، وسئل الرسول ﷺ: ما النجاة يارسول الله: قال: **«ابكِ على خطيئتك»**.

***

البكاء من خشية الله - تعالى - يشير إلى الخوف من الجليل والندم على ما اقترفه الإنسان من الذنوب والمعاصى والتفريط فى حق الله سبحانه بعدم الامتثال للطاعات والالتزام بالعبادات لاسيما إذا كان العبد مكثرا من الذنوب والآثام سادرا فى غيه ولهوه، خدعته الدنيا وغرته الحياة، فتعلق ببهرجها وزخرفها وزينتها فانكب على المغريات ونسى أو تناسى كل ما يقربه من الله، فلما تذكر ذلك أدرك أن ذنوبه قد كثرت ومعاصيه قد زادت فلابد أن يضع حدا لذلك ويحمل معه الزاد الذى يدفع عنه العذاب ويجعله فى عداد المقبولين يوم الحساب.

الزكاة دواء وعلاج وشفاء

للقارئ/ محمد إبراهيم الدمرداش - المنوفية - بركة السبع - مجلس مدينة بركة السبع.

الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة فرضها الله فى السنة الثانية للهجرة، وهى ركن غفل عنه كثير من الناس فيه رحمة للمسلمين، والزكاة فيها دواء وعلاج وشفاء ولنا فى تاريخنا عبرة وعظة، يقول الله تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾** التوبة: آية ١٠٣، فالزكاة طهر للمال من الخبث وطهرة للقلوب من الشح والبخل وتحصين للمال من الضياع والهلاك ونقاء للنفس من الأنانية وحب الذات، فهى تغسل قلوب الفقراء من الحقد والحسد والكراهية وتبعث لهم الأمان والسلام والثقة فى يومهم وغدهم ومستقبلهم، ففى أيام الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز خرج الناس بالزكاة فلم يجدوا فقيرا واحدا يأخذ الزكاة ونظر الخليفة فى بيت المال فوجد المال كثيرا فأمر مناديا ينادى فى الناس: من أراد أن يتزوج فمهره فى بيت المال ومن كان عليه دين فبيت المال يسدد عنه، ومع ذلك بقى الكثير، والجواب ببساطة أن كل مسلم عرف ماله وما عليه فطالب بماله فى أدب وجرأة وشجاعة وأدى ما عليه بإخلاص وصدق، علم الغنى أن فى ماله حق معلوم للسائل والمحروم فأدى ما عليه دون أن يقول له أحد شيئا، فالزكاة تجارة رابحة مع الله لا تخسر أبدا ولا تضيع وفوق ذلك فهى راحة للجميع وأمان للغنى والفقير، فالغنى فى أمان من السرقة والاغتصاب والنهب والحقد والحسد والكراهية، والفقير فى أمان من الجوع والعرى والضياع والبؤس والشقاء والأحزان، تلكم هى الزكاة فكم عالجت أناسا وطمأنت قلوبا وأراحت نفوسا وخلقت مجتمعا متكاملا متضامنا متعاونا والكل فيه أمام الله سواء الغنى والفقير.

***

لو لم تكن الزكاة تحمل هذه المعانى الطيبة وتلك المبادئ السامية لما فرضها الله ولما كانت ركنا قويما من أركان الإسلام؛ فالدين الحنيف والتشريع الإسلامى النبيل لا يهدف فى المقام الأول إلا لخير الفرد والمجتمع ومصلحة البشرية جمعاء حتى يعيش الكل فى أمان وطمأنينة وسلام تحت مظلة التضامن والألفة والحب والإخاء وحتى لا يعكر صفو الناس أو يكدر حياتهم أو يشوب نفوسهم وقلوبهم ما يجعلهم فى ضيق وخيبة بل فى أمل ورجاء.

ثلاثيات

للقارئ/ مصطفى كامل حامد بدر - زرقان - تلا - منوفية.

رؤوس النعم ثلاث: أولها: **نعمة الإسلام** التى لا تتم النعم إلا بها، ثانيها: نعمة العافية التى لا تطيب الحياة إلا بها، ثالثها: نعمة الغنى التى لا يتم العيش إلا بها. العلماء ثلاثة: رجل عاش بعلمه وعاش الناس به، ورجل عاش الناس بعلمه وأهلك نفسه به، ورجل عاش بعلمه ولم يعش به غيره، والناس فى الدنيا ثلاثة: تافه يرتفع كما ترتفع الفقاقيع، وسافل يرسب كما يرسب الطين، ومجاهد يبحث عن الحق فى محيط الحق يعلو تارة ويهبط تارة أخرى، **من برأ من ثلاثة نال فلاحا:** من برأ من الشر نال العز، ومن برأ من البخل نال الشرف، ومن برأ من الكبر نال الكرامة.

***

وهل هناك أفضل من نعمة الإسلام ونعمة العافية ونعمة الكفاية وعدم الاحتياج؟ فالرسول ﷺ يقول: «من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه وعنده قوت يومه فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها». أما الغنى الزائد فقد يبطر الإنسان ويلهيه، أما الرجال العلماء فالفوارق بينهم متفاوتة، فالعالم الذى عاش بعلمه وعاش الناس به، فهو العالم العامل، والذى أهلك نفسه قد أصابه الكبر والتعالى، والذى عاش بعلمه ولم يعش به غيره فذلك الذى لم ينتفع الناس منه بذلك العلم، وهكذا تتباين الفوارق بين التافه والسافل والمجاهد شأنها شأن مدلولها وكذلك البراءة من الشر والبخل والكبر فكلها أمور ساقطة متدنية ومخزية.

الخليفة عمر بن عبد العزيز

للقارئ/أحمد عبدالهادى أحمد ـ ناظر ثانوى بالمعاش ـ البتانون ـ منوفية.

كتب الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه إلى الحسن بن أبى الحسن البصرى أن يكتب إليه صفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن ـ رحمه الله ـ «اعلم ياأمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف، والإمام العادل ياأمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله، الرفيق الذى يرتاد لها أطيب المرعى، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنفها من أذى الحر والقر، والإمام العادل ياأمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا، يكتسب لهم فى حياته ويدخر لهم بعدمماته، والإمام العادل ياأمير المؤمنين وصى اليتامى، وخازن المساكين، يربى صغيرهم ويمول كبيرهم، والإمام العادل ياأمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح، تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده أصلحك الله والسلام عليك ورحمة الله.

***

هذا هو العدل بأجلى صوره وأرقى معانيه وأسمى مفاهيمه، ولو اجتمعت هذه الصفات فيمن يتولى أمور الناس لأصبح المجتمع فى قمة السعادة وراحة البال، ولبات الناس جميعا فى أمن وطمأنينة، فلا يكدر صفوهم مكدر ولا يعوق حريتهم عائق ولا يعتدى على كرامتهم معتد، وبهذا تسعد الإنسانية ويسود الفلاح والنجاح ويعم الرخاء وينتهى الجشع ويتلاشى من الحياة الحقد والحسد والنفاق والشقاق فلا حاجة إليهم بين الناس مادامت هذه الصورة المشرقة تشع بين جوانبهم وتؤنس قلوبهم وتبعث فيهم الأمل والرخاء والبقاء.

أهل اليقظة

للقارئ/ محمد حسن محمود الخطيب ـ مدرس بمعهد الحوطا الأزهرى ـ ديروط ـ أسيوط.

فأهل اليقظة على صنفين: صنف يقومون على أداء الفرائض وحفظ الجوارح السبع، فإذا أمسوا حاسبوا أنفسهم؛ فكل جارحة ثلمت سدوا ثلمتها وكل فريضة انتقصت من التقصير الذى كان منهم وفروه بالتطوع، وصنف آخر: قد أحكموا هذا الأمر وجاوزوه، فهم فى ابتغاء ازدياد العلم بالله، فإذا أمسوا حاسبوا أنفسهم وجاوزوه، ثم نظروا هل ازدادوا بالله علما يقربهم إليه وذلك لأن العلم بالله قربة إلى الله؛ لأنه يحقق الإيمان ويؤكده ويخلص النفس من هناتها، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **«إن يوما لاأزداد فيه علما يقربنى من الله لا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم»** والحديث أخرجه العراقى فى أحاديث الإحياء (باب العلم جـ١ ص١٢).

***

أهل اليقظة هم الصفوة المختارة من أهل الإيمان، وبطبيعة الحال لم لم يخترهم أحد لذلك، ولكن تم اختيارهم لذلك بأنفسهم، لأنهم عرفوا حقيقة القرب من الله ـ تعالى ـ فكانت العبادة والطاعة والمعرفة بالله هى مبلغ همهم وغاية قصدهم فساروا على الطريق القويم دون خلل أو ملل لأن قلوبهم كانت يقظى وأنفسهم كانت راضية مطمئنة وثابة إلى العلا لا يثنيها عن هذا العزم صارف أو مانع فقد كانت رغائب الدنيا بالنسبة لهم أموراً ثانوية، وحتى لو خطرت لهم خاطرة فى هذا المضمار الحياتى كانوا يتداركونها بتلقائية بل ويزيدون على ما فاتهم وهذا هو سر تفوقهم فى الطاعة والعبادات.

دين النظافة

للقارئ / نافع السيد على محمد - إمام وخطيب مسجد الشهاينة - بنى يحيى - ديروط.

اعتنى الإسلام بالنظافة فدعا إلى المظهر الجميل وحسن الهيئة والزينة والطهارة، وحث - عليه الصلاة والسلام - على نظافة الثياب ونظافة الأبدان ونظافة البيوت ونظافة الأسنان والأيدى والرأس ودعا إلى عدم تلوث البيئة، وليس هذا عجبا فى دين جعل الطهارة مفتاحا لأولى العبادات وهى الصلاة، فلا تقبل صلاة مسلم حتى يكون بدنه نظيفا وثوبه نظيفا والمكان الذى يصلى فيه نظيفا، وذلك غير النظافة المفروضة على الجسد كله أو على الأجزاء المتعرضة للأتربة منه المعروفة فى الإسلام بالغسل والوضوء، وقد أكد الإسلام وحث على النظافة والتجمل فى مواطن الاجتماع مثل الجمعة والعيدين، لذلك يقول الرسول ﷺ: «ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبى مهنته» رواه أبو داود، لذلك وجه الله نداء لبنى آدم باتخاذ الزينة، فقال - تعالى -: **﴿يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾** الأعراف: آية ٣١.

***

الإسلام فعلا دين النظافة والطهارة، ولهذا فقد اهتم بالوضوء الذى يشمل تقريبا معظم أجزاء الجسم وكذلك الغسل عند الطهارة وفى هذه الحالة لابد من إسباغ الماء على سائر أجزاء الجسم، كما أنه يأمرنا بنظافة الثوب وحسن الهيئة تبعا لنظافة البدن، فالنظافة فى الإسلام شاملة لكل حياة المسلم من منزل ومسكن وبيئة، وهذا يدل على قمة الرعاية والاهتمام البالغ فى شتى الشئون الإسلامية.

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة - رمضان ١٤٢٣هـ (١)

السؤال : وقال الطبرى فى إخفاء ليلة القدر دليل على كذب من زعم أنه يظهر فى تلك الليلة مالا يظهر فى سائر السنة.

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال : .... **اسم الكاتب :** ....

العنوان : ....

العمل : ....

اسم المتسابق : .... **رقم التليفون :** ....

رقم البطاقة: .... **جهة الصدور :** ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٣هـ حتى شعبان ١٤٢٤هـ

بريد التعارف

أهلاً

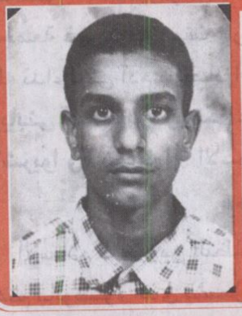

الاسم : هشام ربيع حسنين محمد
الهواية : قراءة القرآن والاطلاع الدينى
العنوان : قرية محلة أحمد - كوم حمادة - بحيرة

الاسم : محمد عبدالعزيز محمود
الهواية : القراءة وكرة القدم
العنوان : العامرية مركز المحلة الكبرى - الغربية

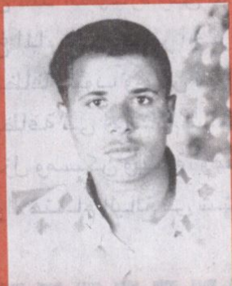

الاسم : محمد محمد عمر خير الدين
الهواية : قراءة القرآن - المراسلة
العنوان : أكوة الحصة مركز كفر الزيات - محافظة الغربية

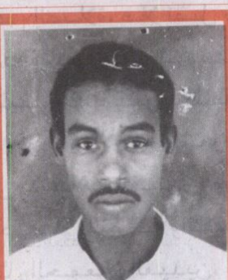

الاسم : صابر أحمد سليم قناوى
الهواية : تلاوة القرآن ترتيلا وتجويدا
العنوان : الأقصر - نجع أبو السجود

الاسم : وليد لطفى عبدالحفيظ حمدان
الهواية : قراءة القرآن والاطلاع الدينى
العنوان : أسيوط - صنبو - عرامية الديوان

الاسم : أسامة نصر أمير أحمد
الهواية : الاطلاع الدينى
العنوان : أسوان - أدفو الكلح - شرق

الاسم : محمد عبدالله المنوفى
الهواية : الخطابة وحفظ القرآن والاطلاع
العنوان : صروة - قلين - كفر الشيخ

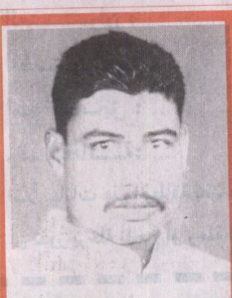

الاسم : خالد سليم سلمى سليمان
الهواية : الخطابة وكرة القدم
العنوان: عرب الدواغرة - الحسينية - الشرقية

الاسم : عبدالحميد على قاسم مكاوى

الهواية : الخطابة وقراءة القرآن الكريم

العنوان : المنشأة ـ ش عمر بن الخطاب

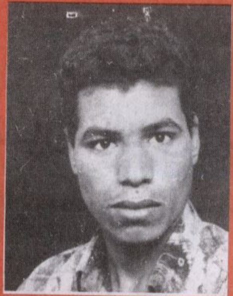

الاسم : محمود محمد عبدالعال حمودة

الهواية : الخطابة وحفظ القرآن الكريم

العنوان : إقصاص ـ المراغة ـ سوهاج

الاسم : محمود السيد أحمد عبدالباقى

الهواية : الخطابة والاطلاع الدينى

العنوان : شبرا ريس ـ شبرامنت ـ بحيرة

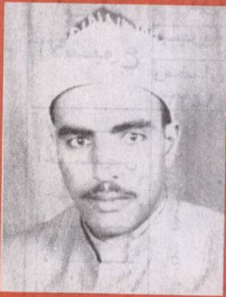

الاسم : أحمد جاد الكريم محمد حمودة

الهواية : تجويد القرآن الكريم

العنوان : إقصاص ـ المراغة ـ سوهاج

الاسم : محمد عبدالعظيم محمد عمر

الهواية : الخطابة والتدريس الدينى

العنوان : محلة عبيد ـ أيتاى البارود ـ البحيرة

الاسم : محمد على محمد

الهواية : القراءة والمراسلة

العنوان : ٩٧ ش وابور المياه ـ الزيتون

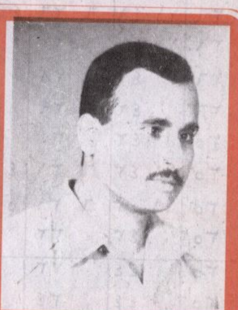

الاسم : محمد كمال عيسى

الهواية : قراءة القرآن الكريم والاطلاع الدينى

العنوان: البقاشين ـ كفر شكر ـ قليوبية

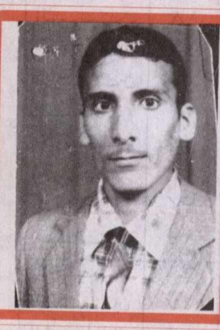

الاسم : عوض الله محمد المنوفى

الهواية : الخطابة الدينية ـ والاطلاع وحفظ القرآن

العنوان : صروة ـ قلين ـ كفر الشيخ

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....

الهواية: ....

العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه

صدق الله العظيم

أيام الأسبوع	تواريخ هجرية رمضان ١٤٢٣	تواريخ ميلادية نوفمبر ٢٠٠٢	مدة ساعات الصوم		مواقيت الصلاة والصوم حسب التوقيت المحلى لمدينة القاهرة: مغرب مساءً		عشاء مساءً		سحور صباحًا		إمساك صباحًا		فجر صباحًا		شروق صباحًا		ظهر صباحًا		عصر مساءً	
			ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س
الأربعاء	١	٦	٤٠	١٢	٠٤	٥	٢٣	٦	٢٤	٢	٢٤	٤	٤٤	٤	١٢	٦	٣٩	١١	٤٢	٢
الخميس	٢	٧	٣٩		٠٤		٢٣		٢٥		٢٥		٤٥		١٣		٣٩		٤٢	
الجمعة	٣	٨	٣٨	١٢	٠٣	٥	٢٢	٦	٢٥	٢	٢٥	٤	٤٥	٤	١٤	٦	٣٩	١١	٤١	٢
السبت	٤	٩	٣٦	١٢	٠٢	٥	٢٢	٦	٢٦	٢	٢٦	٤	٤٦	٤	١٥	٦	٣٩	١١	٤١	٢
الأحد	٥	١٠	٣٥		٠٢		٢١		٢٧		٢٧		٤٧		١٦		٣٩		٤٠	
الاثنين	٦	١١	٣٤		٠١		٢١		٢٧		٢٧		٤٧		١٦		٣٩		٤٠	
الثلاثاء	٧	١٢	٣٢		٠٠		٢٠		٢٨		٢٨		٤٨		١٧		٣٩		٣٩	
الأربعاء	٨	١٣	٣١	١٢	٠٠	٥	٢٠	٦	٢٩	٢	٢٩	٤	٤٩	٤	١٨	٦	٣٩	١١	٣٩	٢
الخميس	٩	١٤	٣٠	١٢	٥٩	٤	٢٠	٦	٢٩	٢	٢٩	٤	٤٩	٤	١٩	٦	٣٩	١١	٣٨	٢
الجمعة	١٠	١٥	٢٩		٥٩		١٩		٣٠		٣٠		٥٠		٢٠		٣٩		٣٨	
السبت	١١	١٦	٢٧		٥٨		١٩		٣١		٣١		٥١		٢١		٤٠		٣٨	
الأحد	١٢	١٧	٢٧		٥٨		١٨		٣١		٣١		٥١		٢١		٤٠		٣٧	
الاثنين	١٣	١٨	٢٦	١٢	٥٨	٤	١٨	٦	٣٢	٢	٣٢	٤	٥٢	٤	٢٢	٦	٤٠	١١	٣٧	٢
الثلاثاء	١٤	١٩	٢٤	١٢	٥٧	٤	١٨	٦	٣٣	٢	٣٣	٤	٥٣	٤	٢٣	٦	٤٠	١١	٣٧	٢
الأربعاء	١٥	٢٠	٢٣		٥٧		١٨		٣٤		٣٤		٥٤		٢٤		٤٠		٣٧	
الخميس	١٦	٢١	٢٢		٥٦		١٧		٣٤		٣٤		٥٤		٢٥		٤١		٣٦	
الجمعة	١٧	٢٢	٢١		٥٦		١٧		٣٥		٣٥		٥٥		٢٦		٤١		٣٦	
السبت	١٨	٢٣	٢٠	١٢	٥٦	٤	١٧	٦	٣٦	٢	٣٦	٤	٥٦	٤	٢٦	٦	٤١	١١	٣٦	٢
الأحد	١٩	٢٤	٢٠	١٢	٥٦	٤	١٧	٦	٣٦	٢	٣٦	٤	٥٦	٤	٢٧	٦	٤٢	١١	٣٦	٢
الاثنين	٢٠	٢٥	١٨		٥٥		١٧		٣٧		٣٧		٥٧		٢٨		٤٢		٣٦	
الثلاثاء	٢١	٢٦	١٧		٥٥		١٧		٣٨		٣٨		٥٨		٢٩		٤٢		٣٦	
الأربعاء	٢٢	٢٧	١٧		٥٥		١٧		٣٨		٣٨		٥٨		٣٠		٤٢		٣٥	
الخميس	٢٣	٢٨	١٦	١٢	٥٥	٤	١٧	٦	٣٩	٢	٣٩	٤	٥٩	٤	٣١	٦	٤٣	١١	٣٥	٢
الجمعة	٢٤	٢٩	١٥	١٢	٥٥	٤	١٧	٦	٤٠	٢	٤٠	٤	٠٠	٥	٣١	٦	٤٣	١١	٣٥	٢
السبت	٢٥	٣٠	١٤		٥٥		١٧		٤١		٤١		٠١		٣٢		٤٣		٣٥	
الأحد	٢٦	١	١٤		٥٥		١٧		٤١		٤١		٠١		٣٣		٤٤		٣٥	
الاثنين	٢٧	٢	١٣		٥٥		١٧		٤٢		٤٢		٠٢		٣٤		٤٤		٣٥	
الثلاثاء	٢٨	٣	١٢	١٢	٥٥	٤	١٧	٦	٤٣	٢	٤٣	٤	٠٣	٥	٣٥	٦	٤٥	١١	٣٥	٢
الأربعاء	٢٩	٤	١٢	١٢	٥٥	٤	١٧	٦	٤٣	٢	٤٣	٤	٠٣	٥	٣٥	٦	٤٥	١١	٣٦	٢

ق س
صلاة عيد الفطر المبارك ٥ ديسمبر ٢٠٠٢: ٠٠ . ٧.

محتويات العدد

كلمة التحرير		١
حديث الشهر (وا.. أمة الإسلام)	بقلم أ. د عبدالصبور مرزوق	٢
القرآن الكريم وعلومه		٥
مع نزول القرآن فى شهر رمضان	أ. د. محمد نبيل غنايم	٦
خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف (الفصل والوصل)	أ. د. عبدالعظيم المطعنى	١٥
النخلة والتمر فى القرآن والعلم الحديث	أ. د. حسنى حمدان الدسوقى	٢٠
نور الصيام (شعر)	محمد التهامى	٢٤
الحضارة والعلوم		٢٥
الكشف عن الماء الجوفى عند العرب	أ. د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة	٢٦
آيات الله فى خلق الجهاز الهضمى	أ. د. عبدالمعبود عمارة	٣٠
فوائد طبية للصيام	أ. د. السيد الجميلى	٣٦
من أحاديث الصداقة عند أبي حيان التوحيدى	أ. د. محمد رجب البيومى	٣٩
فى رحاب شهر الصيام		٤٣
كيف يكون صومك مقبولا؟	أ. د. محمد سيد طنطاوى	٤٤
ليلة القدر	أ. د. أحمد عمر هاشم	٥١
النبى ﷺ فى رمضان	أ. د. محمد محمد أبو ليلة	٥٥
الجهاد فى رمضان: غزوة بدر وفتح مكة	أ. د. محمد سيد أحمد المسير	٥٨
مدرسة الصوم بين الدين والعلم	أ. د. محمد فتحى فرج بيومى	٦٢
فضائل شهر رمضان	أ. د. محمد عبدالمنعم خفاجى	٦٥
مع شهر رمضان فى هتاف الشعراء	أ. د. طه مصطفى أبو كريشة	٦٩
صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته	الشيخ منصور الرفاعى عبيد	٧٣
إنه لشهر مبارك (شعر)	د. عبدالحميد إبراهيم أبو سعدة	٧٨
العقاد وعبقرياته الإسلامية	أ. كمال عبدالوهاب	٨٠
مسجد الإمام البوصيرى	محمد كامل شاهين	٨٥
مدرسة المنار ودورها فى الإصلاح الإسلامى	مصطفى إبراهيم خيان	٨٨
لماذا أسلم هؤلاء؟	أحمد حامد	٩٣
عظمة مصر (شعر)	عمر موسى البرعى	٩٦
الدعوة والدعاة		٩٧
الزكاة فى الأموال المعاصرة	أ.د. محمد الشحات الجندى	٩٨
الإسلام وطلب العلم وفضله	الشيخ فوزى فاضل الزفزاف	١٠٣
الاحتفال بالاحتلال أم بالاستقلال؟	أ. د. محمد عمارة	١٠٦
هدى الرسول ﷺ فى الفطور والسحور	صلاح حسين محمد شهاب الدين	١١٠
حوار الأديان خدعة أم وسيلة للتعايش السلمى	أ. د. محمد شامة	١١٣
ندوة حوار الحضارات	متابعة: حسن أحمد خليل	١١٦
وراء الأخبار واللقاءات	متابعة وإعداد: منير بيومى	١٢٠
قطوف	خضرة رشاد	١٢٤
أنت تسأل والفقيه يجيب	فضيلة الشيخ عطية صقر	١٢٦
مع القــراء	يحرره حسين السكرى	١٣٦
بريد التعارف		١٤٢
الإمساكية		١٤٤

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء ١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد ـ مصطفى إسماعيل محمود على البنا ـ محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١ : ٥

وتيسيرا على القارىء المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات ـ جاردن سيتى
مكتبة مسجد النور بالعباسية
٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير
٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)
الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٤٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر